

العلماء

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

للشيخ الثعالبي

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيقٍ ، القَيَّرَوَانِي ، الأَزْدِيَّ

٣٩٠ — ٤٥٦ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

بمَجْدُوحٍ الدَّيْنِ عِنْدَ الْحَمِيدِ

عفا الله تعالى عنه أ

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - باب التصدير

وهو كما أن يُردَّ أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أهبة ، ويكسوه رونقاً وديباجةً ويؤيد مائة وطلاوة .

حد التصدير
وقائده

أقسام التصدير

وقد قسم هذا الباب عبدُ الله بن المعتز على ثلاثة أقسام :
أحدها : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت آخرَ كلمة من النصف الأول ، نحو

قول الشاعر :

يُلَنِّي إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرَمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأْيٍ لَا يُقْلُ عَرَمَرَمٍ
الآخر : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت أولَ كلمة منه ، نحو قوله :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعٍ
والثالث : ما وافق آخرَ كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر :

عَزِيزُ بَنِي سُلَيْمٍ أَفْصَدَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ

الفرق بين
التصدير
والترديد

والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُردُّ على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين ، وإن لم يذكروا فيه فرقاً ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت ابن العميد المقدم .

أمثلة للتصدير

ومن أبيات التصدير قول زهير :

كَذَلِكَ خَيْمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ خَيْمٌ
وقال أيضاً في ذلك :

لَهُ فِي الدَّاهِيَيْنِ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان الدؤلى - :
وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصَحُّهُ وما كلُّ مَوْتٍ نَصَحَهُ بَلِيْب
فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره فى اللفظ ترديداً لليلة التى ذكرتها .
ومن أناشيدهم فى التصدير قول طُفَيْلِ الغنَوِى :
تَحَارَمَكَ أَمْنَعُهَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِنِّى أَرَى جَفَنَةً قَدْ ضَاعَ فِيهَا لِلْحَارِمِ
وقال جرير وهم يستحسنونه جداً :
سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ وما ذاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ
وقال عمرو بن أحرر :

تَغَمَّرْتُ مِنْهَا بَعْدَ مَا نَفَسَ الصَّبَا وَلَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مَنْ تَغَمَّرَا
« تغمرت » أى : شربت من القمَر ، وهو قدَح صغير جداً ، ضربه
مثلاً ، أى : تعللت منها بالشئ القليل ، وذلك لا يبلغ ما فى نفسى منك
من المراد .

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة ، وأنشد للفرزدق :
أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبِكَ وَارِدُهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرُ
وأنشد فى التصدير بيت طفيل المتقدم ، وبيت جرير ، وخص بيت الفرزدق
بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال فى الأضداد إذا وقعت
فى الشعر ، وقد رأيت فى إحدى النسخ مع أبيات المطابقة
ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومى :

رَيْحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّهِ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ
والكتاب يسمون هذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس .
ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرخ فى ذكر الشيب :
يَا بَيَاضاً أَذْرَى دُمُوعِي حَتَّى عاد منها سوادٌ عَيْنِي بَيَاضاً

من التصدير
المضادة

وأنشد لأبي نواس ، وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها :

دَقَّتْ وَرَقَّتْ مَذَقَتْ مِنْ مَائِهَا وَالْعَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ

وأنشد لمسلم بن الوليد :

تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْأَفَاحِ تَبَسَّمتْ لَهُ مُزْنَةٌ صَنِيفِيَّةٌ فَتَبَسَّما

وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأنشد للطائي :

ولم يحفظ مُضَاعَ المَجْدِ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ

فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأنشد طلباً لها من القدماء ، وهي في أشعارهم أوجد كما قدّمت آنفاً .

٤٦ — باب المطابقة

[المطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه ^(١)] المطابقة حد المطابقة عند جميع الناس : جَمْعُكَ بَيْنَ الضَّدِّينِ في الكلام أو بيت شعر ، إلا قدامة ومن اتبعه ؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً ، وقد تقدم الكلام في باب التجانس ، وسمى قدامة هذا النوع — الذي هو المطابقة عندنا — التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قدّمتُ ذكره ، ولم يُسمَّ التكافؤ أحد غيره وغير النحاس مِنْ جميع مَنْ علمته .

(١) هذه العبارة زيادة في المصريتين ، وقد كتب بحاشيتهما « سقطت هذه الجملة من بعض النسخ ، وكأنها من منهيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض النساخ في جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا في أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ، وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها ، وانظر ص ١٥ من هذا الجزء

قال الخليل بن أحمد : يقال « طابقت بين الشيتين » إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما .

وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرّجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بعة بنى جَعْمَة :

وَخَيْلٍ بَطَابِقْنَ بِالْأَرْعَيْنِ طِبَاقَ الْكِلَابِ يَطَّانُ الْمِرَاسَا

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْتُ بَعَثَ يَصْطَلِدُ الرِّجَالِ ، إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .

وأما على بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ سَمَدَنْ لَهُ سُمُودَا

فَرَدَّ شُمُورَهُنَّ الشُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضا قول طَقَيْلٍ

الغَنَوِي :

بِشَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوعِ مَبْدُولٌ^(١)

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج على بن الحسن القرشي . .

وقال الرماني : المطابقة : مُسَاوَاةُ الْمَقْدَارِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(١) في المصريتين « بشاهم الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس ساهم الوجه ، إذا كان محمولا على كراهة الجري ، وقال عنتره :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها نقيع الحنظل

والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من الفرس والبعر بمنزلة الأكل

من الإنسان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لفائدة ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقُدّامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جمعت بينهما على حَذْوٍ واحد وألصقتهما » فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول ليبيد :

تعاورن الحديثَ وطبقته كما طبقتَ بالنعلِ المثالا

ومنه « طَبَّقْتُ المِفْصَلَ » أي : أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه . . وكذلك قول الأصمعي « أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع » هو مساواة المقدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما تتجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خَلْمَةُ ، وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شيء تتقيه على أنفسها ، ولذلك شبه الناقة الجعدي مشى الخيل بوطء الكلاب المراس ، وهو حُطَامُ الشَّوْكَ ؛ فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدامة في المطابق « هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها » فإنه أيضاً مساواة لفظ للفظ ، وهي — أعنى المساواة — على رأى الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أي : موافقته ، ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ؛ فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق « إنه جمعك بين الشيثين على حذو واحد » فيكون الشيثان للمعنيين ، والحذو الواحد : اللفظة .

ومن ملهج ما رأيته في المطابقة قولُ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَصِفُ هَيْبَةً
وَعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

أمثلة من
المطابقة

وقال أيضاً :

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بَصَرِي ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

وقال ابن المعتز ، ويروى لابن المعتزل :

هَوَايَ هَوَايَ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ

ولبعض الأعراب :

أُمُوثِرَةُ الرِّجَالِ عَلَى لَيْلَى وَلَمْ أُوثِرْ عَلَى لَيْلَى النِّسَاءِ

وقال أعرابي : الدرام مياسم تسمُ حُداً أو ذماً ، فن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، ونظم الشاعر هذا الكلام فقال :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أُمْسَكْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلِمَالُكَ

ومن الطباق الحسن قول أعرابي : خرجنا حفاة حين انتعل كل شيء ظله ، وما زادنا إلا التوكل ، وما مطايانا إلا الأرجل ، حتى لحقنا بالقوم .

وقال آخر لصاحبه : إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم غرثان من الكرم ؛ واعلم أن المؤمن على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ، ولن يساء إليه في بطنها وقد أحسن على ظهرها . ولربيع بن مَرْوَم الضبي :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

ومن أفضل كلام البشر قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه . « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ، وما بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله . وقال الله عز من قائل : (وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات)

وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل : (ولستم في القصاص حياة) لأن معناه : « القتل انفى للقتل » فصار القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

ومما استغربه الجرجاني من الطباق واستلطفه قول الطائي :
 مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَتَا الْخَطَا إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ
 لمطابقته بهاتا وتلك ، وإحداها للحاضر والأخرى للغائب ، فكانتا في المعنى
 بغيضتين وبمثلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما إحداها للقريب
 والأخرى للبعيد المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة .
 ومثل هذا عندي في بابه قول أبي الطيب يذكر خيل العدو الزاحف للحرب :
 ضَرَبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جِهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضَرَبْنَ بِهَا عَنَا
 فقوله « ضربن إلينا » مجيء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهاب فرار ،
 وهما صدان .

ومن أنواع الطباق قول هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :
 فَإِنْ تَقْتَسَلُوا فِي الْحَدِيدِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكَبَّلِ
 فقوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكبل » وإن لم يأت على متعارف
 المضادة ، وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي زَالَ عَنِّي جَمَالُهُ فَمَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا
 كأنه قال : « وإن يك أنفي أجدع فما حسبي بأجدع » .

قال الجرجاني : وقد يخلط من نقصر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه ،
 كقول كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه :

لَقَدْ كَانَ أَمَّا جَاهُهُ فَمَرْوِجٌ عَلَيْنَا ، وَأَمَّا جِهْلُهُ فَعَزِيبٌ

لما رأى الحلم والجمل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا

مما يظن
 من المطابق
 وليس منه

ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تسمع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام .

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقر بان من مضادتهما ، وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا الوزن سمى موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت العادة في هذه التسمية .

وأما قولنا «إن السكلمتين غير متفاوتتين» فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والطيش ، وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلهما ، وكذلك الروح ليس ضده العزيب ، وإنما ضده المغدو به أو المبكر به ، وما أشبههما ولما ثقل وزن الروح من هاتين اللفظتين وقل استعماله تسمحت فيهما ، وأما العزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين الروح إلا بعيدة ، كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفى لا يأتي ولا يعرف ، على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال :

ولقد سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَكُحْ وَحَلَمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلِ

وقال زهير ، وزعموا أنه لأوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل وانلنا أصبَّتَ حلياً أو أصابك جاهل

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد ، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة ، والناس متفقون على أن جميع المخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير :

من أمثلة
للمطابقة أيضا

بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحَرٍ أَكْفَهَا وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودَهَا

ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات :

بصفر تراقيا وحر أكفها وسود نواصيها وبيص خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والبياض ضدان ، وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوى زاد بعداً من صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد ، فإن ضعف زاد قرباً من البياض ، وأيضاً فلأن البياض منصبع لا يصبغ ، والسواد صابغ لا منصبع ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتنصبغ ، انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته لإبطالاً لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :

بَأَنَا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدَرَوِينَا

ومن أخف الطباق روحاً ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :

من شعر
أبي الحسن
في الطباق

أَلَا لَيْتَ أَيَّاماً مَضَى لِي نَعِيمُهَا فَتَكِرُّ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعَمُ
وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر يَتَوَقُّ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَمُ
إِذَا مَرَجَتْ فِي الْكَأْسِ خِلْتُ لَالِئاً تَنْثُرُ فِي حَاقَاتِهَا وَتَنْظُمُ
جمعنا بها الأشبات من كل لذة على أنه لم يغش في ذاك محرم

فطابق بين « تنثر وتنظم » وبين « جمعنا والأشبات » أسهل طباق والطفه من غير تعمل ولا استكراه ، وأتى في البيت الأول من قوله « مضى وتكر » بأخفى مطابقة ، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلها .

أمثلة مما يغلط
فيه الناس

ومما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض
المحدثين .

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ فَعَلَهُ غَايَةً لِكُلِّ قَبِيحٍ
وَلَيْسَ ضِدُّهُ ، وَإِنَّمَا ضِدُّهُ الدَّمَامَةُ ، وَالْقَبْحُ ضِدُّهُ الْحَسَنُ . وَقَالَ الصُّوْلِيُّ
أَبُو بَكْرٍ يَصِفُ قَلَمًا :

نَاحِلُ الْجِسْمِ ، لَيْسَ يَعْرِفُ مَذْكَاءَ نَعِيمٍ ، وَلَيْسَ يَعْرِفُ ضَرًّا
وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا مُضَادَّةٌ . وَإِنَّمَا ضِدُّ النِّعَمِ الْبُؤْسُ ، فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :
فَالسَّلَامُ تَكْسِيرُ مَنْ جَنَاحَيْهِ مَالِهِ بَنَوَالَهُ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ
فإنه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهي اسم من
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة .

(٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

أسباب
اختلاطهما

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم « جَلَلٌ »
بمعنى صغير ، و « جَلَلٌ » بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره
تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الجون » الأسود ، وما أشبه ذلك
وكذلك إن دخل النفي كما قدمت ، قال البحتري :

يَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرِي إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ؛ لأن قوله « لا أعلم » كقوله
أجهل ، ومثل ذلك قول الآخر :

لَعَمْرِي لَتُنْ طَالَ الْفَضِيلُ بْنُ دَيْسَمٍ مَعَ الظِّلِّ مَا إِنَّ رَأْيَهُ بِطَوِيلٍ
كأنه قال : إن رأيه قصير ، وقد جاء في القرآن : (هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون) فأما قول الفرزدق :

لعمرى لئن قلّ الحصى في عديديكم نبي سَهْلٍ ما لؤمكم بقليل
ظاهرةُ تجنيس بالقلة ، و باطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى
في عديدكم » أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، فخالف
الأول ، وقد قال جلهممة بن أد بن مالك - وهو طيء - لولده في وصية « ولا تكونوا
كالجراد ، أكل ما وجد وأكله ما وجد » فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ،
وبما أنشده ثعلب :

أنى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وَأَمْسَى حَبْلُهَا خَلَقًا جَدِيدَا
الجديدهنا : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قتيل وهزيل بمعنى مقتول [ومهرزول] ،
كأنه قال مجدوداً ، أى : مقطوعاً ، فليس بمطابق ، وإن كان كذلك فى الظاهر
عند من لا يميز ، فأما المميز فيعلم أنه لا يكون حلقاً جديداً فى حال :
وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حَفِيَا :
تَضْرِبُ النَّاسُ بِالْمُهَنْدَةِ الْبَيْضِ عَلَى غَدَرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ
فأتى بالغدر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينهما فى الظاهر ، و باطن
كلامه مجانس ؛ لأن قوله « وتنسى الوفاء » كقوله تغدر .
وقال جرير أيضاً :

* أَتَصْحَوُ أُمُّ فُوَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ ^(١) *

فقوله « غير صاح » نقيض « أتصحو » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة
محصوله بعد ، إلا على مذهب مَنْ جعل « أم » بمعنى « بل » فكأنه قال
لنفسه : بل فؤادك غير صاح ، فناقض الصحو ، ودخل كلامه فى المطابقة . . وقال
قيس بن الخطيم ، ويروى لعدى :

(١) تمامه * عشية هم صبحك بالرواح * وقد تكرر فى هذا الكتاب
ذكر صدر هذا البيت (انظر الجزء الأول ص ١٩) .

وإني لأغني الناس عن مُتَكَلِّفٍ يرى الناس ضللاً وليس بمهتدى
 كأنه قال «وهو ضال» فجانس في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .
 ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو « خالق ومخلوق » و « طالب
 ومطلوب » هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم
 الفاعل منه مُفْعِلٌ ^(١) والمفعول مُفْعَلٌ نحو « مكرم ومكرم » و « مُعْطٍ ^(٢)
 ومُعْطى » وما جرى هذا الجرى أو زاد عليه في البناء ، وأما قولك « قضيت
 واقتضيت » فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك
 قولك « أخذت وأعطيت » ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء ضده المنع ،
 فهذا مما يظنه مَنْ لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ، ولكنه كثير جداً في الكلام ،
 واستعمله الناس ، كما تقدم من قولنا في الحلم والجمل والجمال والقيح .

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر ^(٣) :
 وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيعادي ومُنْجِزُ موعدي
 وأول ما يعتد به في هذا الباب قول امرئ القيس :
 فإن تدفِنُوا الداءَ لا تُخَفِّهِ وإن تبعثوا الحربَ لا تقعد
 ويروى * فإن تكتموا الداءَ لا تخفه * وقوله « لا تخفه » أى : لنبدئه من

(١) في المصريتين « اسم الفاعل منه مفعول » وهو واضح الخطأ .
 (٢) في المصريتين « معطى ومعطى » بإثبات الياء في الكلمتين ، والأول اسم
 فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأول ما لم تقترن بأل كالمعطى
 أو يضاف كمعطى الدنانير أو يكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطياً خلفاً .
 (٣) البيت لعامر بن الطفيل ، وقد روى في ديوانه (ص ١٥٥ طبع أوربة)
 هكذا :

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قوله تعالى : (أكَادُ أَخْفِيهَا) فكأن الشاعر قال : إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً
أو قال : إن تسكنتموا الداء نكتمه ، وكذلك قوله « لا نعد » كأنه قال : إن
تبعثوا الحرب نبعثها ، ومن كلام السيد أبي الحسن :

وأعلم أن المجد شيءٌ لا يخلدُ وأن الفتى والمالَ غيرُ مخلص

والبيت من قصيدة شريفة أولها :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَعْدَى وَعَنْ أُمِّ سَعْدٍ وَلَمْ يَشْجُنِي نَوْحُ الْحَامِ الْمَغْرَدِ

(٤٨) - باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ، بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما انضح عندي^(١)] حد المقابلة

المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهى تتصرف فى أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب
الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به
آخرًا ، ويأتى فى الموافق بما يوافقه ، وفى المخالف بما يخالفه .

وأكثر ما تجىء المقابلة فى الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة أكثر ما تجىء
فيه المقابلة . مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء ، وهو :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا ؛ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ، وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ ؟

فقابل بين النصيح والوفاء بالغل والغدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة
الصحيحة ، لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير فى هذا الباب ، وأنشد
للطرمي :

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُّرَابَا

(١) هذه العبارة زائدة فى المصريتين ، وقد كتب على حواشيها : « ليس
لهذه الجملة أثر فى بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه
العبارة فى ص ٥ من هذا الجزء .

فما صبروا لبأسٍ عند حربٍ ولا أدؤا لحسنٍ يدٍ ثَوَابًا
 فقدم ذكر الإِنعام على المأسورين ، وآخر ذكر القتل في البيت الأول ؛ وأتى
 في البيت الثاني بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب
 وآخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله * فما صبروا لبأسٍ
 عند حرب * القوم المأسورين إذ^(١) لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر وإعطاء
 اليد ؛ فإن المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة
 الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبي الطيب :

مقابلة
 الاستحقاق

* وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٢) *

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ،
 ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : (فيؤخذُ
 بالنواصي والأقدام) .

ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي :

من أمثلة
 المقابلة

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعداى ، وهذا جيد ؛ ولو كان كل مقابل
 على وزن مقابلة في هذا البيت والبيت الذى أنشده قدامة أولا لكان أجود ..
 وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي
 فقال « يبقى بعد » ثم قال « يفنى قبل » فهذا كما أردنا .
 وقال الفرزدق :

وَأَنَا لِنَمْضَى بِالْأُكْفِ رِمَاحَنَا إِذَا أُرْعِشَتْ أَيْدِيكُمْ بِالْمَعَالِقِ

(١) في المصريتين « إن » و نראה تصحيحا .

(٢) صدره * رجلاه في الركض رجل واليدان يد * يصف جواده بأنه
 يرفع رجله معا فهما كرجل واحدة ويديه معا فهما كيد واحدة .

سأل أبو جعفر المنصور أبا دُلَامَةَ فقال : أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال : أشعر بيت قالته العرب بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو ذلك ؟ قال : قول الشاعر :

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقال يزيد بن محمد المهلبى ، يقوله لسليمان بن وهب :

فمن كان للآثام والذلُّ أرضه فأرضكم للأجر والعزُّ مَعْقِلُ

أمثلة
من المقابلة

وقال فى التغزل :

إن تغيبى عنى فسَقِيًّا ورَعِيًّا أو تَحَلَّى فينا فأَهْلًا وسَهْلًا

والمعجز قولُ الله تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِرًا ولتبتغوا من فضله) فقابل الليل بالسكون ، والنهار بابتغاء الفضل ، وجعل بعضُ المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان ، والأول أعجب إلى ، وقال تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

من جيد
المقابلة

ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطاح الحنفى :

أَذِكى وأَوْقِدُ للعداوةِ والقِرَى نَارَيْنِ نَارَ وَغَى ونارِ زِناد

وكذلك قوله :

لباسى حُسَامٌ أو إِزَارٌ مُعَصْفَرٌ وِدْنَعٌ حَدِيدٌ أو قَيْصٌ مُخَلَقٌ

إلا أنه لو كان الإزار رداء كان أجود ، لاسيما والسيف يسمى رداء ، ولكفا

هكذا رويناه .

من خفى
للمقابلة

ومن خفى المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء :

اليومُ مثلُ الحَوْلِ حتى أرى وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهر

وهذا مليح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اتنى عشر .

وقال محمد بن أحمد العلوى :

لا تُؤَخِّرْ عنى الجوابَ فيومى مثل دهر ، وساعتى مثل شهر

(٢ — المدة ٢)

فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا ؛ فتكون قسمة مستوية ، ولسنا هكذا رويناه .

من جيد المقابلة في النثر
ومن جيد ما وقع في المنشور من المقابلة قول بعض الكتاب « فإن أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأَفْنِ والغشِّ ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كمن أضاف إلى العجز الخيانة » ومن كلام إبراهيم بن هلال الصابي « وأعدّ لحسنهم جنة وثواباً ، ولمسيئتهم ناراً وعقاباً » .

وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم :

تريك الحسنَ والإحسانَ وقفاً إذا برزت لنا وإذا تَغَيَّبُ

ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز :

بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِ أَحْمَرٍ كَمَا احْمَرَّتْ مِنَ الْحُجْلِ الْخُدُودُ

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب ؛ فهذا من سوء المقابلة ، وإن عده الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه . .

ومن المأخوذ للمعيب عندي قولُ الكميّ يخاطب قضاة :

رَأَيْتُكُمْ مِنْ مَالِكٍ وَادْعَائِهِ كَرَأْمَةِ الْأَوْلَادِ مِنْ عَدَمِ النَّسْلِ

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ؛ لأن هؤلاء - فيما زعم - يدعون أبا ، والرأمة تدعى ولداً ، وهما ضدان .

والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أنشده الجاحظ :

حَمَارٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا كَدَعَوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

وقال أبو نواس :

أَرَى الْفَضْلَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ جَامِعاً كَمَا السَّهْمُ فِيهِ الْفُوقُ وَالرِّيشُ وَالنَّضْلُ

فزاد في المقابلة قسماً ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .

وكذلك قول أبي قيس ابن الأسلت :

الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ السَّيِّدِ الْإِدْهَانِ وَالْفَكَّةِ وَالنَّهَاجِ

فقابل الحزم بالإدهان ، والقوة بالفكة — وهى الضعف — وىروى
« الفقه » وهى العى ، وزاد الهاع ، وهو الجبن والخفة .
ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلا وتشبيها
قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى ملكٍ بين الملوك وبينه مسافة ما بين الكواكب والتُّربِ

لأنه لما أتى بالملوك أولا وبضمير المدوح - وهو الهاء التى فى « بينه » -
بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهى جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد
يقابل الضمير باتحاده ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب ، وتكون
الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يجعله موضع الكواكب ، ويجعلهم
موضع الترب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى إليه انتهى التشبيه
وسر صناعة الشعر . . . ويدلك على صحة ما طلبته به قولُ امرئ القيس بن حُجر :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالَى

قابل الرطبَ أولا بالعُنَاب مقدما ، وقابل اليباس ثانيا بالحشفَ تاليا . وكذلك
قول الطَّرَمَّاح :

يَبْدُو وَتَضْمُرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

فقابل يبدو ويسل ، وقابل تضمره البلاد بيغمد ، على ترتيب ، وكذلك كان
يجب لهؤلاء أن يصنعوا ، وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفا ولا موافقا كما شرطوا إلا فى الوزن والازدواج
فقط ، فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :
من المقابلة نوع يختص باسم الموازنة

أَخْلَاقُ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَبَرِ

وعلى هذا الشعر جشأ النعمان بن المنذر فَمَ النَّابِغَةُ دَرَأً .

وينضاف إلى هذا النوع قول أبى الطيب :

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك ، من خيال
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بصدّه ولا موافقه ،
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ،
فإن تقطيعه في العروض واحد .

فأما قول أبي تمام :

فكنت لناشيهم أبا ، ولكهلمم أخا ، ولدى التقويس والكبرة أبنيا
فإنه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .

وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطبق ؛ فكلاهما توفر
حظها منهما كانت أفضل .

ومن أملح ما روينا في الموازنة وتعديل الأقسام مما يجب أن نختم به هذا
الباب قول ذى الرمة :

أستحدث الركب عن أشياءهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طرب ؟
لأن قوله « أستحدث الركب » مؤازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن
أشياءهم خبراً » موازن لقوله « من أطرابه طرب » وكذلك « الركب » موازن
« للقلب » وعن موازن لمن ، و « أشياءهم » موازن « أطرابه » وخبراً موازن لطرب .
وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :

لكفأك أندى من غيوم سواجم وعزّمك أمضى من حسام مهند
فكل لفظة من القسم الأول موازنة لأختها من القسم الآخر موازنة
عدل وتحقيق .

(٤٩) — باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام
ما ابتدأ به ، كقول بشار يصف هزيمة :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجى الفرار مثالبه

من أملح
الموازنة
وتعديل
الأقسام

حد التقسيم

فراح فريقٌ في الأسارى، ومثله قَتِيلٌ، ومثلٌ لآذٍ بالبحر هارب به
فألبيت الأول قسمان : إما موتٌ ، وإما حياة تورث عاراً ومثلية ، والبيت
الثاني ثلاثة أقسام : أسير ، وقتيل ، وهارب ؛ فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد
في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر .

ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم إلا أنه أكثر إيجازاً :

أُشْرَبَا ما شربتما فهذَّيلٌ من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد .

ومن التقسيم الجيد قول نُصَيْب :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم ، وفريق قال : ويحك ما ندرى ^(١)

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ؛ فاستوفى جميع الأقسام ، وزعم قوم أنه

أفضل بيت وقع فيه تقسيم .

ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش :

متى ماتقَعُ أرساغُهُ مطمئنةً على حَجَرٍ يرفضُ أو يتدحرج

فلم يُبقِ الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : يغوص في الأرض ، وذلك لا يلزم ؛

من جهة أن الحافر عند الجرى وسرعة المشي يقذف الحجر إلى وراء ، إلا أنه لو

أتى به لكان حسناً من أجل قوله « مطمئنة » .

ومن أشرف المنشور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل

لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت »

فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد .. وقال نافع بن خليفة « يا بني ،

اتقوا الله بطاعته ، واتقوا السلطان بحمته ، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم :

ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا إلا وقد أمرتنا به . . وقال أعرابي « إذا كان

الرأي عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه

(١) حفظي « وفريق : لئمن الله ما ندرى » واللام للابتداء ، وإين : مبتدأ حذف خبره .

من جيد
التقسيم

من جيد
التقسيم
في المنشور

ضاعت الأمور» وكان ثابت البناني يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما ؟ فقال : لأني بين نعمة وذنب ؛ فأحمد الله على النعمة ، وأستغفره من الذنوب . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ما ترك البدوي منكم أحداً إلا وقد سألته .

ثم نعود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :
وهبتها كشيء لم يكن ، أو كمنارح به الدار ، أو من غيبتها المقابر
فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .
وقال آخر ، وأحسبه أبا ذؤيب الجهمي أو طريقاً :
لو قلت للسيل دَعْ طريقك والبـموج عليه كالهَضْبِ يَغْتَلِجُ
لارتد ، أو ساخ ، أو لَكَانَ له في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ
ولا يدع السيل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء .
وقال أبو العتاهية :

عود إلى
جيد التقسيم
في الشعر

وعلى من كَلَّفَنِي بكم قَيْدُ وَجَامِعَةٍ وَغُلُ
فأتى على جميع ما يتخذ للأسور أو الجنون ولم يبق قسماً .
هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو
ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .

وزعم الحاتمي أن أصبح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعفي يصف فرساً :
أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٍ قموصٍ الوقع عارية النساء
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذا مثل سير حان الغضا
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا
بشرف الصفات :

أصبح
تقسيم

إذا أَقْبَلْتَ قِلْتَ دُبَاءً (١) من الخضر مغموسة في الغدر (٢)
 وإن أدبرت قِلْتُ أُنْفِيَةً مملئة ليس فيها أثر (٣)
 وإن أعرضت قِلْتُ سُرْعُوفَةً لها ذَنْبٌ خلفها مُسَبِّطٌ (٤)

ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه من بعض ، وقد صنعت على ضعف متني (٤) وتأخر وقتي :

إذا أقبلت أقمعت ، وإن أدبرت كبت وتعرض طولاً في العنان فتستوى
 وكلفت حاجاتي شبيهة طائر إذا انتشرت ظلت لها الأرض تنطوى
 ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادة تدريجاً وترتيباً فصعب
 لذلك على متعاطيه وقل جداً . . فأحسنه قول زهير بن أبي سلمى :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما صاروا اعتنقاً

فأني بجميع ما استعمل في وقت الهياج ، وزاد ممدوحه رتبة ، وتقدم به
 خطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويليه في بابه
 قول عنتره :

إن يلحقوا أكرز ، وإن يستلحموا أشد ، وإن يلقوا بضنك أنزل

ويروى « وإن يقفوا » ومما ينضاف إليهما قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

(١) دباء : هي في الأصل القرعة ، ومثلها الدبة — بفتح الدال والباء مشددة —
 وكفى بذلك عن لينها وطرائفها وانطوائها ، وقوله « مغموسة في الغدر » يريد به
 أنها ربي ، والغدر : جميع غدير ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليه من التكنية بالدبابة
 (٢) الأنفية : الصخرة المستديرة المجتمعة ، مملئة : متداخلة مدورة صلبة ،
 الأثر : أراد به الخدش .

(٣) سرعوفة : هي الجرادة ، مسبطر : طويل ممتد .

(٤) لعل الاوفق « على ضعف متني » .

إن يسمعوا الخير يُخَفُّوه، وإن سمعوا شراً أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبوا
وقال الحصين بن الحمام :

دفعناكم بالحلم حتى يَطرَتمُ وبالكَف حتى كان رفع الأصابع
فلما رأينا جهلكم غير مُنتَهٍ وما قدمضى من حكمكم غير راجع
مسسنا من الآباء شيئاً، وكنا إلى حَسَب في قومه غير واضح
فلما بلغنا الأمهات وجدتمُ بنى عمكم كانوا كرام المصاحمِ

كأنه يقول : نحن أكرم منكم أمهاتٍ ، فهذا هو التدريج في الشعر -
وبعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت : زعم أبو العيناء أن خير تقسيم
قيل قول ابن أبي ربيعة :

تهيم إلى نعيمٍ ؛ فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول، ولا أنت مُقصرُ
ولا قربُ نعم إن دنت منك نافعٌ، ولا نأُيها يسلى ، ولا أنت تصبرُ
واختار قوم آخرون قولَ الحارثي :

فلا كدى يَفنى ، ولا لك رقة ، ولا عنك إقصار ، ولا فيك مَطَمع
وزعم الفرزدق أن أكل بيت قالته العرب - أوقال : أجمع بيت - قول
امرئ القيس :

له أَيْطَلَا ظبي ، وساقا نعامةٍ وإرخاء سِرْحَانٍ، وتَقَرِّب تَهْفَل
وقال الأعشى يصف فرساً :

سلس مُقَلَّدُهُ ، أَسِيلٌ خَذَهُ، مَرِعَ جَنَابُهُ

وقال عمرو بن شأس :

مُدْمَجٌ سَابِغُ الضلوع طویلُ الشَّخْصِ عَظْبُ الشَّوَى مُمرُّ الأُعلى
وقال أبو دؤاد الإيادي :

يَعِيدُ مَدَى الطَّرْفِ خَاطِي البُضِيعِ - مُرَّ الْمَطَا سَهَرِي الْقَصَبِ^(١)
 هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف ، وسماء بعض الخذاق من أهل الصناعة
 التعقيب - العين قبل القاف - وأما التعقيب^(٢) فمكرهه في الكلام .

جمع الأوصاف
 (أو التعقيب)

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجباً بقول
 العباس بن الأحنف :

وَصَالِكُمْ صَرَمٌ وَخَبِكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَكُمْ حَرْبٌ
 ويقول : أَحْسَنَ وَاللَّهِ فِيمَا قَسَمَ حِينَ يَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ ضِدَّهُ ، وَاللَّهِ إِنْ هَذَا
 التَّقْسِيمُ لِأَحْسَنَ مِنْ تَقْسِيَّاتِ إقليدس ، حَكَى ذَلِكَ الصُّوْلَى . .
 ومن مליح التقسيم قول داود بن سلم^(٣) :

فِي بَاعِهِ طَوْلٌ ، وَفِي وَجْهِهِ نَوْرٌ ، وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
 فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .

من التقسيم
 التقطيع

ومن أنواع التقسيم التقطيع ، أنشد الجرجاني للناطقة الديباني :
 وَاللَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأَى أَهْلَ قَبِيَّةٍ أَضْرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعًا
 وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْبَرَ سَيِّدًا^(٤) وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعًا

(١) في عامة الأصول * خاطي البضع * وصوابه ما أثبتناه ،
 والخطي - بالحاء والظاء المعجمتين - الكثير اللحم المكتنز ، والبضيع - بفتح الباء وبعد
 الضادياء مشاة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن بري لدجنوس بنته لقيط :
 يَعدو به خاطي البضيع كأنه سمع أزل

(٢) في عامة الأصول التعقيب - بتقديم العين المهملة على القاف المثناة كالندي
 قبله - وهو خطأ وتصحيف ، والتعقيب في الكلام مثل التعجير ، وتقول : قعب فلان
 كلامه وقعره - بتضعيف العين فيهما - وهما بمعنى واحد .

(٣) في المطبوعات كلها «داود بن مسلم» والتصحيح عن الأغاني ١٥٣/٥ بولاف
 والبيت من خمسة أبيات مدح فيها قثم بن العباس وكان منقطعا إليه . والبيت في الأغاني

في وجهه بدر ، وفي كفه بحر ، وفي العرنين منه شمم
 (٤) في الديوان (ص ٧٤) * . . * وأكثر سيذا * بالياء المثناة

وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك :
 بيضُ مفازقنا ، تغلى مَرَّاجِلُنَا نَأْسُو بأموالنا آثار أيدينا
 وقال البحتري :

قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُمِينًا ، أَوْ عَازِرًا ^(١) أَوْ عَذُولًا
 ففصل وفصل كما تراه . وقال أبو الطيب :

فياشوقُ ما بقي ، ويألي من النوى ، ويادّمع ما أجرى ، ويقالِب ما أصنى
 ففصل كما فعل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن ، كل لفظتين ربع بيت ..
 وقال أيضًا :

لِلسَّبِي مَا نَكَّحُوا ، وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا ، وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا
 وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع
 عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابا عظيما . . وأنشد أبيات أبي
 المثلّم يرثي صَخْرَ النَعْيِ :

لو كان للذهر مال عند مثله لكان دهر صخر مال قنيان
 آبي المضيمية ، نابٍ بالعظيمة ، متالاف الكريمة ، لاسقطولان وان
 حامي الحقيقة ، نسأل الوريقة ، معساق الوسيقة ، جلد غير مُنْيَان ^(٢)
 ربّاء مَرَقِيَّة ، مناع مغلبة ركاب سَلْهَبَةٍ ، قطاع أقران ^(٣)

(١) في عامة الأصول « وغادرا » من الغدر - بالغين معجمة والذال مهملة -
 وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه .

(٢) الحقيقة : الراية ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أصلها
 الشجرة المورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والموسيقية : الإبل ، والثنيان - بضم الثاء
 وسكون النون - ومثله الثنى - بكسر الثاء - ما تكون منزلته بعد منزلة السيد .

(٣) رباء : صيغة المبالغة من « ربأ » إذا أشرف وصعد ، والمرقبة : النظرة في
 رأس الجبل ، أو هي الحصن ، والأخير أولى بالمراد من البيت ، يريد أنه مقدم قومه =

هَبَّاطٌ أودية ، حَمَّالٌ ألوية شَهَادٌ أنديّة ، سِرْحَانٌ فتَيَاتٌ
يعطيك مالا تكاد النفس تُسَلِّمه من التَّلَادِ وَهوبٌ غير مَنَّانٍ
وللقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرُونَ منه كراهة التكلف . قال^(١)
أبو دؤاد يصف فرسا ، وقيل : بل رجل من الأنصار :

فَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَابِحَةٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ^(٢)
وَالشَّدُّ مِنْهُمْ ، وَالْمَاءُ مُنْحَدِرٌ ، وَالْقَصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ^(٣)

وقال السكيت بن زيد في ذلك :

كَالِنَاطِقَاتِ الصَّادِقَاتِ الْوَاسِقَاتِ مِنَ الدَّخَائِرِ

= في لقاء العدو ، والغلبة : مصدر غلبه يغلبه غلبا وغلبة ومغلبا
ومغلبة ، والسلبة - ومثله السلهب بلاهاء - يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال
وطالت عظامه .

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لامرئ القيس في مادة (ق ص ر ب) ونقله
عنه صاحب اللسان ، ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لإبراهيم بن عمران
الأنصاري ، وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أثبتته ناشر
ديوان امرئ القيس للطبوع في ١٩٣٠ (ص ٣٥) .

(٢) ضارحة - بالضاد المعجمة والحاء المهملة - يريد أنها تضرح الحصى ، أى :
تنحيه وتبعده ، وقيل : معناه أنها واقعة إلى الأمام . سابحة : تسير بلطف وخفة
كمن يسبح في الماء ، أى : أنه لا يجهد راكبه ولا يتعبه ، وعريب : أسود ، وجمعه
غرايب .

(٣) الشد : العدو والجري ، والقصب - بضم القاف وسكون الصاد المهملة -
المعي ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : المراد به ههنا الخصر
وليس بعيداً مما قدمنا .

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله :

الناعماتِ القاتلاتِ الحَيَا تِ المَبْدِيَاتِ مِنَ الدَّلَالِ غَرَاثِبَا
وقال توبة بن الحَمِير، وفيه التقسيم والتبرصيع :
لَطِيفَاتِ أَقْدَامٍ ، نَبِيلَاتِ أَسْوَاقٍ لَقِيفَاتِ أَفْعَاذٍ ، دِرَاقٍ خُصُورُهَا
وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني :
كَأَنَّهُ قَمَرٌ ، أَوْضَيْعَمَ هَصِرٍ ، أَوْحَيَّةَ ذَكَرٍ ، أَوْعَارُضَ هَطَلٍ
وقال أيضا :

يُورِي بَزْنِدِكَ ، أَوْ يَسْعَى بِجَدِّكَ ، أَوْ يَفْرِي بِجَدِّكَ ، كُلُّ غَيْرٍ مَحْدُودٍ
ومن كلام أبي تمام ، وكان يجيد التصنيع :
تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي ، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي ، وَفَاضَ بِهِ ثَمْدِي ، وَأَوْرَى بِهِ زَنْدِي
وقال أيضا وَأَحْسَنَ مَا شَاءَ :

تَدِيرُ مَعْتَصِمٌ ، بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ ، لِلَّهِ مَرْتَقِبٌ ، فِي اللَّهِ مَرْتَعِبٌ

وقال أيضا في غير هذا النمط :

عَنْ ثَامِرٍ ضَافٍ ، وَنَبَتْ قَرَارَةٌ وَافٍ ، وَنُورُ كَالْمَرَاجِلِ خَافٍ
المَرَاجِلُ : ثِيَابٌ . . وقال كشاجم :

هَلَالٌ فِي إِضَاءَتِهِ * حَيَاءٌ فِي سِمَاحَتِهِ * شَهَابٌ فِي اتِّقَادِهِ

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن :

حُرَّ الإِهَابِ وَسَيْمُهُ ، رَثُّ الإِيَا بَ كَرِيمِهِ ، مَحْضُ النَّصَابِ صَمِيمُهُ
فَأَكْثَرَ الْبَيْتِ تَرْصِيعَ كَيْفَ مَا أَدْرَتْهُ ^(١) . .

وكان المذهب الأول وهو الحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما

قال امرؤ القيس :

(١) في عامة الأصول « كيفما أردته .

وأوتأده ماذية^(١) ، وعماده رُدِينِيَّة ، فيها أَسِنَّةُ قَعَصَب^(٢)
وكما قال امرؤ القيس^(٣) :

كحلاء في بَرَج ، صفراء في نَعَج ، كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ^(٤)
وأما ما هو شبيهه بالمسجوع فقول امرئ القيس :
فَتَوَرُّ الْقِيَامِ ، قَطْعُ الْكَلَامِ ، تَفْتَرُّ عَنْ ذِي غُرُوبٍ أَشْرُ^(٥)
وقوله * أَلَصُّ الضُّرُوسِ ، حَنِيُّ الضُّلُوعِ^(٥) *
نجاء فتور في وزن قطوع ، وكذلك الضروس والضلوع ، وألص وحنى .

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الحيمة . والماذية : هي الدروع البيض
وقيل : السلاح كله . والعماد : الحشب التي ترفع عليها الخيام . والردينية : الرماح
المنسوبة إلى ردينة . وقعصب : رجل كان يصنع الأسنة .
(٢) لم أجد في شعر امرئ القيس هذا البيت ، ولا وجدته منسوباً إليه فيما
بين يدي من المراجع ، وهذا البيت مشهور لدى الرمة ، وهو في ديوانه (ص ١٢)
من قصيدته التي أولها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كل مفرية سرب
والعبارة المذكورة في الأصل تفيد أنها من وضع النساخ ، فإن عادة مؤلف
الكتاب أن يقول في مثل هذا الموضع : « وكقوله أيضاً » ؛ لأن الشاهد السابق
لامرئ القيس ، فتنبه ، وسيستدل به المؤلف مرة أخرى في باب الاشتراك وينسبه
لدى الرمة على الصواب .

(٣) البرج - بفتح الباء والراء جميعاً - تباعد ما بين الحاجبين ، والنعج -
بفتحين أيضاً - حسن اللون ، قال الجوهري : « نعج ينعج نعجا مثل طلب يطلب
طلبا وامرأة ناعجة حسنة اللون » اهـ وقيل النعج : الايضاض الخالص ، ويبعد
أن يراد هنا .

(٤) فتور القيام : متراخية متكاملة غير وثابة . قطوع الكلام : قليلته ، تفتري :
تبسم ، ذي غروب : فم حر الأسنان رقيق الماء ، أشر : روى في مكانه خصر
(٥) تمامه * تبوع طلوع نشيط أشر *

ثم أدخل المولدون في هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيماً ، وذلك نحو قول أبي العميثل الأعرجي :

فاصدق وعفّ وجد وأنصف واحتمل واصفح ودّارٍ وكأفٍ واخلمُ وأشجع
والطف ولين وتأنّ وأرقق وأتشدّ واحزم وجدّ وحامٍ واحلّ وادفع
وكقول ديك الجن :

اخلُ وامرُرْ، وضُرّ وانفع ولين وأخشن ورشٍ وأبرٍ وأنتدب للمعالى
وقول أبي الطيب :

أقلّ أنلّ اقطع أحمل عل سل أعد زدأ هشّ بشّ تفضلّ أذنُ سرّ صل
ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع :

عشّ ابق أممُ سدّ قدّ جدّ مرّ أنه رةٍ فيه أسرٍ نلّ

غِظِ أرم صُبِ احم اغزُ اسبِ رُعْ زعْ دلِ اثن بل

فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ، ولا بد من شرحها . . قوله «عش ابق»

دعاء له بالعيش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة : أى دم هكذا ،
وقد : من قود الخليل ، وجد : من الجود والسباح ، أو من الجود وهو المطر الغزير ،
مرانه : من الأمر والنهى ، رة : من الوري تثبت الماء فيه أظنه في الخطدون اللفظ ،
على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلاهاء لثلاث يخالف العادة وتقع كلمة
على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف : أى أصنع ذلك بإعدادك وحسادك ، فهـ :
من الوفاء ، وأسـ : من سرى الليل ، يصفه بالعزم والغارات ، ونل : من النيل
والإدراك ، أى : نلّ ما تحب ، وروى نلّ [أى] أعط ، من النول ، ويقال : نلّته
إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ، ويروى «عظ» من الوعظ ، وارم : من
رمى العدو بالمكاييد وغيرها ، وصُب : من صاب المطرُ والسهمُ ، واحم : من حميت
المكان ، واغز : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورُع : من الروع ، وزع : من
وزعت ، أى : كففت ، ود : من الدية ، ولـ : من الولاية للأمور ، وقد يكون من

من المطر الولي ، وائن : من نني أضداده إذا رَدَّهم ، وبل : من الوابل ، وهذه غاية المقت والبغاضة وإن كان ولا بد فقله أيضا :

دانٍ بعيدٌ ، مُحِبٌّ مبغضٌ ، بهيجٌ أغرٌ ، حلومرٌ ، كَيْنٌ شرسٌ
ندى أبى غريٌ وافي أخو ثقة جعد بريٌ نه ندب رِضاً ندسٌ
ندى : من الندى ، وغري : من غري به ، ونه : من النهى ، وأصل هذا كله
من قول امرئ القيس :

أَفَادَ فَجَادَ ، وشَادَ فَزَادَ وَقَادَ فَذَادَ ، وَعَادَ فَأَفْضَلَ

٥٠ - باب التسميم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل : إن الذي سماه تسيماً على بن هارون الاختلاف في
المنجم ، وأما ابن وكيع فسماه المطمع ، وهو أنواع : منه ما يشبه المقابلة ، وهو الذي
اختاره الحاتمي ، نحو قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب :

فأقسم يا عمرو لو نبهأك إذا نبها منك داء عضالاً
إذا نبها ليث عريسة مُفَيْتاً مُفِيداً نُفُوساً ومالاً^(١)
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالاً^(٢)

(١) العريسة - بكسر العين المهملة وتشديد الراء - الشجر الملتف ، وهو مأوى
الأسد في خيسه ، ومنه قولهم * كبتغى الصيد في عريسة الأسد * ويقال
« عريس » أيضاً بلاتاء .

(٢) خرق - بفتح فسكون - المكان الواسع تتخرق فيه الرياح ، أرادت
الفلاة . والوجناء : الناقة . والحرف : المهزولة ، ولا يقال جل حرف ، وإنما يقال
ناقة حرف ، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء ، وهو
الألف ، تشكى : أصله تشكى ، فحذف إحدى تاءيه . والكلال : التعب والإعياء .

فكنت النهار به شمسهُ وكنت دُجَى اللَّيْلِ فيه الهللاً
أردتُ قولها « مفيتاً، نفوساً ومفيداً مالا » فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً
بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت
الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجلته قرأ .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته ، وشاهدنا بها
دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعى ، وهو قوله :

وإن وُزِنَ أَخْصَى فوزنتُ قومي وجدت حَصَى ضَرِبَتْهُمْ رَزِينَا

فهذا النوع الثانى هو أجود من الأول للطف موقعه .

والنوع الثالث شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل
بينهما فرقاً .. وأنشد للعباس بن مرداس :

هُمْ سَوَّدُوا هَجْنًا وَكَلَّ قَبِيلَةٌ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا

وقال نصيب الأكبر مولى بنى مروان :

وقد أيقنتُ أن سَتَبِينَ لَيْلى وَتُحَجَّبُ عَنْكَ إِن نَفَعَ اليَقِينُ

وإن تأملت قوافى ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعى
وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لأن كل واحد منهما
مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك المجانسة ، والقافية في
بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أعجب وأغرب ،
وتمكنها أشد وأوكد .

وقد حكى أن ابن أبى ربيعة جلس إلى ابن عباس رضى الله عنه ، فابتدأ ينشده :

* تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا *

فقال ابن عباس :

* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ *

فقال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق المفصل ، وأصاب
شكلة الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،
واجتنب « أشط » لأنه لا يتزن ولا يستعمل ، وعدا عن أن يقول « أبرح »
وما شاكله رغبة فى قرب المأخذ ، وسلوكا لطريق النصيحة ، وإتيانا بالمتعارف
المعتاد المتعاهد .

ويحكى عن عدي بن الرقاع أنه أنشد فى صفة الظبية وولدها:
* تَزْجِي أَغْنَّ كَأَنَّ لِبَرَّةَ رَوْقِهِ ^(١) *

فغفل المدوح عنه، فسكت ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ فقال :
يقول :

* قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

وأقبل عليه المدوح فأنشد كما قال جرير لم يُغَادِرَ حَرْفًا .. وقالت الخنساء :
بييض الصَّفَّاحِ وَتُسْمِرُ الرِّمَاءَ ح بالبيض ضرباً وبالسمر وَخَزَا
وقالت أيضاً فى نحو ذلك :

ونلبس فى الحرب نَسَجَ الحديد ونلبس فى السِّلْمِ خَزَا وَفَزَا
وقال حريث بن مُحَفَّض :

فَإِنْ يَكُ طَعَنُ بِالرُّدَيْنِ يَطْعَنُوا وَإِنْ يَكُ ضَرَبُ بِالْمِهْنِ يَضْرِبُوا

وقال ابن الدمينه - واسمه عبد الله بن عبيد الله [أحد بنى عامر ^(٢)] الخثعمى:
وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينَ لَدَاءَ شَغْبَةٍ كَمَا أَنَا بِالْوَاشِي أَلَدُ شُغُوبُ

(١) الروق - بفتح الراء وسكون الواو - القرن ، وإبرته : طرفه ، على
التشبيه . (٢) فى الأصول « بن عبيد الله بن عبد الخثعمى »

وكوني إذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا على صليب
فاليبتان جميعاً مُسَهَّمَان . وقال دعبل

وإذا عاندنا ذو نخوة غَضِبَ الروحُ عليه فخرج

فعلى أيماننا يجري الندى وعلى أسيافنا تجري المهج

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما.

ومن جيد التسميم قول بعضهم :

من جيد
التسميم

هلو أننى أُعْطِيتُ مِنْ دَهْرِي الْمَنَى وما كل من يعطى المنى بمسد

لقلت لأيام مضين : ألا أرجى وقلت لأيام أتين : ألا أبعدى

وكذلك قول الآخر وهو مليح :

حبيبي غداً لا شك فيه مودعُ فوالله ما أدري به كيف أصنع

فيا يومُ لا أدبرت هل لك تحبس ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع

إذ لم أشيعهُ تَقَطَّعَتْ حَسْرَةٌ وواكبدي إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية إلا من تسميم البرود ، وهو

مأخذ التسميم
والتوشيح

أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته

توشيحاً فمن تَعَطَّفِ أثناء الشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن

يكون من شاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلعلهم شبهوا

هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وعيره إنما هي من هذا ،

وبعض الناس يقول : إن التوشيح بالجيم ، فإن صح ذلك فإنما يجيء من

« وَشَجَّتِ العروقُ » إذا اشتبكت ، فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ..

فأما تسميته المَطْمَعُ فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حوّل

امتنع وبعُدَ مرَّامُه .

(٥١) - باب التفسير

وهو : أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً ، وقل ما يجيء هذا إلا في حد التفسير أكثر من بيت واحد ، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة :

لقد جثت قوماً لو تجأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مفرم
لألفيت منهم معطياً ومطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه ، إلا أنه غريب مريب ؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخرًا ؛ فجاء فيه بعض التقصير والإشكال ، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام .

وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لا أنه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذي أنشده سيبويه :

خَوَّيَ عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ خَمْسٍ كَرَكْرَكَةٍ وَثَنَاتٍ مُلْسٍ^(١)

لأن هذا وإن كان كالبيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد قول^(٢) حاتم الطائي ، ويروى لعتيبة بن مرداس :

من جيد التفسير

(١) يقال للناقة إذا بركت فتجافى بطنها في بروكها لضمها : قد خوت - بتشديد الواو - وقد كثرت ذلك حتى صاروا يقولون للابل إذا خست بطونها وارتفعت : قد خوت ، والكركرة - بكسر الكافين بينهما راء مهملة ما كنة - رحي زور البعير والناقة ، وقيل : هو الصدر من كل ذي خف ، والثففات : جمع ثفنة ، بفتح فكسر - وهى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين ، وقيل : هو كل ماولى الأرض من كل ذي أربع إذا برك أو ربض ، وتعد الكركرة إحدى الثففات ، وهن خمس .

(٢) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن بري وقد أنشد البيت الثالث ، قال : « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده في شعره » اهـ

متى ما يجيء يوما إلى المال وارثي يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صَفَرٍ
يَجِدُ فَرَسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا حَسَامًا إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبَرِ^(١)
وَأَسْمَرَ خَطِيًّا كَانَ كُؤُوبُهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ^(٢)

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين ؛ لأنه لم يعلق كلامه
بلو كما فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً ؛ فلهذا حسن عندى . .
ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأ يرجو تراثي وإن ما يصيرُ له منه غداً لقليلُ
ومالٍ مال غير دِرَجٍ ومِنْفَرٍ وأبيض من ماء الحديدِ صقيلُ
وَأَسْمَرُ خَطَى الْقَنَاةِ مُثَقَّفُ وأجردُ عريان السراةِ طويلُ
هكذا أنشدوه بالإقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار ، كأنه قال :
هو صقيل ، أو قال : ولى أبيض من ماء الحديد ، يعنى سيفه .
وقال ذو الرمة فى التفسير :

وليلٍ كجلباب العروس أدرعته بأربعة والشخصُ فى العين واحد
أحمٌ علافى ، وأبيض صارم وأعيس مهزى ، وأروع ماجد
ففسر الأربعة ما هى ، ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار ، كأنه
قيل له : ما الأربعة التى شخصها فى العين واحد ؟ فقال : كذا وكذا وكذا ...
ومن التفسير ما يفسر الأ كثر فيه بالأقل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار :

(٢) الهبر - بفتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا يقنع بالضرب
فى اللحم حتى يصل إلى العظم .

(٣) القسب - بفتح فسكون - التمر اليابس ، قال الليث : ومن قاله بالصاد
قد أخطأ ، ونوى القسب : أصاب النوى . والقسب : الصلب الشديد . وأربى
كأربى .

وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :
 من مبلغ الأعراب أنى بعدها جالست رَسَطَاليس والإسكندرا
 ومالت محرّ عِشارها فأضافى من ينحر البدرَ النَّضَارَ لمن قرى
 وسمعت بظليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا
 ولقيت كل الفضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا
 نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت مؤخرا
 فقوله * نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت * تفسير
 مليح قليل النظير في أشعار الناس . .

وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت :
 أتى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح
 وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال :
 إذا عدّ الكرام فتلك عجل كما الأنواء حين تعد عام
 فهذا الذى كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .
 ونظيره قوله أيضاً :
 مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد
 فجاء به أيضاً في بيت واحد .
 وكذلك قول امرئ القيس :
 فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
 ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

فأرسلنا ربيتنا فاوى فقال : ألا أولى خمس رنوع
 رباعية وقارحها وجحش وثالثة وهادية زموع
 ففسر ما هى ، وأنها الغلبة التأنيث على اسم الدواب . .
 وقال مالك بن خريم ، وقيل : حريم :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبليت على نفسى مناقبَ أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة إذا ما سَوَّام الحى حَوَّلِي تَضَوُّعا
وثانية أن لا تُفَزَّعَ جارتى إذا كان جار القوم فيهم مُفَزَّعا
وثالثة أن لا أصمَّتْ كلبنا إذا نزل الأضياف حِرْصاً لنودعا
ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لحمها حين الشتاء لنَشْبَعَا
«أحجل» أستر، أجعلها في حجلة لتخفى عن الجار رغبة أن نشبع، ولكن أبرزها
وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن مسعدة -
عن المأمون « أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصاييح في
شهر رمضان ؛ فإن في ذلك أنساً للسابلة ، وضياء للمجتهدين ، ونفياً لمكامن
الريب ، وتزيهياً لبيوت الله عز وجل عن وَحْشَةِ الظلم » .
ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب :

فتى كالسحاب الجون يُخَشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى الحيا منه وتُخَشَى الصواعقُ
فإنه قد أحكمه أشدَّ إحكام ، وجاء به أحسن مجيء ، حتى أربى على
البحترى إذ يقول :

بأروع من طىَّ كأن قيصه يُرْزَى على الشيخين زيد وحاتم
سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا إذا اجتماعا في العارض المتراكم
وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله . .
وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى : (وهو الذى يريكُم البرقَ خَوْفاً وطمعاً).
وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :
إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا فى الخط واللفظ والهيجاء فرساناً
ففسر وقابل كل نوع بما يليق به ، من غير تقديم ولا تأخير ، كالذى وقع أولاً
فى بيتى الفرزدق . .

ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :

في فِها مِسْكٌ ، وَمَشْمُولَةٌ صِرْفٌ ، ومنظوم من الدر
فالمسك للمسكفة والخمر للريقة واللؤلؤ للشعر
وهذا من ملبح ما وقع للمحدثين .
وقال لقمان لابنه : إياك والبكسل والصَّجَرُ ، فإنك إذا كسلت لم تؤد
حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(٥٢)- باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع
أورجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ، وإن تبادى فذلك خروج ، وأكثر
الناس يسمى الجميع استطراداً ، والصواب ما بينته . .
وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول :
ومحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامر وسلول
يُقَرَّبُ حبُّ الموت آجالنا لنا وتُعَكَّرُ آجالهم فتطول
واتبعه الناس ، فقال الفرزدق وأجاد :
كَأَنَّ قَقَّاحَ الْأَسَدِ حَوْلَ ابْنِ مَسْمَعٍ إِذَا اجْتَمَعُوا^(١) أَفْوَاهَ بَكْرٍ بَنِ وَائِلِ
ثُمَّ أَتَى جَرِيرٌ فَأَبْرَأَنِي وَزَادَ بِقَوْلِهِ :
لَمَّا وَضَعْتَ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسِمِي وَضَعَا الْبَيْعِثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
فَهَجَا وَاحِداً وَاسْتَطَرَدَ بَاثْنَيْنِ . .
وقال مخارق بن شهاب المازني يصف مِعْزَى :
تَرَى ضَيْفَهَا فِيهَا يَبِيتُ بَغِطَةً وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ
فَوَفَدَ ابْنُ قَيْسٍ هَذَا عَلَى النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ فَقَالَ : كَيْفَ الْمَخَارِقُ بْنُ شَهَابِ

(١) في نسخة « حول بيوتهم إذا حلبوا » .

فيكم؟ فقال : سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .
ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي ، ويروي لبشار بن برد
وهو أصح :

خليلى من كذب أعيناً أخا كما على دهره ، إن الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قرعة ؛ إنه تخافة أن يرُجى نداء حزين
إذا جثته فى القرط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمين
ويروى * فى حاجة سد بابه * وأنشد البحتري أبو تمام لنفسه فى صفة فرس
واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي :

وسامح هطل التمداء هتان على الجراء أمين غير خوان
أظلى الفصوص وما تظلى قوائمه فخل عينيك فى ظمان ريان
فلو تراه مشيحاً والخصى زيم تحت السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
فقال له : أتدرى ما هذا من الشعر؟ قال : لا أدري ، قال : هذا الاستطراد ،
أو قال : المستطرد .

قال الحاتمي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،
كقول زهير :

إن البخيل ملومٌ حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم
فسمى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد فى الخروج بالاستطراد من
مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

عرضتُ عليها ما أرادت من المنى لترضى ، فقالت : قم فجننى بكوكب
فقلتُ لها : هذا التعتُّ كاه كن يتشهى لحم عنقاء مغرب
سلى كلَّ أمر يستقيم طلابه ولا تسألى يادر فى كل مذهب
فأقسمُ لو أصبحت فى عز مالك وقدرته أعبى بما رُمتِ مطلبى

فَسَقَى شَقِيئَ أَمْوَالِهِ بُعْثَاتِهِ كَمَا شَقِيئَ قَيْسٍ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

فهذا مليح : أوله خروج ، وآخره استطرادٌ ، وملاحظته أن مالكاً من بني تغلب
فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي ،
ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور :

يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتِكُ وَشَيْبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس
القصود فيه مدحاً ولا هجاءً للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية
لاغير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فريكز ، وكذلك الشاعر
يريد أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر من الاستطراد
الإدماج لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للمعتضد :

أَبَى الدَّهْرُ مِنْ إِسْعَافِنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِيهِمْ نَحْبُ وَنَكْرَمُ

فَقُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا ؛ إِنَّ الْمَهْمَ الْمَقْدَمُ

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من
عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ يَرُدُّ فِيهِ النَّظَرَ ، فقال : لِمَاكَ فَكَّرْتَ فِي تَرْدِيدِ النَّظَرِ فِي هَذَا
الْكِتَابِ ، قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : إِنِّي عَجَبْتُ مِنْ بِلَاغَتِهِ وَاحْتِيَالِهِ
لِمَرَادِهِ « كَتَبْتَ كِتَابِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَمَنْ قَبْلِي مِنْ قَوَادِهِ وَأَجْنَادِهِ فِي
الطَّاعَةِ وَالْإِتْقَانِ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ طَاعَةُ جَنْدٍ تَأَخَّرَتْ أَرْزَاقُهُمْ وَاخْتَلَتْ
أَحْوَالُهُمْ » أَلَا تَرَى يَا أَحْمَدُ إِدْمَاجَهُ الْمَسْأَلَةَ فِي الْإِخْبَارِ ، وَإِعْقَاءَهُ سُلْطَانَهُ مِنْ

الإكثار ؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب .

٥٣ - باب التفریع

حد التفریع
ومنزله من
الاستطراد

وهو من الاستطراد كالتدریج من التقسیم ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً ، نحو قول السكيت :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفى بها السكيب^(١)

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز :

كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرّع منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده فرّع كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساقى كأس :

فكأن حُمرَ لونها من خده وكان طيب نسيمها من نشره

حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثغره

ما زال ينجزني مواعيد عينه فمه ، وأحسب ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفریع ، والبيت الآخر ليس بتفریع جيد ؛

لأن الحُمرَ نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفریع أن يكون الآخر من

الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصّد المدح ، وفي القبح إن

قصّد القم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة .

ومثل بيت ابن المعتز قول البحتری :

(١) قال صاحب اللسان وأنشد هذا البيت : « قال اللحياني : الرجل السكيب

يعض إنساناً ، فيأتون رجلاً شريفاً فيقطر لهم من دم أصبعه فيسقون السكيب

فيبرأ » ٥١ .

وإذا تألق في النَّدَى كَلَامُهُ المصقولُ خلتَ لسانه من عَضِيهِ
لأن حق العَضْبِ في باب المدح أن اللسان أمضى منه . .

ومن التفريع الجيد قول الصنوبري :

ما أخطأت نوباته^(١) من صُدْغِه شيئا ، ولا ألفاته من قـدِه
وكانما أنفاسُه من شعـره وكانما قرطاسُه من جلده
فانظر إليه كيف يزيده رتبة في الجودة كلما فرع .

ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة : فقال كأن خطها أشكال، صورتها ، وكأن
بيانها سحر مقلتها ، وكأن سكينها غنج لحظها، وكان مدادها سواد شعرها ، وكأن
قرطاسها أديم وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان مِقطها قلب عاشقها .
وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتباً أنشده الصولي في أبيات :
كأن دواته^(٢) من ريقٍ فيه تَلَاقُ فَتَشْرُها أبدأ كَرِيه
وقال كشاجم :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفة نسبته للعليـلِ موصوفه
لو بَدَّلَ الله قلبه غنما ما طمع الناس منه في صوفه
ومن لطيف التفريع قول أبي الطيب يصف ليلا :

أقلبُ فيه أجناني كأني أعدُّ بها على الدَّهرِ الذُّنوباً
بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده . .
وقال فبرد :

ولو نقصتُ كما قد زِدْتُ من شرف على الوري لأوتني مثل شانيكا

(١) في عامة الأصول « نوباته » وهو تحريف شنيع .

(٢) في المصريتين « ذواته » وما أقبحه من تحريف .

هذا التفريع للملعون . . وقال محمد بن وهب :

طللان طالَ عليهما الأمد دَنَرَا فلا عِلْمَ ولا نضد
لَيْسَا البلى فكأنما وَجَدَا بعدَ الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس :

تَمَحُّجُ البديهةِ ليس يُنْسِكُ لفظُهُ فكأنما أَلْفَاظُهُ من مَالِهِ
وكأنما عَزَمَاتُهُ وسيوفُهُ من حَدَّثَنَ خلقن من إقباله
متبسمٌ في الخطبِ تحسب أنه تحت العجاج مُلْتَمِسٌ بفعاله

وأخبرنا ما سمعته في هذا الباب قولُ ابن الرومي يهجو رجلا :

له سائسٌ ماهرٌ يحولُ على مَتْنِهِ
ويطعنُ في دبره أفانينَ من طعنه
بأطولَ من قرنيه وأغلظَ من ذهنه

ومن التفريع أيضا قول أبي الطيب على غير هذا النظام :

أسير إلى أقطاعه في ثيابه على طَرَفِهِ من داره مُحْسَامُهُ
وما مَطَرَتْ نِيزِهِ من البيض والقنا وروم العبيدِ^(١) هاطلات غمامه

فهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام :

فقالوا : فما أولاك ؟ صِفْ بَعْضَ نَيْلِهِ فقلت لهم : من عنده كلُّ ما عندي
وأصله من قول أبي نواس :

* فكلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ *

يصف كلب صيد .

(١) العبدى — بتشديد الدال مفتوحة — العبيد ، جمع عبد .

٥٤ - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماءُ آخرون الاستدراك ، حكاة قدامة ، حد الالتفات
والاختلاف
في تسميته وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ، كقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ
فقوله * وأنت منهم * اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ، وجعله باباً على حديثه بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما .
قال النابغة الذبياني :

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو عَبْسٍ بَأْنِيَّ - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السَّنِّ قَانِي
فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ، ورواه آخرون للجعدى * ألا زعمت بنو كعب * وهو أشبه بالجعدى ؛ لأنه أعلى سنامنه ؛ فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ، وكذلك ما يجري مجراه .

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب :
فَظَلُّوا يَوْمَ - دَعَا أَخَاكَ بِمَثَلِهِ - عَلَى مَشْرِعٍ يَرُودُ وَلَمَّا بَصُرْدُ
فقولك * دعا أخاك بمثله * التفات مליح .
وقال جرير يرثي امرأته أم حَزْرَةَ :
نَعْمَ الْقَرِينَ - وَكُنْتُ عِلْقَ مِضْنَةٍ - وَارَى بِنَعْفٍ بَلِيَّةَ الْأَحْجَارِ
فقوله * وكنت علق مضنة * هو الالتفات .

وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر :
إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَّغْتَهُنَّ - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانِ
فقوله * وبلغتها * التفات ، وقد عده جماعة من الناس تنمياً ، والالتفات

أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانتهازاً ، ولم يكن لك في خلدٍ فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعدُ إن شئت ، والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه .

يجيء الالتفات
آخر البيت

وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس :
أبعدَ الحارثِ الملكِ بن عمرو له ملكُ العراقِ إلى عمان
نجاورةً بني شَمَجَى بن جَرْمٍ هواناً ما أتيح من الهوان
ويمنحها بنو شَمَجَى بن جرمٍ مَعِيزَهُمْ ، حنانك ذا الحنان
فقوله * ما أتيح من الهوان * وقوله * حنانك ذا الحنان * الالتفات
وحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : قال لي الأصمى : أتعرف التفات جبرير ؟
قلت : وما هو ؟ فأنشدني

أُنسى إذْ تُودُّعُنَا سُلَيْمِيْ بَعْدَ بَشَامَةٍ ، سُقِيَ الْبَشَامُ !
ثم قال : أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفّت إلى البشام فدعا له ، وأنشد له
عبد الله بن المعتز :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بَذَى طَلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيْتَاهَا الْخِيَامُ .
وأنشد له أيضاً ابن المعتز :

طَرِبَ الْحَمَامُ بَذَى الْأَرَاكِ فَهَاجَنِي لَا زِلْتَ فِي غُلْلِ وَأُپْكِ نَاصِرٍ
لم يعد ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام
وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى مخاطبة ، ومن مخاطبة إلى الإخبار » وتلا قوله تعالى : (حتى إذا كنتم في الملكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) .

وأنشد غيره لأبي عطاء السندی يرثي يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لا تبتعدُ على متعهدٍ بلى كلُّ مائت تحت الترابِ بعيد
وهذا هو الاستدراكُ، ومثله قول زهير :

حتىَّ الديارِ التي لم يبلها القدم بلى ، وَغَيْرَهَا الأرواحُ والدِّيمُ
وكذلك قول جرير :

غداً بأجماعِ الحىِّ تُقضىُّ لُبانةُ فأقسم لا تُقضىُّ لباتنا غداً
وأنشد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار :

نبئت فاضحَ قومه يفتابني عند الأمير ، وهل على أمير ؟
ومن مليح ما سمعته قول نصيب :

وددتُ - ولم أخلق من الطير - أننى أعارُ جناحى طائر فأطيرُ
فقوله * ولم أخلق من الطير * عجب ، ولما سمعتِ التى قيل فيها هذا البيت
تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبى عتيق : أوه قد والله أجبتهُ بأحسن من شعره ،
والله لو سمعك لَنَمَقَ وطار ، فجعله غراباً لسواده .

وأنشد الصولى للعباس بن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدورِ والغضبِ
إن تم ذا الهجر يا ظلوم ، فلا تم ، فافى العيش من أربِ
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .
ومن المليح أيضاً قول القحيف^(١) بن سليمان العقيلي :

أمنكم يا حنيف - نعم لعمري - لحي مخضوبةٌ ودمٌ سجال
يخاطب ابنه . وقال عدى بن زيد العبادى وهو فى حبس النعمان يخاطب
ابنه زيدا ويحرضه :

فلو كنتَ الأسيرَ ، ولا تَكُنْهُ ، إذا عَلِمْتَ مَعْدُ ما أقول

(١) فى عامة الأصول « النحيف » بالنون ، وهو تحريف .

(٥٥) - باب الاستثناء

تسميته وحده وابن المعتز يسميه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وذلك نحو قول النابغة الذبياني :

وَلَا غَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ يَهِنٌ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ
فَجَعَلَ فَلَوْلَ السَّيْفِ عَيْبًا ، وَهُوَ أَوْ كَدٌ فِي الْمَدْحِ . .
وقال النابغة الجعدي :

فَتَى كَمُلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء
ثم وزاد كالا وتأكدا حسنه . .
وكذلك قوله :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
فكأنه لما كان فيه ما يسوء أَعَادِيَهُ لم يطلق عليه أنه يسر فقط ، وذلك زيادة
في ١٠ حه ، وليس هذا الاستثناء على ما رتبته النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء
المعروفة ، وإنما سمي اصطلاحاً وتقريباً ، سماه هؤلاء المحدثون نحو الخاتمي وأصحابه
ولم يسم حقيقة . .

ومن مליح هذا النوع قول أبي هفان [و] قد تقدم به وَجَوْدَ غَايَةِ التَّجْوِيدِ :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنْ سَمَّاحَنَا أَضْرَبْنَا ، وَالْبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَحَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبٍ

فقوله إن السامح والباس أضربهم ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن تأكيد
مدح ، والمليح كل المليح قوله « غير ظالم ، وغير عائب » فهذا الثاني أعجب من
الأول والطف موقفاً . . وقال آخر :

من مليح
هذا النوع

ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشر كرام ، وأنا لا نخطُّ على النمل^(١)
 فقصر من جهة قوله * غير عرق لمعشر كرام * لأن سبيل هذا الباب أن يؤثر
 فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل فخراً وفضلاً ، كالفُلُول في
 سيوف النابغة الذبياني ، وإتلاف المال في شعر الجعدي ، وترك الخط على النمل في شعر
 لآخر وأنهم لا يشفون صاحبها ، وهى داء واحدتها النملة ، وأما ذكر السكرم فلا
 وجه له ههنا .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي :

لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شِبْهِهِ
 فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤسسه عيباً ؛ فهو
 يزيد تأكيد حسنه .

وقال حاتم الطائي :

وَمَا تَتَشَكَّى جَارَتِي غَيْرَ أَنِّي إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أُرَوِّرُهَا

(١) قال ابن منظور : « النمل : قروح في الجنب وغيره ، ودواؤه أن يرق
 بريق ابن المجوسى من أخته ، تقول المجوس ذلك . . . ثم أشد هذا البيت . .
 أنى : لسنا بمجوس تنكح الأخوات . قال أبو العباس : وأنشدنا ابن الأعرابي
 هذا البيت ، وفسره أنا كرام ولا نأتى بيوت النمل في الجذب لنحفر على ما جمع لنا كله
 . . . وقال الجوهري : النمل : بثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيسعى
 ويتسع ، ويسمى الأطباء الدناب ، وتقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من
 أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وفي الحديث : « لارقة إلا في ثلاث : النملة
 والحمة والنفس » اه كلامه بحروفه . والتفسير الذى ذكره أولاً ثم نقله بعد عن
 الجوهري هو المطابق لما ذكره المؤلف هنا ، وهو للوافق لقول الشاعر * غير
 عرق لمعشر كرام * فإنهم كانوا يعدون غير العرب ليسوا من السكرم فى شيء ،
 ومنه تعلم أن اعتبار المؤلف ذكر السكرم مما لا وجه له فى الكلام غير سديد ، هذا
 وفى رواية ابن منظور للبيت * غير نسل لمعشر * ورواية المؤلف أقرب .

سِيلُغَهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ أَهْلَهَا إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَى سُتُورِهَا
لَمَّا كَانَ فِي تَرْكِ الزَّيَارَةِ إِشْكَالَ بَيِّنٍ مُرَادِهِ .

وَمِنْ أَصْحَابِ التَّأْلِيفِ مَنْ يَعْدُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا نَاسِبَ قُرْلِ الشَّاعِرِ :
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ
وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ ضَبِيعٍ الْفَزَارِيُّ :

فَقِنِيتُ وَمَا يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطَقِي وَكُلُّ أَمْرٍ إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَإِنِّي
وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ عِنْدِي ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِرَاسِ وَالْإِحْتِيَاظِ ؛ فَلَوْ
أَدْخَلْنَا فِي هَذَا الْبَابِ كُلَّ مَا وَقَعَ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ لَطَالَ ، وَنَخْرَجْنَا فِيهِ عَنْ قَصْدِهِ وَغَرَضِهِ
وَلِكُلِّ نَوْعٍ مَوْضِعٌ .

(٥٦) - بَابُ التَّمِيمِ

وَهُوَ التَّمَامُ أَيْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَسْمِي ضَرْبًا مِنْهُ إِحْتِرَاسًا وَإِحْتِيَاظًا .
وَمَعْنَى التَّمِيمِ : أَنْ يُحَاوِلَ الشَّاعِرُ مَعْنَى ، فَلَا يَدْعُ شَيْئًا يَتِمُّ بِهِ حَسَنُهُ إِلَّا أَوْرَدَهُ
وَأَتَى بِهِ : إِمَامِبَالِغَةً ، وَإِمَا إِحْتِيَاظًا وَإِحْتِرَاسًا مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَيَنْشُدُونَ بَيْتَ ^(١) طَرَفَةً :
فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرَّبِيعُ وَدِيمَةً تَهْمِي
لَأَنَّ قَوْلَهُ *غَيْرَ مُفْسِدِهَا* تَمِيمٌ لِمَعْنَى ، وَإِحْتِرَاسٌ لِلدِّيارِ مِنَ الْفَسَادِ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

حد
التميم

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَهْدِي فِيهَا الْمَسِيْبُ بْنُ عِلْسِ الشَّاعِرِ ، وَيَمْدَحُ قَتَادَةَ بْنَ مَسْلَمَةَ
الْحَنْفِيَّ ، وَقَبْلَهُ بِأَرْبَعَةِ آيَاتٍ :

أَبْلَغُ قَتَادَةَ غَيْرَ سَائِلِهِ مَنِ الثَّوَابِ وَعَاجِلِ الشُّكْمِ
وَالشُّكْمِ : الْعَوْضُ وَالْجِزَاءُ ، وَقَتَادَةُ هَذَا مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ :
غَيْثُ الضَّرِيكِ ، وَكَانَ قَوْمٌ لَرَفَقَةٍ قَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ فَأَتَوْهُ فَأَحْسَنَ عَطِيَّتَهُمْ .

فسقالك - حيث حلت غير فقيده - مـزج الروح وديمة لا تقلع
 فقله * غير فقيده * تتميم لما أراد من دنوها وسقيها غير راحلة ولا ميتة
 إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى ؛ فاحترس من ذلك .
 وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله :

ألا يا سلمى يا دار مـى على البلى ولا زال منهالاً بجزعائك القطر
 فإنه لم يحترس كما احترس طرفه ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء
 بالسلامة للدار فى أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير :
 من يلق يوماً على علاته هـرماً يلقى السماحة منه والندى خلقاً
 قوله * على علاته * مبالغة وتتميم عجيب .

من التتميم
 فى القرآن
 الكريم
 والأصل فى هذا قول الله عز وجل : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً
 ويتيماً وأسيراً) فقله (على حبه) هو التتميم والمبالغة فى قول من قال إن الماء ضمير
 الطعام ، وإن كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب ، وقال الله جل
 اسمه : (من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة)
 فتمم بقوله - (وهو مؤمنٌ) - .

من أمثلة التتميم
 فى الشعر
 ومن أناشيد قدامة والحاتمى وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوى :
 رجالٌ إذا لم يُقبل الحق منهم ويطعوه عادوا بالسيوف القواضب
 قال الحاتمى : فإن المعنى تم بقوله « ويطعوه » وإلا كان ناقصاً .
 ويجرى مجراه عندى قول عنتره العبسى :

أُتني على كما علمت فإننى سهلٌ مخالفتى إذا لم أظلم
 فقله * إذا لم أظلم * تتميم حسن .
 وقال آخر :

فلا تبعدن إلامن السوء ؛ إننى إليك وإن شطت بك الدار - نازع

فاستثناؤه « السوء » تتميم واحتراس جيد .

وقال أبو الطيب بن الوشاء :

لئن كان باقى عيشنا مثل مامضى فلموت إن لم ندخل النار أروح

وقال سراقه البارقى يهجو رهط جرير :

صغار مقاريهم عظام جعورهم بطلاء عن الداعى ، إذا لم يكن أكلا^(١)
كانه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلا .

وقال مريع بن وعوة الكلأبى وقد قتل رجلا نهشليا :

وقلت لأصحابى : النجاء ؛ فإنما مع الصبح - إن لم تسبقوا - جمع نهشل

و يجرى على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدى حين قدم للقتل :

ولست وإن كانت إلى حبيبة بياك على الدنيا إذا ماتت

فاستثنى * وإن كانت إلى حبيبة * استثناء مليحا ، وبوى التقديم والتأخير ؛

فلذلك جاز له أن يأتى بالضمير مقدما على مظهره ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،

ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس :

على هيك يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وانى

فقوله * قبل سؤاله * تتميم حسن لقوله « أفانين جرى » وقول أعشى باهلة^(٢) :

* وكل أمر سوى الفحشاء ياتمر^(٣) *

يقول : هو يدبر كل شىء سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها .

(١) اللقارى : جمع مقرى - بكسر الميم وسكون القاف وبعد الراء ألف

مقصورة - وهو إناء يقرى فيه الضيف ، ويقال للجفنة مقراة ، وقال ابن الأعرابي :

اللقارى : القدور ، وجعورهم : أراد أستاذهم ، وعظم الاست مما يتهاجى به العرب .

(٢) يرثى أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلى ، وكان بنو نفيل قد قتلوه .

(٣) صدره * لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * ولا يصعب الأمر : لا يجده

صعبا .

(٥٧) — باب المبالغة

آراء الناس
في المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها مختلفون : منهم من يؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بنى ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديته ، هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة - منهم عبد الكريم والباغاني - من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديته . وروى قوم من حديث النابغة ومطالبتة حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرُّ يَمَعْنَ بِالضَّحَى وَأُسَيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

• ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم ، ومنهم من يعيها وينكرها ، ويراها عيباً وهجنة في الكلام ، قال بعض الخذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحوالت المعنى ، ولَبَّسَتْهُ عَلَى السَّامِعِ ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا آخره ، لأنها لاتقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضا الإبانة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فإن العرب إنما فَضَّلَتْ بالبيان والفصاحة ، وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :

فِيَاظْبِيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَا جِلٍّ وَبَيْنَ النَّقَا آ أَنْتِ أُمٌّ أَمْ سَالِمٌ

فلو أنه قال * أنت أم سالم * على نفى الشك بل لو قال « أنت أحسن من
الطبية » لما حل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :

فإنك لو رأيت عبيدَ تميمٍ وَتَباً قلتَ : أيُّهم العبيدُ

فلو قال « عبيدهم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتال في تقريب
المشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخليل :

كأنه من عرقٍ يُسرُّ به كُرسفِ الندافِ لولا بَلَلُهُ^(١)

فإنه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . . والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من
الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع
ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن
تمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ، انقضى كلامه .

وفيه كفاية و بلاغ ، إلا أنه - فيما يظهر من فحواه - لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ،
وليس كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من
المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن ، وقد مر ذكره . وكذلك ما ناسب
قول ابن المعتز يصف خيلاً :

صَبَبْنَا عليها ظالمينَ سيَّاطناً وطَّارَتْ بها أيدي سِرَاعٍ وأرجُلُ^(٢)

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك
الإيغال ، وسيرد في بابيه إن شاء الله .

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء مهله ساكنة - القطن ،
وهو الكرسوف أيضاً ، وواحدته كرسفة . والنداف : الذي يضرب القطن بالمندف
(٢) انظر ص ٦٩ الآتية .

التقصي
من المبالغة
وحده

فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الخذاق : التقصّي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :
وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُنْبِغُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَا
فتقصّي بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه .

ترادف
الصفات

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل
معنى ، كقول الله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) .

الغلو

فأما الغلو فهو الذي ينكره مَنْ ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه
الاختلاف لا ما سواه مما بينت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه
وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فمن أبيات المبالغة قول
امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامِ وَنَشَرَ الْقُطْرِ^(١)
يُقَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهِ إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحَرَّ

فوصف فاتها بهذه الصفة سحرّاً عند تغير الأفواه بعد النوم ، فكيف تظنها
في أول الليل ؟ ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، تُشَبُّ لِقْفَالٍ

يقول : نَظَرْتُ إِلَى نَارِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تُشَبُّ لِقْفَالٍ وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ
رُهْبَانٍ ، وَقَدْ قَالَ :

(١) في عامة الأصول « نشر العطر » بالعين للمهجمة ، وهو تصحيف دعا إليه
ذكر النثر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاء مثناة . والقطر - بضم فسكون
وبضمتين - العود الذي يتخرجه ، وقد قطر ثوبه - بتضعيف الطاء - وفطرت الجارية

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلِهَا بَيْتَرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ^(١)
 وبين المكننين بُعْدُ أَيَّامٍ ، وإنما يرجع الثَّقَالُ من الغزو والغارات وَجْهَ
 الصباح ؛ فإذا رَأَوْهَا من مسافة أَيام وجه الصباح وقد خمد سَنَاهَا وَكَلَّ موقدها
 فكيف كانت أول الليل ؟ !! وشبه النجوم بمصاييح الرهبان ؛ لأنها في السحر
 يضعف نورها كما يضعف نور المصاييح الموقدة ليلها أجمع ، لاسيما مصاييح الرهبان ؛
 لأنهم يكلون من سهر الليل فرما نعسوا ذلك الوقت ، وهذا مما أورده شيخنا
 أبو عبد الله .

وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ
 أراد طوله ؛ لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء وإما من الخيلاء .

وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ إِدْرَعَتْهُ بأربعةٍ والشخصُ في العين واحد
 أراد به سُبُوغُهُ لا لونه ، وأكثر الناس على خلاف قوله ، وأنا أرى أن هذا
 كقول عوف بن عطية بن الخَرَجِ التيمي من تيم الرباب يصف خيلاً :
 وَجَلَّانَ دَمْحًا قَنَاعَ الْعُرُوسِ سَ تَدْنِي عَلَى حَاجِبَيْهَا الْخِمَارُ

«دَمْحٌ» : جبل بعينه ، فأراد أن الخيل كسونه قناعاً من الغبار هذه صفة .
 ومن مُعْجِزِ المبالغة قول الله عز وجل : (سِوَا مَنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فجعل من يُسِرُّ القولَ كمن
 يجهر به ، والمستخفي بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد مبالغة في
 معناه وأتم صفة .

(٥٨) - باب الإيغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يَعْدُوها ،
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية ، وذلك يشهد
بصحته ما قلته ، ويدل على ما رتبته .

وحكى الخاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني
التوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل
القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت : محو من ؟ قال : نحو
الأعشى إذ يقول :

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط
من قُنَّةِ الجبل على قرنه فلا يضره ، قال : قلت : ثم محو من ؟ قال : [نحو] ذى الرمة
بقوله :

قِفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ وَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرُّدَاءِ الْمُسَلْسَلِ
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاد شيئاً ، وقوله :
أظن الذي يجدى عليك سؤالها دموعاً كتبديد الجمان للفُصْلِ
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « الفصل » فزاد شيئاً أيضاً .

وليس بين الناس اختلاف أن اسرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى
بقوله يصف الفرس :

إِذَا مَا جَرَى شَاوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيزَ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَنْأَبِ
فبالغ في صفته ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شاوين ويبتل عطفه

حد
الإيغالصفة أشعر
الناسأول من
ابتكر هذا
النوع

بالعرق ، ثم زاد إيغالا في صفته بذكر الأثاب ، وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ، ومثل ذلك قوله :

كَأَنَّ عُيُونَ الطَّيْرِ حَوْلَ خِبَانِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

فقوله « لم يثقب » إيغال في التشبيه ، واتبعه زهير فقال :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ

فأوغل في التشبيه إيغالا بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفناء الذي لم يحطم ؛ لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة ، وكان خالص الحمرة ، وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :

غَرَاهُ فَرَعَاهُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجي » وكذلك قوله « الوعل »^(١)

وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُوَابُهُ شَارِبٍ تَمْشَتْ بِهِ مَشْيَ الْمُتَيْدِ فِي الْوَحْلِ

ويقول : قاتله الله ! ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل ، وأنا أقول :

إنه بيت الأعشى^(١) بعينه .

ومن الإيغال قول الطرِّ مَاحِ الْعَقِيلِي يَصِفُ فَرَسًا بِسَعَةِ الْمَنْخَرِ :

لَا يَكْتُمُ الرَّبُّوْ إِلَّا رَيْثَ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنَخْرِ كَوْجَارِ الثَّعْلَبِ الْخَرْبِ

فكونه كوجار الثعلب غاية في المبالغة ، فكيف إذا كان خرباً ؟ .

ومن الإيغال الحسن قول الخنساء :

وإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فبالغت في الوصف أشد مبالغة ، وأوغلَّت إيغالا شديداً بقولها « في رأسه

نار » بعد أن جعلته علماً ، وهو الجبل العظيم .

وأنشد الجاحظ :

أَلُوِي حِيَازِي بِهِنَّ صِبَابَةً كَمَا تَقَلَوِي الْحِيَةَ الْمَشْرِقُ

(١) في البيت الذي أنشده المؤلف أول التمثيل لهذا النوع .

فَقَوْلُهُ « الْحَيَّةُ الْمُنْتَشِرَةُ » إِيغَالٌ ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ لَتْلُؤِيَّةً .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ :

بَاتَ الْفَرَزْدَقُ عَائِراً وَكَأَنَّهُ قَعَوُ تَعَاوَرَهُ السَّقَاةُ مَعَارٍ
وَإِذَا كَانَ مُعَاراً كَانَ أَشَدَّ لاسْتِمَالِهِ وَأَقْلَ لِلتَّحْفِظِ عَلَيْهِ .

وَقَالَ النُّجَاشِيُّ يَذْكُرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ :

لَمَّا أَتَانِي مَا يَقُولُ وَدُونَهُ مَسِيرَةُ شَهْرِ الْمَطِيِّ الْمَفْرَدِ
فَأَوْغَلَ بِقَوْلِهِ « الْمَفْرَدِ » إِيغَالاً عَجِيباً ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ الْحَمَلِ .

وَقَالَ جَمِيلٌ :

إِنِّي لَا أَكْتُمُ حُبِّي إِذْ بَعْضُهُمْ فِيمَنْ يُحِبُّ كُنَاشِدِ الْأَغْفَالِ
« النَّاشِدِ » طَالِبِ الضَّالَّةِ ، وَإِذَا كَانَتْ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا سِمَةٌ كَانَ أَشَدَّ
لِلْبَحْثِ عَلَيْهَا ، وَأَكْثَرَ لِلسُّؤَالِ وَالذِّكْرِ .

وَمَنْ أَحْسَنَ إِيغَالِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

هُمْ الْقَوْمُ : إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا ، وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
فَقَوْلُهُ « وَأَجْزَلُوا » قَدْ أَتَى بِهِ فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

وَعَبْرَانِ مِنْ دُونَ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ أُسَامَةُ ذُو الشُّبُلَيْنِ حِينَ يَجُوعُ
فَقَوْلُهُ « حِينَ يَجُوعُ » إِيغَالٌ حَسَنٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَدَاعِ دَعَا وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكُنْتُ مَكَانَ الظَّنِّ مِنْهُ وَأَعْجَلَا
فَقَوْلُهُ « وَأَعْجَلَا » زِيَادَةٌ وَصْفٌ ، وَإِيغَالٌ ظَاهِرٌ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي رِثَاءِ أُمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ كَيْسِ حُفَاةٍ كَأَنَّ الْمَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ

« فَالزِفُ » : أَصْفَرُ الرِّيشِ وَأَلْيَنُهُ ، وَلَا سِيَّامَ رِيشِ النِّعَامِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ
حَتَّى جَعَلَهُ زِفَّ الرِّثَالِ ، شَبَّهَ بِهِ الْمَرْوَ - وَهُوَ مَا صَغُرَ مِنَ الْخَصْيِ وَحْدَ - فَهَذَا فَوْقَ
كُلِّ مِبَالِغَةٍ وَإِيغَالٍ .

من الإيغال
الاستظهار
ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبائي العلوي
أو غيره :

فَأَنْتُمْ بَنُو بَيْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ الْمُسْلِمِ

ف قوله « المسلم » استظهار ؛ لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام
أيضا أعنى أبا طالب ومات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة .
وليس بين الإيغال والتتيميم كبير فرق ؛ إلا أن هذا في القافية لا يبعدها ،
وذلك في حشو البيت .

اشتقاق
الإيغال
واشتقاق الإيغال من الإبعاد ، يقال : أوغل في الأرض ، إذا أبعد ، فيما
حكاه ابن دريد ، وقال : وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه
وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ لَيْغَالِهِنَّ بَنَّا أَوَّخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيِّجِ

الإيغال : سرعة الدخول في الشيء ، يقال : أوغل في الأمر ، إذا دخل فيه
بسرعة ، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب ،
وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية .

وكما [أ] كثرت من الشواهد في باب فيما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيده على
الأشياء الزائفة . ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن ، وقلّبوا تلك المعاني والألفاظ

(٥٩) — باب الغلو

أسمائه
وميزته
ومن أسمائه أيضا الإغراق ، والإفراط ، ومن الناس من يرى أن فضيلة
الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ، ولأرى ذلك إلا محالا ؛ لمخالفتة
الحقيقة ، وخروجه عن الواجب والمتعارف . . وقد قال الخذاق : خير الكلام
الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مُعَلَّقٌ بِعُودٍ مُتَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا
 فقال : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن
 منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انقضى كلامه .

وأصح الكلام عندى ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله أصح الكلام
 تعالى ، ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق ؛ فقال جل من قائل :
 (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) .

والغلو عند قدامة : تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن
 طباعه ، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ بعد الذراعين والساقين والهادي

إذ ليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد
 ذلك في الأرض ، ولأن مخارج الغلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب
 التفسير قول الله تعالى : (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أي : كادت .

وقال الجرجاني في كتاب الوساطة والإفراط مذهب عام في المحدثين ، وموجود
 كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله
 رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلم ، ومتى تجاوزها
 اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة
 من الإغراق .

وقال الحاتمي : وجدت العلماء بالشعر يعيرون على الشاعر أبيات الغلو قول الحاتمي
 في الغلو والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويعجب بعض منهم
 بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع
 الشاعر الذي يوجب الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر أكذبه ، وأن الغلو
 إنما يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن

الموجود ويدخل في باب المعلوم فإنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ، واحتجوا بقول النابغة - وقد سئل : مَنْ أشعر الناس - فقال : من استجيد كذبه وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة ، انقضى كلامه .

من أبيات
الغلو

ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهمل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مِنْ بُحْبُورٍ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ

وقد قيل : إنه أ كذب بيت قالته العرب ، وبين حُخْرٍ - وهي قصبة اليمامة - وبين مكان الوقعة عشرة أيام ، وهذا أشد غلواً من [قول] امرئ القيس^(١) في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً .
ومنها قول النابغة في صفة السيوف :

تَقْدُ السَّلَوقِ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحَبَابِ

وهو دون بيت امرئ القيس^(١) في تنوُّرِ صاحبة النار إفراطاً ، ودون بيت النابغة قولُ المرثدِ تولب في صفة السيف أيضاً ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب^(٢)
واختار قوم على بيتي النابغة والمرثد قولَ أبي تمام :

وَيَهْتَزُّ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلْتَهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ
ومن الغلو قولُ جرير :

فَلَوْ وَضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا

لأنه شيء لا يذوب أبداً ، وقد نعى على أبي نواس قوله :
وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ اللَّيْ لَمْ تُخْلَقِ

(١) هو قوله الذي أنشده من قبل (ص ٥٦ من هذا الجزء) :

تنورتها من أذرعات ، وأهلها يثرب ، أدنى دارها نظر عال
(٢) انظر ص ٦١ السابقة .

إذ جعل ما لم يخلق يخافه . . وكذلك قوله :

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

وزعم بعض المتعقبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعده ، من غلو للتنبي وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً ، وأبعدهم فيه همة ، حتى لو قَدَّرَ ما أُخْلِى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مَنَدُوحَةٌ ، كقوله :

يَتَرَشَّعْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أُخْلِى مِنَ التَّوْحِيدِ

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غاية المثل في الخلاوة بفيه .

وقوله :

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَنَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوساً
أَوْ كَانَ صَادِفَ رَأْسٍ عَازِرَ سَيْفُهُ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عَيْسَى
أَوْ كَانَ لَجُجِ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا انشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

فما دعاه إلى هذا في الكلام عوضاً منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال :
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَندَرُ السَّدَّ مِنْ عِزْمِي

فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ثم انحط إلى الإسكندر ، وربما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحاً له وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره :

إِذَا قَلَّتْهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وَصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلَّى أَوْ خِيَابَ الْمُطَنَّبِ

فما وجه الخباء المطنَّب بعد الجدار المتيف ؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى !

وإنما أراد الحاضرة والبادية ، وكذلك قوله :

تَصُدُّ الرِّيحُ الْهُوجُ عَنْهَا خُحَافَةٌ وَيَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ يَلْقَطَ الْحَبَا

فكم بين خوف الرياح الموج وصدودها ، وبين فرع الطير أن تلتقط الحب؟
ولاسيما وأفرعُ الطير بهائمهُ التي تلتقط الحب لضعفها وعدمها السلاح ، وأقل خيال
أو تمثال يحى مزروعات جمة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول
أبي تمام :

قد بثَّ عبدُ الله خوفَ استقامِهِ على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربهُ
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وما يشاكل قول أبي الطيب في الفاظه قول نصر الخباز أرزى^(١) :

ذبتُ من الشوقِ فلوزجُجِي في مقلةِ النائمِ لم ينتبه
وكانَ لي فيما مضى خاتم فالآنَ لو شئتُ تمنطقتُ بِهِ

فبين الإغراق والإغراق بونٌ بعيد واختلاف شديد .

وإذا لم يجد الشاعر بداً من الإغراق - لحبه ذلك ، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك
منه في الندرة ، ويبتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هجيراً كما يفعل أبو الطيب .
وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها ، نحو
كأنَّ ولو ولولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير :

لو كان يقعدُ فوق الشمس من كرم قومٌ بأحسابهم أو مجدِّهم قعدوا
فبلغ ما أراد من الإفراط ، وبني كلامه قلى صفة .

ومما استحسنه الرواة ونص عليه العلماء قولُ امرئ القيس يصف سناناً :

حملتُ رُدَيْنِيَا كأنَّ شبَّاتهُ سَنَالَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ^(٢)

أحسن
الإغراق

(١) المشهور في هذه النسبة « الخبز رزى » أو « الخبز أرزى » .

(٢) في الديوان « كأن سنانهُ » وهو المحفوظ ، وهو الموافق لقول المؤلف

« يصف سناناً » .

وإذا نظرت إلى قول أبي صخر :

تَكَادُ يَدِي تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْدُبْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب :

عَجِبْتُ مِنْ أَرْضِ سَحَابٍ أَكْفَهُمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحاة والمخالفة لطبعه في حب الإفراط وقلة المبالاة فيه ؛ إذ كان ممكنا أن يقول : إن الصخور أورقت ، ولغة القرآن أَفْصَحُ اللغات ، وأنت تسمع قول الله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) وقوله : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاها) وقوله : (يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)

اشتقاق
الغلو

واشتقاق الغلو [من] المغالة ، ومن غلوة السهم ، وهي مَدَى رَمِيته ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغِلاءً ، إذا اختبرتما أيكما أبعَدَ غَلْوَةَ سهم ، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام : « جَرَى الْمَذَكِيَّاتُ ^(١) غِلاءً » وقد جاء في حديث داحس « غلاء » و « غلاب » بالباء أيضا ، وإذا قلت : غَلَا السَّعْرُ غَلَاءً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غَلَّتِ الْقَدَرُ غَلِيًّا أَوْ غَلِيَّانَا ، إنما هو أن يَجِيْشَ ماؤها ويرتفع ، والإغراق أيضا أصله في الرمي ، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس ، وإنما تفعل ذلك لبعْدِ الغرض الذي ترميه ، وهذه التسمية تدل على ما نحوتُ إليه وأشرتُ نحوه .

الإغراق

(٢) المشهور في رواية هذا المثل : « جرى المذكيات غلاب » كما أشار المؤلف إليه ، والمذكية من الخيل : التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب : المغالبة . ومن رواه كالمؤلف أولا « غلاء » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جريها يكون غلوات ، ويكون شأوها بعيدا ، لا كالجدعان .

(٦٠) — باب التشكك

فائدة
التشكك

وهو من مُلَحِّ الشعر وطُرْفِ الكلام ، وله في النفس حلاوة وحُسْنُ موقع ،
بمخلاف ما لاغلو والإغراق .

وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من
الآخر ، وذلك نحو قول زهير :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أُمِّ نِسَاءٍ
فَإِنْ تَكُنِ النِّسَاءُ مُخْبِئَاتٍ فَحَقَّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاءُ

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم
نساء ، وأقرب إلى التصديق ؛ ولهذا العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت
ذى الرمة :

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَاجِلٍ وَبَيْنَ التَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ^(١)
وبيت جرير

* فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ^(١) *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل^(١) .
وقال العرجي^(٢) :

بِاللَّهِ يَا ظَبْيَاتِ الْقَاجِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أُمُّ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(٢)

(١) انظر (ص ٥٣ و ٥٤) من هذا الجزء .

(٢) اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت ؛ فزعم قوم أنه لمجنون ليلي ، وكأنهم
اغتروا بذكر ليلي فيه ، وقد بحث جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبته العيني
كالمؤلف إلى العرجي ، ونسبته العباسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه الباخري لبديوي
سماه كاهلا الثقفي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله (وانظر حواشينا الممتعة على شرح
الأشعري ج ١ ص ٢١٣) .

وإنما سلك طريق ذى الرمة .

وقال سلم بن عمرو الخاسر :

تَبَدَّتْ فَقُلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بَجَلْدٍ غَنِيٍّ اللَّوْنِ عَنْ أَثَرِ الْوَرَسِ
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَا هُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حلاوته في الصدر وقبوله ؟ ؟ فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ .

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد الثقفى فقال يمدح المستمعين بالله :

وَقَائِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ نَشَرَ الدُّجَى فَغَطَّى بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرْدٍ
أَرَى بَارِقًا يَبْدُو مِنَ الْجَوْسِقِ الَّذِي بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَظَلَّ عَذَارَى الْحَيِّ يَنْظُمْنَ تَحْتَهُ ظَفَارِيَةَ الْجَزْعِ الَّذِي لَمْ يُسَرِّدِ
أَضَاءَتْ بِهِ الْآفَاقُ حَتَّى كَأَنَّمَا رَأَيْنَا يَنْصِفُ اللَّيْلَ نَوْرَ ضُحَى الْعَدِ
فَقُلْتُ : هُوَ الْبَدْرُ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ وَإِلَّا يَكُنْ فَالنُّورُ مِنْ وَجْهِ أَحَدٍ
وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ حِينَ قَصَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى خِرَاسَانَ يَذْكُرُ شَكَّ

رَفَقَاتِهِ وَاسْتِعَادَهُمُ الطَّرِيقَ :

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشَّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقُرْدِ :
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَوُثِّمَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودِ
فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب إلى غيره ، وهو بعيد من قول سلم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس ضرورة ، ولا عليه معوّل . . وقال ابن ميادة :

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِّ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ — لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فِرَاقَهُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي : أَيُغْلِبُنِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ ؟ !

فمؤله في البيت الأول « أظن » مליح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني

« ما أدرى أيغلبني الهوى أم أنا غالبه » .

وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحه فقال :

فديتك لم تشبع ولم ترومن هجرى أيستحسن الهجران أكثر من شهر

أراني سأسلو عنك إن دام ما أرى بلا ثقة ، لكن أظن ولا أدرى

وقد أحسن أبو الطيب في قوله :

أريقك أم ماء القمامة أم خمر ؟ بني برود وهو في كبدي جمر

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله :

إذا الغصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة وهذا الذي قبلته البرق أم نمر ؟

ولله در أبي نواس إذ يقول :

ألا لا أرى مثلي أمتري اليوم في رسم تفص به عيني ويلفظه وهي

أنت صور الأشياء بيني وبينه فظني كالأظن وعلمي كالأعلم

ويروى « وجهي كالأجمل » .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس :

لمن طلل دارس آية أضربه سالف الأخرس^(١)

تسكره العين من جانب ويعرفه شغف النفس

أول من
نطق بهذا
المعنى

وقال أعرابي في معنى أبيات الوضاح بن محمد :

أقول والنجم قد مالت مياسره إلى الغروب : تأمل نظرة حار

ألحمة من سنا برقي رأي بصرى ووجه نعم بدا لي أم سنا نار

بل وجه نعم بدا والليل معتسكر فلاح من بين حجاب وأستار

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، دارس : عاف ، آية : جمع آية ،

والهاء ضمير الطلل ، وارتفاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأخرس :

جمع حرس وهو الدهر .

٦١ - باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذاك في القافية فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه : كالذي تقدم من التتميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته آنفاً .
من ذلك قول عبد الله بن المعتز^(١) يصف خيلاً :

أمثلة من
الحشو

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا . فطارت بها أيدي سراعٍ وأرجل^(١)

وقد مر ذكره في باب^(١) المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشدَّ مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتتميم ..
وقال الفرزدق :

ستأتيك مِنِّي - إن بقيتُ - قصائدٌ يُقَصِّرُ عَنْ تحبيرها كلُّ قائل

فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائداً ، وهو شبيه بالالتفات من جهة ، وبالاحتباس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو الجيد ، وليس بحشو إلا على المجاز ، أو بعد أن يُنعتَ بالجودة والحسن ، أو يضافا إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .
وقد أتى العتاني بما فيه كفاية حيث يقول :

إنَّ حَشَوَ الكلام من لُكْنَةِ المرء وإيجازَهُ مِنَ التَّقْوِيمِ
فجعل الحشو لكنة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنه ،

(١) انظر (ص ٥٤) من هذا الجزء .

وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي يذكر بازياً :

ترى الطير والوحش من خوفه حَوَاجِرَ منه إذا ما أُغْتَدَى
فقوله « منه » بعد قوله « من خوفه » حشوا فائدة فيه ، ولا معنى له ،
وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خذها ابنة الفكر المذهب في الدجى واللَّيْلُ أَسْوَدُ حَالِكُ الجلباب
فقوله « الدجى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة
استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بآثره فضلة.
وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :

إذا اعتلَّ سيفُ الدولةِ أَغْتَلَّتِ الأرضُ

وَمَنْ فَوْقَهَا والبأسُ والكِرْمُ المَحْضُ

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن
جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى :
(فيهما فاكهة ونخل ورمان) فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى :
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) فإن هذا سائغ وليس
بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكلابية اليربوعى :

إذا المرء لم يَغْشَ الكريهةَ أوْشَكَتْ حِبَالُ الهَوِينَا بالفتى أن تَقَطَّعَا

فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد
تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزراية والأطنوزة^(١) فإنه يحتمل .

وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن رهير :

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي -
وهو السخرية ، وباب فعله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال
صاحب المختار : « وأظنه مولداً أو معرباً » اهـ .

يَقُولُ : أرى زيدا وقد كان معدماً أراه لعمرى قد تمولَ واقتنى
 فقوله « أراه لعمرى » حشو واستراحة يُستغنى عنها بقوله « أرى زيدا »
 ومما يكثر به حشو الكلام « أضحى ، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوماً »
 وأشباهاها ، وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي بها ، ويكرهه الشاعر استعمال
 « ذا ، وذى ، والذى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب موافقاً بها ، مكثرأ
 منها في شعره ، حتى حمله حبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة في قوله :
 لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ عَقِمْتُ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَسَوَاهُ
 وكذلك يكرهه الشاعر قوله في شعره « حقاً » إلا أن تقع له موقعها في
 قول الأخطل :

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُحَالِفُهُمْ حَتَّى يُحَالَفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ

فإن قوله ههنا « حقاً » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً .

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز :

وَلَوْ قُبِلَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ فِدْيَةٌ لَقَلْنَا عَلَى التَّحْقِيقِ نَحْنُ فِدَاؤُهُ

فقوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .

ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً ، وأنشد بعض العلماء

قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكِنَّهَا سَدَفٌ

والانكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم

الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الخذاق يعيبون قول ابن الحدادية - وهي أمه ، واسمها قيس بن منقذ :

إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ أَمْسَى هَائِمًا كَلِفًا قَدْ شَفَّهَ ذِكْرُ سَلَى الْيَوْمَ فَاتَّكَسَا

لحشوه « قد » في موضعين من البيت ثم بـ « أمسى » وبـ « اليوم » على تناقضهما .

وعاب الخاتمي على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالمها
لأن تعكير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الحائمي
لأن قلبه غير قلبها ؛ فإما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ
« حبة قلبه وطحالمها » وهو غلط ، ومن ههنا عابة فيما أظن ، ومن الناس من روى
« فرميت غفلة عينه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبي العيَالِ الهذلي قوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى صداعُ الرأسِ والوصبُ
لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ؛
وعلى جميل قوله :

وما ذكركَ النفسُ يا بُنْ . مرّةً من الدهرِ إلّا كادتِ النفسُ تتلفُ
فتكرير « النفس » لبس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه ، وسيرد
إن شاء الله في بابه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل — بالفاء — وزعم قوم أنه بالعين
كانهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعصلُ ، وجعله آخرون بالعين وضاد
معجمة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عسرَ خروجه واعترض في الرحم ،
وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل — بالفاء — وهو قول دريد
ابن الصمة :

وبلغَ نَميراً — إن عَرَضَتْ — ابنَ عامِرٍ وأىُّ أخٍ فى النائباتِ وطالب
ويجرى هذا الجرى قول أبي الطيب ، بل هو أقبح منه :

حَلَّتْ إليه من لسانى حَديقَةً سَقَاهَا الحِياسُ الرِياضَ السَحائبِ

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ،
وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق »
من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

من الحشو
التفصيل

٦٢ — باب الاستدعاء

حد
الاستدعاء

وهو ألا يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فتخلو حينئذ من المعنى
كقول عدى القرشني ، أنشده قدامة :

وَوُقيتَ الحَتوفَ مِن وَاِثِرٍ وَا لِي ، وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُوِدِ

فإنه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية .

وما أعجب السيد الحميري في قوله :

أقسم بالفجر والعشر والشفع والوتر ورب لقمان

في منزلي محكم ناطق بنور آيات وبرهان

فالفجر فجر الصبح والعشر عشر النحر ، والشفع نجيان

محمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة الباني

باني سموات بنسائها بلا تقدير إنس ولا جان

فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقه وأشد ركا كته !!! وأما قوله

« الباني » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح ،

والله حسبه .

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة :

وسابغة الأذيال زَغَفٍ مفاضة تَكَنَّفَهَا مَنى نِجَادٍ مخطط

فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي

الشارده إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها .

٦٣ — باب التكرار

مق يحسن؟
ومق يقبح؟

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار

في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر

اللفظ والمعنى جميعاً فذلك انْخِذْ لَانَ بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا كان في تفرل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سَلِمَ سلامته في هذا الباب :

دِيَارٌ لَسَلِمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ الْحَّ عَلَىهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَعَطَالِ
وَنَحْسِبُ سَلِمَى لَا تَزَالُ كَهْدَنَا بَوَادِي الْخَزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ
وَنَحْسِبُ سَلِمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلَاً مِنَ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضاً بِمَيْثَاءٍ مَحَلَالِ
لِيَا لِي سَلِمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْضِداً^(١) وَجِيداً كَجِيدِ الرَّيِّمِ لَيْسَ بِمَعَطَالِ
وكقول فيس بن ذريح :

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِي خُلَّةً وَلَمْ تَلْقَنِي لُبْنَى وَلَمْ أُذِرْ مَا هِيَا
أو على سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر ، إن كان في مدح كقول أبي الأسد :

وَلَا ئِمَّةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ؟
أَرَادَتْ لَتْنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟
كَأَنَّ وَفُودَ الْفَيْضِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا إِلَى الْفَيْضِ لَاقُوا عِنْدَهُ لِبَلَّةَ الْقَدْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبِلَادِ الْفَقْرِ
فتكرر براسم الممدوح ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والأسماع . وكذلك قول الخنساء :

وإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَفَجَّارُ
وإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منصبا » وأراد ثغرا متسقا مستويا

(١) في عامة أصول هذا الكتاب « البصري » بتقديم الباء ، وإنما هو « الصصري » بتقديم الصاد على الباء -نسبة إلى مواليه بن صبير بن يربوع

أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأيناً ، نحو قول متمم بن نويرة :
وقالوا : أتبكي كلَّ قبر رأيتَهُ لقبرِ نَوَى بين اللوى فالدكادك ؟؟
فقلت لهم : إن الأسى يبعثُ الأسى دَعُونِي فهذا كله قبرُ مالك
وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجعة وشدة القرحة التي
يجدها المتفجع ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .

أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح ، نحو قول العديل بن الفرخ :
بَنِي مِسْمَعٍ لَوْلَا إِلَهِهُ وَأَنْتُمْ بَنِي مِسْمَعٍ لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ مِنْكُمْ
ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ، كقول
ذى الرمة يهجو المرثي :
تسمى امرأ القيس بن سعدٍ إذا اعتزت وتأبى السبالُ الصَّهْبُ وَالْأَنْفُ الْخُمْرُ
ولصكنا أصلُ امرئ القيس مَعَشَرٌ يَحِلُّ لَهُمْ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخُمْرُ
نصاب امرئ القيس العبيد وأرضهم ممر^(١) المساحى لا فلاة ولا مصر
تَخْطِ^(٢) إِلَى الْفَقْرِ امْرُؤُ الْقَيْسِ ؛ إِنَّهُ سَوَاءٌ عَلَى الضَّيْفِ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْفَقْرُ
تحب امرؤ القيس القري أن تناله وتأبى مقاريها إذا طلع الفجر^(٣)
هل الناس إلا يا امرأ القيس غادرٌ ووافٍ وما فيكم وفاء ولا غدر؟
وكذلك صنع جرير في قصيدته الدِّمَّاعَةُ التي هجا بها راعي الإبل ؛ فإنه كرر
« بنى غير » في كثير من أبياتها .

ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص ، كقول حماد بن عمار لابن
نوح ، وكان يتعرب :

(١) في الديوان « ممر المساحى » .

(٢) في عامة الأصول « تخطى إلى الفقر » بتقديم المثناة على الموحدة ، وكذا في

قافية البيت ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) في نسخة « إذا طلع النسر » .

يَا بْنَ نُوحٍ يَا أَخَا أَلْسِ جِلْسٍ وَيَا بْنَ الْقَتَبِ^(١)
وَمِنْ نَشَأِ وَالِدُهُ بَيْنَ الرِّبَا وَالْكُتُبِ
يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ

ومن المغيب في التكرار قولُ ابن الزيات :

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي ؟ فَقَدْ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعَتَابِ
إِذَا ذَكَرَ السَّلَوُ عَنْ التَّصَابِي نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفَرُ الصَّعَابِ
وَكَيْفَ يُبْلَغُ مِثْلُكَ فِي التَّصَابِي وَأَنْتَ فَتَى الْجَانَةِ وَالشَّبَابِ !!
سَأَعْرِفُ إِنْ عَرَفْتَ عَنْ التَّصَابِي إِذَا مَا لَاحَ شَيْبُ الْغُرَابِ
أَلَمْ تَرْنِي عَدَلْتُ عَنْ التَّصَابِي فَأَغْرَتْنِي الْمَلَامَةُ بِالتَّصَابِي !!
فَلَا الدُّنْيَا بِالتَّصَابِي ، عَلَى التَّصَابِي لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِ ، فَقَدْ بَرَدَ بِهِ الشَّعْرُ ،
وَلَا سِيَا وَقَدْ جَاءَ بِهِ كُلُّهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْوِزْنِ ، لَمْ يَعُدْ بِهِ عَرُوضُ الْبَيْتِ ، وَأَيْنَ
هَذَا مِنْ تَكَرُّرِهِ عَلَى جِهَةِ التَّمْخِيمِ فِي قَوْلِهِ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :

إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدُّهَا أَيْ مَزَارَ وَمُنَاخَ وَمَحَلَّ
أَيْ مَزَارَ وَمُنَاخَ وَمَحَلَّ لِحَائِفٍ وَمُسْتَرِيشٍ ذِي أَمَلٍ

وهذا كقول امرئ القيس :

تَقَطَّعُ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوِزَ نَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
عَشِيَّةَ جَاوِزَ نَا حِمَاةَ وَشَيْرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلُوى عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا^(٢)

ومن تكرر المعاني قول امرئ القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه :

من تكرر
المعاني

(١) هذه الأبيات من الرجز المجزوء ، وقد حذف من صدر أولها سبب حفيف

(٢) يروى هذا البيت هكذا :

بسير يضج العود منه يمنه أخو الجهد لا يلوى على تعذرا

وحماة وشيرز : مدينتان من مدن الشام ، والعود : المسنن من الإبل ، يمنه : يضعفه

أخو الجهد : السائق المجدو أراد به نفسه ، لا يلوى : لا يلتفت أولاً ، تعذرا : قدم عذرا .

فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومُهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شَدَّتْ يَبْذُلُ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُفٍّ جَنْدَلٍ
فالبيت الأول يغنى عن الثاني ، والثاني يغنى عن الأول ، ومعناها واحد ؛
لأن النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صمّ الجنديل ، وقوله
« شدت بكل مغار الفتل » مثل قوله « علقت بأمراس كتان »

ويقرب من ذلك وليس به قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهَيَّأْتُ بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ بِمِثْلٍ بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ
لِسَاكُلُومٍ تَجِي ظِلُّ النَّمَامَةِ كَمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْعَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُنْحَلِلٌ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهْلَتْ
إلا أن كثيراً تصرف ، فجعل رجاء الأول ظل النمامة ليقيل تحتها من حرارة
الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل المحل في البيت الثاني يرجو سحابة
ذات ماء فأمطرت بعد ما جاوزته .

ومن مليح هذا الباب ما أشدنيهِ شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن
المعز ، وهو قوله :

لِسَانِي لِسِرِّي كَتُومٌ كَتُومٌ وَدَمْعِي بِحُبِّي نَمُومٌ نَمُومٌ
وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حُبُّهُ بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ
لَهُ مُقْلَتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ وَلَفْظُ سَحُورٍ رَخِيمٌ رَخِيمٌ
فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

باب منه

ذكر ابن المعز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامي .
قال ابن المعز: وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو
ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفرزدق :

لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمة وأخرى بُعاصيها الفتى ويُطيئها
ونفسك من نفسك تشفع للندى إذا قلَّ من أحرارهن شفيئها
وأنشد لآخر ، ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :

وعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتِهِ وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُمْ ظَلَمِي
فَاعْلَمْ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جَهْلِي وَأَعْرِضْ عَن عَلِي

وعاب على أي تمام قوله :

فَالْتَجِدْ لَا يَرْضَى بَأَن تَرْضَى بَأَن يَرْضَى الْمُؤْمِلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرَّضَا
وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله
عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، لقد شددت على نفسك .
وأنشد ابن المعتز لنفسه :

أسرفت في الكتمان وذاك مني دهاني
كتمت حبك حتى كتمته كتمان
فلم يصكن لي بُدًى من ذكره بلساني

وهذه الملاحاة نفسها ، والظرفُ بعينه .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون ،
نحو قول إبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البرمك وطأ العذر عندك لي . فيما فعلتُ ، فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدٍ عدلٍ غير مُتهم
وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي :

فَوَحَقُ الْبَيَانِ يَعْضُدُهُ الْبُرْ هَانُ فِي مَاقِطِ الدِّ الْخِصَامِ
 مَا رَأَيْنَا سِوَى الْحَيِيَّةِ شَيْئًا جَمَعَ الْحَسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
 هِيَ تَجْرِي مَجْرَى الْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَتَجْرِي الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ
 وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز ، إلا ما لا خفاء به
 عن أحد من أهل التمييز ، واضطرنى إلى ذلك قلة الشواهد فيه ، إلا ما ناسب قول
 أبى نُوَّاس :

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌ
 فهذا مذهب كلامي فلسفي .. وقوله أيضاً :
 فَبِكَ خِلَافٌ خِلَافُ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ خِلَافُ الْجَمِيلِ
 وأشبه ذلك مما فى هذا غنى عنه ودلالة عليه .

(٦٤) — باب نفى الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة ، وليس بها مختصاً ، إلا أنه من محاسن الكلام ،
 فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً ، وظاهره إيجاباً .. قال امرؤ القيس :
 عَلَى لَا حَبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهِ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَّجَرًا^(١)
 فقلوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ، ولكن أراد
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .
 وكذلك قول زهير :

هو من المبالغة
ولا يختص بها

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق للهداية ،
 وفي الحديث : « إن للدين سوى ومنارا كمنار الطريق » سافه : شمه ، والسوف الشم ،
 والعود : المسن من الإبل . النباطى : الضخم ، جرجر : رغاوضج ، وأخرج جرته .

بأرض . خَلَاءَ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى ، وَمَعْرُوفٍ بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ^(١)
فأثبت لها في اللفظ وصيداً ، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسد على .
ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار ،
وكان نديماً له وصاحباً :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقًا يَرُوحُ إِلَى الندى إذا ما انتشى لم تحتضره مفقره
ضَعِيفًا بَحَثَ الْكَاسَ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَرُهُ
فظاهر كلامه أنه يَحْمِشُ وجه النديم ، إلا أن أظفاره كَلِيلَةٌ ، وإنما أراد في
الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك ، وكذلك قوله « لم تحتضره
مفقره » أى : ليس له مفقر ففتحضره .
وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة :

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا^(٢) عَلَى مَرْهُوبَةٍ حَصَاءَ لَيْسَ رَقِيبَهَا فِي مِثْلِ
عِطَاءٍ مُعْتَقَةٍ يَكُونُ أَنْيَسَهَا وَرَقَ الْحَمَامِ جَمِيعُهَا لَمْ يُؤْكَلْ
يريد أنه ليس بها جيم فيؤكل ، يدل على ذلك قوله في البيت الأول « حَصَاءَ »
وهى التى لا نبت فيها .

وقال أبو ذؤيب يصف فرساً :

مَتَفَلَّقْ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِيءٍ كَالْقَرِطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ
فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع ، لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع .
والشاهد على جميع ما قلته في شرح هذه الأشياء ما جاء في تفسير قول الله عز وجل :

(١) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : (وكلهم باسط
ذراعيه بالوصيد) والأصيد لغة فيه حكاهما الفراء .

(٢) المرتقب : اسم المكان من الارتقاب ، وهو الصعود في رأس جبل أو
حصن ، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف ، وهو وجه ، والمثل :
للجأ . والجم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .

(لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحافا : أى هم لا يسألون البتة .

للمعيب من
هذا الباب

وللمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة صاحبه :
فَهَلَّا وَقَاكَ الْمَوْتَ مَنْ أَنْتَ زَيْنُهُ وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ ؟
لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئا ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ،
فكيف إن كان القبح راجعا عليها لا على دله ، وليس هذا فى شيء من
قوله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) لأن هذا
لا إشكال فيه

(٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فإنها
إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .
وذلك نحو قول الأعشى :
أمثله

أَقْيَسَ بَنٍ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
فَاتَى كَالْمَاءِ الْجَارِىِ اطراداً وقلة كلفة ، وبين السب حتى أخرجه عن مواضع
اللبس والشبهة . .

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة :
قَتَلْنَا بَعِيدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ ذُوَّابَ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ
قال كالتعجب : لولا القافية لبلغ به آدم ، ورواه قوم « أبأت بعيد الله » .
وقال أبو تمام :

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النبي في نسبته
فهذا سهل العنان ، خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء فى « المليك » ضرورة
وتسكفا .

وقال الحارث بن دوس الإيادى :

وَشَبَابُ حَسَنٍ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍ
فاطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى ، وإن نقص عنه اسما واحداً :
بنصر بن منصور بن بسام انفرى لنا شظفُ الأيام عن عيشة رغد
فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم :
من يكن رَامَ حاجةً بَعُدَتْ عَنْهُ وَأُعِيَتْ عَلَيْهِ كُلُّ الْعِيَاءِ
فلها أحمدُ المَرَجِيُّ بْنُ يُحْيَى بْنِ مَعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءِ
فجاء كلامه نَسَقاً واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله
« المَرَجِيُّ » غير أن مجانسة رجاء هَوَّأَتْ خطيئته وغفرت ذنبه .
وقال الطائي :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عثاب بن سهم سهمكم لا يسهم
فخاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم بنو عم مالك بن طوق ،
فانتظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التكلف ، وقال فأتى بستة :

مناسبٌ تحسب من ضوئها منازلًا للقمصر الطالع
كالدلو والحوثِ وأشراطه والبطن والنجم إلى البالع
نوح بن عمرو بن حوَّي بن عمرو بن حوَّي بن الفتى مانع
فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة ؛ لأن الأشراط منزلة ، وإن جمعها ، إلا أن
« الفتى » ههنا غَضَّةٌ مع بَرْدٍ لفظ ورَكَاكَة ، ما أحسن أبا هؤلاء كلهم يقال له الفتى
وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ، ولكن الفتوة .

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة :

فأنت أبو الهيجا ابن محمدان يا ابنه تشابه مولودَ كريمٍ ووالدُ
ومحمدان محمدونٌ ومحمدون حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشدٌ

ففي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في بيتين وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله :

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد
وهم سبعة بالمدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا أن تكون الخلافة
تمساح نيل أو كلب بحر ؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا أن يريد
أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ؛ فإنه يصح ، وفيه من الزيادة
على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى
أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما مقت سعره هذا
تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء .

٦٦ — باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقب في العلم ولا حذق
بالصناعة ، كجماعة ممن وسم في بَلَدِنَا بالمعرفة ، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها ،
كاذباً فيما ادعاه منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

حد التضمين فأمّا التضمين فهو قصْدُك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتى به في آخر
شعر أو في وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم السكاك :
يا خاضبَ الشيبِ والأَيامُ تظهري هذا شبابَ لعمرُ الله مصنوع

أذْكَرْتُني قولَ ذِي كُبٍّ وتجربةً في مثله لك تأديبٌ وتقريع
إن الجديدَ إذا ما زيد في خَلْقٍ تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوع

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة ؛
لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير
مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاً ، ولو أسقط البيت الأوسط

لكلن تضميناً عجيباً لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى ، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين ، فإما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له :

ولا ذنب لى إن ساء ظنك بعدما وفيت لكم ، ربى بذلك عالم
وها أنا ذا مُستَغْتِيبٌ متنصلٌ كما قال عباسٌ وأنقى راغم:
تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِنْ تَحِبِّهِ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً قُلْ : أَنَا ظَالِمٌ
وأبيات العباس بن الأحنف التى منها البيت المضمن هى قوله :

وصبَّ أَصَابُ الْحُبِّ سَوْدَاءَ قَلْبِهِ فَأُحْمِلُهُ ، وَالْحُبُّ دَالٌ مَلَاظِمٌ
قُلْتُ لَهُ إِذْ مَاتَ وَجِداً بِحِبِّهِ مَقَالَةً يُصَحِّحُ جَانِبَهَا الْمَأْتَمُ:
تَحْمِلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِنْ تَحِبِّهِ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً قُلْ : أَنَا ظَالِمٌ
فإنك إن لم تحمل الذنب فى الهوى يفارقك من تهوى وأنتك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز .

فهذا النوع من التضمين جيد ، وهو الذى أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول بعض المحدثين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومى :

يا سائلى عن خالد ، عَهْدِي بِهِ رَطْبُ الْعِجَانِ وَكَفِّهِ كَالْجَلْدِ
كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةَ غَبٍّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

هكذا أعرفه ، وروى « عن جعفر » فصرف الشاعر قول النابغة فى صفة

الفرس^(١) :

(١) القادمة : ريشة فى مقدم الجناح ، وهى أربع قوائم ، أسف لثاته بالإمء : أى : ذرت بالإمء ، وكانوا يفرزون اللثة بالإبرة ثم يذرون عليها الإمء ، والأقحوان : نبت له نواصر أصفى وحواليه ورق أبيض ، شبه الأسنان ببياض ورقه .

تجلو بقادمتي حمامة أيككة * برداً أسف لثأته بالإميد
ككلاً قحوان غداة غب سمانه جفت أعاليه وأسفله ندى
إلى معناه الذى أراد .

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومى بلا محالة :

وسائلة عن الحسن بن وهب وعما فيه من كرم وخير
فقلت : هو المذهب غير أنى أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما يُغنيهِ فتاه حُسَيْنٌ حين يخلو بالسرير
فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليل البيض تفرعُ بالذكور
فالبيت الأخير لمهل ، فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيباً ، وإن كانت
اللفظتان فى المعنى غير اللفظتين .

ومن الشعراء من يضمن قسماً نحو قول بعضهم ، أظنه الصولى :
خُلِقتُ على باب الأمير كأننى قفانبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل
إذا جئتُ أشكو طول ضيقٍ وفاقة يقولون : لا تهلكِ أسى وتحمل
ففاضت دموعُ العين من سوء ردهم على النحر حتى بَلَّ دمعى بحملى
لقد طال تردادى وقصدى إليكم فهل عند رَسْمٍ دارسٍ من مَعْوَلٍ
ومنه من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يضم حشاك عن شتى وذخلى
كقول المرء عمرو فى القوافى لقيسٍ حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مُراد أريد حياته ويريد قتلى
والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، يقوله لابن أخته قيس
ابن زهير بن هبيرة بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ،
وحقيقته فى شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد
 وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن مُلجَم تمثل بهذا البيت.
 ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول على بن الجهم
 يُعَرِّضُ بِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ جَارِيَةَ الْمُتَوَكِّلِ وَبَنَاتِ الْمَغْنَى وَكَأَنَّا يَتَعَاشِقَانِ فَإِذَا
 غَنَّى بَنَانُ :

اسمى أو خبرينا يا ديار الظاعنين
 غنت هي كالجأوبة له عما يقول :
 أَلَا حَيَّتْ عَنَّا يَا مَدِينَا وَهَلْ بَأْسٌ بِقَوْلِ مُسْلِمِينَا
 فقال على منبهاً عليهما في ذلك :

كلما غنى بنان اسمى أو خبرينا
 أنشدت فضل أَلَا حَيَّتْ عَنَّا يَا مَدِينَا
 عارضت معنى بمعنى والندامى غافلونا
 أحسنت إذ لم تجاوبنهم ديار الظاعنين
 لو أجابتهم لصيرنا آيةً للسائلين
 واستعاد الصوت مولاها وحث الشاريننا
 قلت للمولى وقد دأرت حمياً الكاس فينا:
 رُبَّ صَوْتٍ حَسَنِ يُنْسَبُ فِي الرَّأْسِ قُرُونَا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين للأخطل :

وَلَقَدْ سَمَا لِلْخُرْمِيِّ فَلَمْ يَقلْ يَوْمَ الْوَغَى لَكِنْ تَضَائِقُ مُقَدَّمِي

إشارة إلى قول عنترة العبسى :

إِذَا يَتَّقُونَ بِيَ الْأَسَنَةَ لَمْ أَحِمَّ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَائِقُ مُقَدَّمِي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر :

عَوَّدَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مِنِّي بِيَّاسِينَ
فَبَتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ « قَفَانِيكَ » مَصَارِيَنِي

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيهه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز * كما قال عباس وأنتى راغم * إنه لم يرد الأبيات المقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للشريد حين هجرته ماردة :

لَا بَدَ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَفْقَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّرْمِ
حَتَّى إِذَا الْهَجْرُ تَمَادَى بِهِ رَاجِعَ مِنْ يَهْوَى عَلَى رَغْمِ
فَهَذَا النُّوعُ أَبْعَدُ التَّضْمِينَاتِ كُلِّهَا ، وَأَقْلَبُهَا وَجُودًا ، وَذَلِكَ بِحُوقُولِ أَبِي تَمَامٍ :
لَعَمْرُو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَطِي أَرْقُ وَأَحْيَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ
أَرَادَ الْبَيْتَ الْمَضْرُوبَ بِهِ الْمَثَلُ :
الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ
وَقَدْ صَنَعْتُ أَنَا فِي مَعْنَى الْهَجَاءِ :

عَرْسُهُ مِنْ غَيْرِ ضَيْرٍ عَرَسُ زَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ
أَبْدَأُ تَزْنِي فَإِنْ حَاضَتْ تَقْدُ حُبًّا لِأَيْرٍ
وَلَهَا رَجُلَانِ مِنْ نَا قَةَ كَغَبِ بْنِ زَهِيرٍ
هَكَذَا تَبْنَى الْمَعَالَى لَيْسَ إِلَّا كُلُّ خَيْرٍ

« زيد بن عمير » هو الذي يقول في زوجته :

تَقُودُ إِذَا حَاضَتْ ، وَإِنْ طَهَّرْتَ زَنْتُ فَهِيَ أَبْدَأُ يُزْنِي بِهَا وَتَقُودُ

و « كعب بن زهير » يقول في وصف ناقته :

تَهْوَى عَلَى بَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ وَقَعْنِ الْأَرْضَ تَحْلِيلِ

فكانت هذه المرأة في حالها لا تقع رجلاها بالأرض : إما لكثرة مباضاة

أو شدة مشي في فساد .

ومن أنواع التضمن تعليق التافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد تقدم ذكره .

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أجز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي العتاهية : أجز :

* رَدَّ لِلْمَاءِ وَطَابَا *

فقال :

* حَبَّذَا الْمَاءُ شَرَابَا *

وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليله
فقال :

مَتَارِيكَ أَذْنَابِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُرُوعَ وَاجْتَنَبْنَا أَصُولَهَا
وَأَحْبَلْ ، فَقَالَتْ ابْنَتُهُ : يَا أَبَتِ ، أَلَا أُجِيزُ عَنْكَ ، فقال : أَوْعِنْدَكَ ذَلِكَ ؟
قالت : بلى ، قال : فافعلی ، فقالت :

مَقَاوِيلَ لِلْمَعْرُوفِ خُرُسٌ عَنْ الْخَلَا كِرَامٌ يَعَاطُونَ الْعَشِيرَةَ سُوءًا
قال : لحمي الشيخ عند ذاك ، فقال .

وقافية مثل السنانِ ردفها تناولتُ من جوِّ السماءِ نُزُولَهَا
فقالت ابنته :

بَرَاهَا الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرُ عِنْدَهُ وَيَعْجِزُ عَنْ أَمْثَالِهَا أَنْ يَقُولَهَا
وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الدلفاء فقال : أُجِيزِي عَنِي
هذا البيت :

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أَتْرَجَةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرٍ

فقالت غير مفكرة :

خافَ التَّكُونُ إِذْ أَتَتْهُ لِأَنَّهُا لُونَانٌ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ
فَخَلَفَ لَهَا بِكُلِّ الْإِيمَانِ ، وَكَانَتْ تَعْرِهُ ، لَئِنْ ظَهَرَ الْبَيْتُ إِنْ دَخَلْتَ مَنْزِلَكُمْ
أَبْدًا ، وَأَضَافَهُ إِلَى بَيْتِهِ .

وَأَمَّا مَا أُجِيزَ فِيهِ قَسِيمُ بَيْتِ بَيْتٍ وَنُصِفَ فَقَوْلُ الرَّشِيدِ لِلشُّعْرَاءِ : أُجِيزُوا :
* الْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ *

[ف] قال الجواز :

* وَلِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ *

وَالْمُحِبُّ إِذَا مَا حَبِيبُهُ بَاتَ عِنْدَهُ
وَاسْتَجَازَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الطَّيِّبِ قَوْلَ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :
أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي سَائِرِهِ أَوْفَرُ ؟
فَصَنَعَ الْقَصِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ :

هَوَاكَ هَوَايَ الَّذِي أَضْمَرُ وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ
إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِيهَا عَنِ الْمَقْصِدِ .

وَالْإِجَازَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُسْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْإِجَازَةِ فِي السَّقْيِ ، يُقَالُ : أَجَازَ
فُلَانٌ فُلَانًا ، إِذَا سَقَى لَهُ أَوْ سَقَاهُ ، الشُّكُّ مَنَى ، وَأَمَّا اللَّفْظَةُ فَصَحِيحَةٌ فَصِيحَةٌ .
وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : يُقَالُ لِلَّذِي يَرِدُ عَلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَيَسْتَقِي : مُسْتَجِيرٌ ،
قَالَ الْقَطَامِيُّ :

وَقَالُوا قَقِيمٌ قَقِيمٌ الْمَاءُ فَاسْتَجَزَ عِبَادَةٌ ؛ إِنْ الْمُسْتَجِيرَ عَلَى قَقَرٍ^(١)

اشتقاق
الإجازة

(١) قَالَ شَارِحُ دِيْوَانِهِ : اسْتَجَزَ : اطْلُبْ أَنْ تَسْقَى إِبْلَكَ ، يُقَالُ : أَجَزْنَا ، أَيْ
اسْقَنَا ، وَنَجِيزُكَ : نَسْقِيكَ . وَالْجَوَازُ : الَّذِي تَشْرَبُهُ مِنْ مَاءٍ قَوْمٌ ثُمَّ تَمُرُ . وَطَى قَتَرَ :
أَيْ طَى خَوْفَ ، وَيُقَالُ : طَى خَطَرَ وَحَذَرَ مِنْ أَلَا يَسْقَى .

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها ، قال أبو نؤيس :

وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
فَجَوَّزَهَا عَنِّي عَقَارًا تَرَى لَهَا إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُطْنِبًا
وقد تقدم ذكر الإجازة التي فيها عيوب القوافي ، وذكرنا اشتقاقها .

التمليط

ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن امرأ القيس^(١) قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعرا كما تقول فليط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال امرؤ القيس :

* أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنًا *

فقال التوأم : * كَنَارٍ مَجْجُوسٍ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا *

فقال امرؤ القيس : * أَرَقْتَ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحٍ *

فقال التوأم : * إِذَا مَا قُلْتَ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا *

ولا يزالان هكذا ، يصنع هذا قسيما وهذا قسيما إلى آخر الأبيات .

وقد تقدم^(١) إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة ، كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليلي ومسلم بن الوليد الصريخ خرجوا في متنزه لهم ومعهم يحيى بن المعلى ، فقام يصلى بهم ، فنسى الحمد وقرأ (قل هو الله أحد) فأرتج عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجزوا :

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أحد

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢٠٢) .

فقال عباس :

قام طويلا ساهيا حتى إذا أغيا سجد

فقال مسلم بن الوليد :

يَزْحَرُ في محرابه زَحِيرَ حُبْلَى بَوْلَدَ

فقال الخليل :

كَأَنَّما لسانُهُ شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

وأنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستظراف بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، فقلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول :

وَنَسَى الْحَمْدَ فَمَا مَرَّتْ لَهُ عَلَى خَلَدٍ

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جَرَتْ الحكاية ، فقال : ولئن البيت ؟ فقلت : لابن وقته .

واشتقاق التمليط من أحد شيئين : أولهما أن يكون من المِلَاطَيْنِ ، وهما جانبَا السنام في مرد الكتفين ، قال جرير :

ظَلَلْنَ حَوَالِي خِدْرِ أَسْمَاءَ ، وَاتَّحَى بِأَسْمَاءَ مَوَارِ الْمِلَاطَيْنِ أَرْوَاحُ

فكان كل قسم مِلَاطٌ ، أى : جانبٌ من البيت ، وهما عند ابن السكيت العضدان . والآخر - وهو الأجود - أن يكون اشتقاقه من المِلاط وهو الطين يدخل في البناء مملط به الحائط مَلْطًا ، أى : يدخل بين اللبْنِ حتى يصير شيئًا واحدًا . وأما المِلِطُ - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شَعَرَ عليه في جسده ؛ فليس لاشتقاقه منهما وجه .

اشتقاق
التمليط

(٦٧) - باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتى كل واحد بمعنى ، حد الاتساع
وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ، وقوته ، واتساع المعنى .
من ذلك قول امرئ القيس :
وسببه
أمثله

مِكَرَّةً مِفْرَةً مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عِلٍ
فإنما أراد أنه يصلح للسكر والفر ، ويحسن مقبلاً مدبراً ، ثم قال « معاً »
أى : جميع ذلك فيه ، وشبهه فى سرعته وشدة جريه بجلود صخر حطه السيل
من أعلى الجبل ؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته
قوة السيل من ورائه ؟ ؟

وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى قوله * كجلود صخر
حطه السيل من عِلٍ * إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر
للشمس والرياح كان أصلب .

وقال بعض من فسرهم المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلاً
ومدبراً فى حال واحدة عند السكر والفر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه ، واحتج
بما يوجد عياناً ؛ فمثله بالجلود المنحدرة من قنّة الجبل ، فإنك ترى ظهره فى النصبه
على الحال التى ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط ببال
امرئ القيس ، ولا خطر فى وهمه ، ولا وقع فى خلدّه ، ولا رُوعه .
ومثله قول أبى نواس :

* ألا فاسقني خمرأً وقل لى هى الخمر *

فزعم من فسرّه أنه إنما قال « وقل لى هى الخمر » ليلتذ السمعُ بذكرها كما
التذت العينُ برؤيتها ، والأنفُ بشمها ، واليدُ بلمسها ، والفمُ بذوقها ،
وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المذهب ، ولا سلك هذا الشعب ، ولا أراه

أراد إلا الخلالة والعبث الذى بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال فى تمام البيت :

* وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ *

ويروى « فقد أمكن الجهر » فذهب إلى المجاهرة ، وقلة للمبالاة بالناس ، والمداراة لهم فى شرب الخمر بعينها التى لا اختلاف بين المسلمين فيها .

وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر ، وذكر فى مدامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصى ، ويقول فى قصيدة أولها كذا وأنشد البيت :

فَبِتَنَّا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّ عَصَابَةٍ نَجْرٌ^(١) بِأَذْيَالِ الْفُسُوقِ وَلَا فخرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بن يدي الرشيد والكسائي حاضراً فى معنى قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بَأْفَاقَ السَّمَاءِ عَلَيَّكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقد سأل الأمين والمأمون : ما معناه ؟ فقالا : معناه فى قوله « قمرها » تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالاً عند العرب من الشمس ، وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً ، فقال الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ ، وأشار إلى الكسائي ، فقال المفضل : بن مراده بالقمرين جدّك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووصله ، والفرزدق ما قصد إلى شيء من ذلك [و] لا أراد ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين ، وإنما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم ، ومنا لا منكم ، فنحن أشرف

(١) يروى * نجر أذيال

بيتا ، وأظهر فضلا ، وأبعد صوتا ، إلا أن التي جاء بها المفضل مُلَحَّة أفادت مالا .

ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم :

وَقَدْ رَدَّتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ ونحن أناسٌ نَتَّبِعُ البارد السُّخْنَا^(١)
أراد أنا نَتَّبِعُ البارد من الدماء سخنا ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد
أخذه من قول سُوَيْدِ بْنِ كِرَاعٍ - وهي أمه - يصف كلاباً وثوراً :

فَهَزَّ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ دُونَهُ عَلَى رَوْقِهِ مِنْهُ مُذَابٌ وَجَامِدٌ^(٢)

وقال الأصمعي : يعنى بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويجوز أن يكون
أبو الطيب أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا ، وكذلك أيضاً عادتنا في
الدماء ؛ فيكون قد فرع .

وزعم قوم في قوله يشفع لبنى كلاب إلى سيف الدولة :

وَتَمَلَّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طَرَأَ فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدروهم ،
والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سُرَّاقاً ، ولا أعلن ذلك ، بل
لا أحققه ؛ لأن في القصيدة :

وَلَوْ غَيْرُ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شَمُوسِهِمْ ضَبَابُ

(١) اللقان : موضع ببلاد الروم . يريد أن دماء الروم التي أسالها سيف الدولة
باللقان قد بردت ، وأراد بهذا الكناية عن تقادم عهده بغزوهم ، ثم ذكر أن عادته
إتباع البارد من الدماء بالساخن

(٢) روقه : قرنه .

ولاقى دونَ ثأبيهم طمأننا مُبْلَاً فِي عِنْدَهَا الذُّثْبَ الغُرَابُ^(١)

إلا أن يحملوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ، على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره : تناسبا ، وطبعاً ، وصنعة ، ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها .

(٦٨) — باب الاشتراك

أنواع الاشتراك وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى ؛ فالذى يكون في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد وماخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ، والنوع الثانى : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد ، كقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله « حى » يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك مذموم قبيح ، والمليح [الذى] يحفظ لكثير فى قوله يشبب :

لعمري لقد حَبَّبْتُ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى ، وَمَا تَذَرِي بِذَلِكَ الْقَصَابَرُ

(١) الثأى : جمع ثأية ، كراى وراية ، وهى حجارة تجعل حول البيوت يأوى إليها الراعى ليلا وفيها مبارك الإبل ومرايض الغنم . يقول : لو غزا كلابا غير الأمير لثناء ضباب عن شمسهم ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة الدود عن حياضهم ، ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حربا عوانا يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جيش صرعاة الوحوش وهى المراد بالذئب والطيور وهى المعبر عنها بالغراب ؛ فأما الوحوش فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قال عنترة :

لى النفوس ، وللطير اللحوم ، وللوحش العظام ، وللخيلة السلب

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ ثُمَّ النَّسَاءُ الْبَحَائِرُ
فَأَنْتَ تَرَى فُطْنَتَهُ لَمَّا أَحَسَّ بِاشْتِرَاكِ كَيْفَ نَفَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَاهُ الَّذِي
نَحَا إِلَيْهِ .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان :

عَمَرْتُهُ بِفَتْيَةٍ صَبَاحٍ سُمُوحٍ ، بِأَعْرَاضِهِمْ شِحَاحٍ
فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ أَرَادَ سَمَحَ شِحَاحٍ بِأَعْرَاضِهِمْ ، وَلَكِنْ فِيهِ مِنَ اللَّبْسِ مَا هُوَ
أَوَّلَى مِنَ التَّأْوِيلِ .

والنوع الثالث ليس من هذا في شيء ، وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم
بها ، لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس
أولى بها من الآخر ، فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو
تصحبها قرينة تُحَدِّثُ فيها معنى ، أو تفيد فائدة ، فهناك يتميز الناس ، ويسقط
اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وَأَتَى بما يقوم مقامها كقول
ابن أحرر :

بِمَقْلَصِ دَرَكِ الطَّرِيدَةِ ، مَتْنُهُ كَصَفَا الْخَلِيقَةِ بِالْفَضَاءِ الْمُبْدِيِّ^(١)

فَقَوْلُهُ « دَرَكِ الطَّرِيدَةِ » وَقَوْلُ الْأَسْوَدِ بْنِ يَغْفَرُ :

بِمَقْلَصِ عَتِدِ جَبْهَرٍ شَدُّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادِ^(٢)

(١) قال في اللسان : « وصحرة حلقاء بينه الخلق : ليس فيها وسم ولا كسر
وأُنشد البيت » ١ هـ .

(٢) فرس عتد - بكسر التاء الشاة أو فتحها - شديد تام الخلق سريع الوثبة
معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

جميعاً كقول امرئ القيس : * بمجرد قيد الأوابد هينكل *
وكذلك قول أبي الطيب : * أجل الظلم وريقة السرخان *
فأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعي يرثي أخاه :
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِي إِلَهَ إِذَا اشْتَكَى من الأجر لي فيه ، وإن عظم الأجرُ
وقول أبي نواس في صفة الخمر :
تَرَى الْعَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَعَانِهَا وتحسّر حتى ما تُقِلُّ جُفُونَهَا
فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .

وقد نص عليه القاضى الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل .
وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف
العبارة عنهما ، فيتباعد اللفظان ، وذلك هو الجيسد المستحسن ، نحو قول
امرئ القيس :
الاشتراك في
المعاني وأنواعه

كِبْكِرِ اللَّقَانَةَ الْبَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءَ غَيْرَ مُحَلَّلٍ^(١)
وقول غيلان ذي الرمة :

تَجَلَّاهُ فِي بَرَجٍ صَفْرَاهُ فِي نَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(٢)
فوصفاً^(٣) جميعاً لوناً بعينه : فشبهه الأول بلون بيضة النعام ، وشبهه الثاني بلون

(١) البكر : أول بيض النعامة ، واللقانة : المخالطة ، يقال : مايقانيني خلق فلان ، أى : ما يشاكل خلقى ويخالط نفسى ، والبياض : مفعول لللقانة ، ونائب الفاعل - وهو المفعول الأول - ضمير مستتر ، والتميز من الماء : الذى ينجع في الشاربة وإن لم يكن عذبا ، وغير محلل : لم يحلل عليه فيكدر .

(٢) رواية الديوان « كلاء في دعج » وقد سبقت للمؤلف « كلاء في برج » وذلك في (ص ٢٩) من هذا الجزء .

(٣) في المطبوعتين « فوصفها » وليس بشئ .

الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال «قد مسها»

ونحو قول عبدة بن الطبيب يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابٌ نِصْعٌ جَدِيدٌ فَوْقَ نُقْبَتِهِ وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالِ سَرَائِلٍ^(١)

وقال الطرمّاح يصف ظلياً :

مُجْتَابٌ شَمْلَةٌ بَرْجُدٍ لِسَرَاتِهِ قَدَرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجُدِ^(٢)

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعاً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد والتخطيط بسراريل من الخلال ، وهو ضرب من الوشي .

وقال النّاني : إنه مجتاب شملة برجد ، يريد ما على الظلم من قرونه ، والبرجد : كساء أسود مخمل ، وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجله وعنقه ؛ فدل على بياضهن

وقال عنتره :

صَعْلٌ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ^(٣)

(١) نصع - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم به كل جلد أبيض أو ثوب أبيض ، قاله في اللسان .

(٢) انظر (ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٨) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل الشملة قدراً لسراته » يدل على أنه بالراء المهملة من المقدار ، وقد فسرناه هناك على أنه قدد بدالين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغاني ، وهي أولى .

(٣) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، يعود : يأتي إلى بيضه ، كما تقول : عدت المريض . وذو العشيرة : موضع ، والأصلم : المقطوع الأذنين ، والظلمان كلها لا آذان لها ، قاله الخطيب ؛ وانظره مع كلام المؤلف .

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصل ، أى : قصير الذبول ، وإنما خص القرو لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه وإشرايهما الحمرة يعنى صفات الروم ، ولم تكن العبيد فى ذلك الوقت إلا بيضاً ؛ فهذا اشتراك فى وصف الظهر والقوائم واختلاف فى اللفظ والعبارة .

والنوع الثانى على ضربين : أحدهما : ما يوجد فى الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ، والسخى بالغيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيول ، ونحو ذلك ؛ لأن الناس كلهم - الفصيح والأعجم والناطق والأبكم - فيه سواء ؛ لأننا نجد مراكبا فى الخليقة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعاً ، ثم كثرت حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول ، نحو قولهم فى صفة الخلد « كالورد » وفى القد « كالنصن » وفى العين « كعين الممأة من الوحش » وفى العنق « كعنق الظبي » وكأبريق الفضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ، ثم تساوى الناس فيه ، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة ، أو ينقصه بقرينة ؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكاء بشواظ النار ، وسيرد عليك من قوافى باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى .

(٦٩) — باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحاحا جميعاً ، وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .
 من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية :
 لا يشرَبُونَ دِماءَهُمْ بِأَكْفِهِمْ إِنَّ الدِّماءَ الشَّافِياتِ تُكَالُ

حد التغاير
وسببه

أمثلة من التغاير

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قُتل له ، ويروى لامرأة حارثية :

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تكأيل بالدم
ويروى « في فتى لم يكن له وفاء » فالأول يقول : لا أخذ بالدم لبناً ، لكن
أخذ بما بقدره ، فكان ذلك مكايلة ، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير ،
فتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه ، وعسر إدراكه الثأر فقال : إن الدماء
ليست مما يكال به في الحقيقة ، وقيل : إنما يعنى بذلك أن الإسلام لما جاء أزال
المكايلة بالدم ؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله .

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم بفضل على الكرم المطبوع :

قَدْ بَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَاهِمًا وَقَلِيلاً وَرَغِينَاهُ بَارِضًا وَجَمِياً^(١)
فَعَلَمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا

وقال أبو الطيب في خلافه :

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله :

جَبْرُ الْكَسِيرِ إِذَا يُهَاضُ جَنَاحُهُ لَجَأُ الْمُطَرِّدِ مُسْتَعَاثُ الْمُمْلِقِ

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقليب : البئر . والبارض : أول ما يظهر من نبت الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتتساوله النعم ، وقال الأصمعي : أول ما يظهر من البهي بارض ؛ فإذا تحرك قليلاً فهو نحيم .

جَمَعَ الفضائلَ والمحامدَ والعُلَا خُلِقَ لَعَمْرُ أَيْكَ غَيْرُ تَخْلُقِ
وأصلُ معنى قول أبي الطيب من قول بشار :
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ
وقال البحتري في نحو ذلك :

لا يَتَعَبُ النَّائِلُ الْمُبْذُولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يُتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ ١٩
وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيراً ما يخالف الشعراء ويغايِر
مذاهبهم ، ألا ترى إلى قول علي بن العباس النوبختي - وهو في رواية الجرجاني
لابن الرومي - يصف القلم ويفضله على السيف ، وكتب بذلك إلى علي بن مقلة
في قصيدة :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعْتُ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ الشُّيُوفَ لَهَا مَذْ أَرْهَقَتْ خَدَمُ
قَالَمُوتُ - وَلَمُوتُ لَا شَيْءَ يُعَادِلُهُ - مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ

وهذا كلام مُتَقَنِّ البنية ، صحيح المعنى ، لا مَطْعَنَ فيه ، جاء أبو الطيب
فخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان ، ويصححه البرهان ، فقال :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اَكْتُبْ بَذَا أَدَأْقِلُ الْكِتَابَ بِهَا^(١) فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبلة ويفخر :

أَلَمْ تَسْمَعَا يَا بُنَيَّ حَكِيمَ حَنِينَهَا إِلَى السَّيْفِ تَسْتَنْبِكِي إِذَا لَمْ تَعْقِرِ

(١) بدا : اسم الإشارة عائد إلى السيف ، بها : الضمير عائد إلى الأقلام .
ورواية الديوان * اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به * وهي التي تتفق مع البيت
السابق (انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣) .

فجعلها إذا لم تعقر حنت إلى السيف واستنكت ؛ لكثرة عاداتها ، وهذا غُلومُ قُرط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها تنحدر له :

تَرَى النَّيْبَ مِنْ ضَيْفِي إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ضُمُورًا عَلَى جِرَائِهَا مَا تُجِيزُهَا
فزعم أنها تخفى حسنها حتى إنها لا تجتر خوفًا من النحر ، وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما :

وَأَيُّكَ حَقًّا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عَزْلٌ نَوَاحٍ أَنْ تَهْبَ شَمَالُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفَنَاءِ غَرِيبَةً فَدُمُوعُهُنَّ عَلَى الْخُدُودِ سِجَالٌ^(١)

يقول : إذا هبت الشمال — وهى من رياح الشتاء ، وعلامات المخل — أيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحدر للضيفان والجيران ؛ فهى نوايح لذلك ، وقوله * وإذا رأيت لدى الفناء غريبة * أى : يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتذرى كل واحدة دمعها ، لاتدرى هل هى المنحورة ، وهذا من مליح الشعر ولطيف المدح ، وقل كل مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مليح التغاير قول أبي الشَّيْصِ :

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِدِكْرِكَ ؛ فَلْيَلْمُنِي الْوُؤْمُ
وقول أبي الطيب فى عكس هذا :

أَحْبَهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ ؟ إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعده فى باب السرقات ، قال : وأصله من قول أبي نُوَّاس :

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصَبُوحِ عَذْلٍ فَمَمَزُوجًا بِتَسْمِيَةِ الْحَبِيبِ
ولأبي العلاء المعرى مثله من غير التزام :

(١) غريبة : أراد ناقة غريبة كما قال المؤلف ، أوطافه ، أونسمة ، أو ما أشبه ذلك.

لم يَبْقَ غَيْرُ الْعَذْلِ مِنْ أَسْبَابِهِمْ فَأَحَبُّ مَنْ يَدْنُو إِلَى عَذُولٍ
يَغْدُو فَلَا مُسْتَخْبِرٌ عَنْ حَالِهِمْ غَيْرِي ، وَلَا مُسْتَخْبِرٌ مُسْئُولٌ

(٧٠) — باب في التصرف ، ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو
وجزّل ، وأن لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ، ولا في المديح أنفذ منه في
المجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه
صوتاً في سائرهما ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قصب السبق ، كما
حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

مق يجوز
الشاعر قصب
السبق ؟

حكى الصاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني
محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وقد حضره البحتري ، فقال : يا أبا عبادة ، أمسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال :
بل أبو نواس ؛ لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب : إن شاء جد ،
وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه
فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ،
ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ؛ وإنما يعرف الشعر
من دفع إلى مضايقه ، فقال : ورئت بك زنادي يا أبا عبادة ، إن حكمتك في
عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل
عنهما ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا
من علم أبي عبيدة ؛ وإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر ، وقد خالف البحتري
أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق ، فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه
وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير

موازنة بين
مسلم وأبي
نواس

وبين جرير
والفرزدق

لا يعدو في هجائه الفرزدق ذِكْرَ القين وجمثن وقتل الزبير، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبدة، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .
فإذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف، وبهذا أقول أنا، وإياه أعتقد فيهما، وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يله السامع، حتى إن حبيباً ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال :

الجِدُّ والهزلُ في تَوْشِيعِ لِحْمَتِهَا
والنبلُ والسُخْفُ، والأشجانُ والطربُ^(١)

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :
لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصَرَّقَةً إِلَّا التَّصَرُّفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وأنشد صاحب لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر :
رُبَّ شِعْرِ نَقَدْتُهُ مِثْلَ مَا يَنْقُدُ رَأْسُ الصَّيَّارِفِ الدِّيَّانَا
ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معاً أبكاراً
لو تَأَنَّى لِقَالَةِ الشَّعْرِ مَا أُسْـسِقِطُ مِنْهُ حَلَوَا بِهِ الْأَشْجَارَا
إِنْ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

وقال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه
فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة
فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما
أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .
قال صاحب على أثر هذه الحكاية : فله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر
الشعر ، واستخرج أرق من السحر .

(١) قال الآمدي : قوله « الجد والهزل في توشيع لِحْمَتِهَا » بيت في غاية الحق ،
ومن يمدح وزيراً ، فلم يضمن قصيدته الهزل والسُخْفُ ؟ وإن كان هناك ما يدل على
هذا فلم ينبه عليه واعترف به ؟ اهـ ، والتوشيع : من قولهم « وشعت البرد » إذا
جعلت فيه ألواناً وطرائق .

ليحي المنجم في
نقد الشعر

من عنده علم
الشعر

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها صرماهم ،
ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من
تفضيلهم ، ويشهد إلى مجودة المئز ، وفَرْط التثبُت والإنصاف ، إن شاء
الله تعالى .

(٧١) - باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيعاً ، وأحلاهم ألفاظاً ،
وأطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف .

وقد قيل : الكتاب دَهَاقِينُ الكلام^(١) ، وما نزيدك على قول إبراهيم
من شعر إبراهيم الصولي ابن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر
قال ارتجالاً :

صَدَّ عَنِّي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَا وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَالَا
أُتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودِي وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَا

فطرب له المتوكل واهتز ووصَّله ، وخلع عليه وحمله ، وجدد له ولاية . وقيل
له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ، وأي مدح أبرع وأبدع من قوله في
الفضل بن سهل :

لَفَضْلٍ نِ نِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَاغْنَاهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ
* وَنَائِلَهَا لِلغَى وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ

أليس هذا المراء الزلال ، والسحر الحلال ؟ ؟

ولقد أجاد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال :

مُقَبَّلُ ظَهْرِ السَّكْفِ ، وَهَابُ بطنِهَا لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا الْحَطِيمُ وَزَمَرُمُ

(١) الدهاقين : جمع دهقان - بكسر فسكون - وهو التاجر البارع ، وقال الشاعر :

إِنَّمَا الدَّفَاءُ يَاقُوتَةُ أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسِ دَهْقَانِ

فظاهرُها للناس رُكْنٌ مُقْبَلٌ وباطنها عَيْنٌ من الجود عَيْلٌ^(١)
إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى . وهذان البيتان - وإن
كانت فيهما زيادة - فإنما هما بإزاء البيت الأوسط من أبيات إبراهيم فقط . .
ومن تغزل إبراهيم قوله :

أراك فلا أَرُدُّ الطرفَ كَيْلًا يكون حجابَ رؤيتك الجفونُ
ولو أنى نظرتُ بكل عينٍ لما استقصت محاسنك العيونُ
فهذا وأبيك البيان ، والخبر الذي كأنه العيان .

وما أجد كل حلاوة وحسن طلاوة ، إلا دون قوا [٤] :

ابتداءً بالتجنى واقتضاءً بالتعظي
واشتفاءً بتجنيك لأعدائك مني
بأنى قل لي لكى أعلم لم أعرضت عني
قد تمنى ذاك أعداى ، فقد نالوا التمنى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله في محمد بن عبد الملك الزيات :
فكن كيف شئت وقل ما نشاء وأرعد يميناً وأبرق شمالاً
نجابك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا^(٢)

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبي دؤاد ، وقد أمر
الوائق أن يقوم جميعُ الناس لابن الزيات ، ولم يجعل في ذلك رخصة لأحد ،
وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحسَّ بقدمه أنفةً من القيام إليه
في دار السلطان ، وامثالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتى وأراه ينسك بعدها ويصوم
لاتعد من عداوة مشئومة تركتك تقعد تارة وتقوم

ومن تغزله قوله ، وهو في غاية العذوبة :

(١) عيلم - بفتح العين المهمة وسكون الياء المثناة - أصله البحر والماء
الكثير ، والبرث الكثيرة الماء .

(٢) في كثير من الأصول « حمته مقاذره أن ينالا » بدون ياء .

قام بقلبي وقعدُ لما نفى عني الجلدُ
يا صاحب القصر الذي أَسْهَرَ عيني ورقدُ
وَأَعْطَشِي إلى فمٍ يَبْجُ خَمْرًا من بردُ
إن قُسمَ الناسُ فَحَسْبِي بك من كل أحدُ

وقال يرثي جاريته سلوانة ، وهي أم ولد له عمر الأصغر :

يقول لي الخلان : لو زُرْتُ قبرها فقلتُ : وهل غير الفؤاد لها قبرُ؟
على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبرُ
وقال أيضًا وأحسن ما شاء :

مالي إذا غبتُ لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال الشقم لم أعدِ
ما أعجب الشيء ترجوه فتخرمه قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الإكثار منه ههنا .

وأما الحسن بن وهب فمن قوله :

لم تنم مقلتي لطول يكها ولما جال فوقها من قذاها
فالقذى كحلها إلى أن ترى وجة سليبي ، وكيف لي أن تراها ؟ !
أُسْعِدَتْ مقلتي بإدمانها الدمع وهجرانها الكرى مقلتها
فلعمري في كل حين دُمُوعٌ إني تستدرها عينها

وقدّم إليه كانون ، ومعه قينة كان يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون ، فصنع :

بأبي كَرِهْتَ النارَ حتى أَبْعَدْتُ فمرفت ما مَعْنَاكَ في إبعادها
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صديعك بالقلوب صديعها بأراكها وسياها وعَرَّادها
شَرَكْتُكَ في كل الجهات بحسنها وصيائها وصلاحها وفسادها

ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غيب مطر :

هَطَلْتَنَّا السَّمَاءَ هَطْلًا دَرَاكَ جَاوَزَ الْمَرْزُبانَ فِيهِ السَّيَّاحُ

من شعر
الحسن بن
وهب

قلتُ للبرقِ إذ تألقَ فيه : يا زنادَ السماء من أوراكا^(١)
 أحبيباً أحببته خفاكاً ؟ فعمى داك أن يعودَ كذاكا
 أم تشبّهت بالأمير أبي العباس في جوده ؟ فلستَ هناكا
 وهذا هو الكلام السكتاني ، السهل ، المرسل ، الحسن الطلاوة ، والظاهر
 الحلاوة .

ومن قوله يرني حبيباً الطائي ، وكان صديقاً له جداً :
 سقى بالموصلِ القبرَ الغريباً سحائبُ يَنْتَحِنَنَّ به نحيبا
 إذا أظلّنه أطلقنَ فيه شبيب المزن يُتبعها شعيبا
 وَلَطَمَتِ البروقُ له خدودا وَشَقَّ قَتِ الرُّعودُ له جيوبا
 فإنَّ ترابَ ذاكَ القبرِ يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيباً
 وهي قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتّاب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو القائل في طول الليل :
 من شعر
 سعيد بن
 حميد الكاتب

يَالَيْلُ ، بَلْ يَا أَبَدُ أَنَا نَمُّ عَنْكَ غَدُ ؟
 يَالَيْلُ ، لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى هَا أَوْ جِدُ
 قَصَرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أَضَعِفَ مِنْكَ الْجِلْدُ

ورواه قوم * أنحل منك الجسد * والأول عندي أصوب ، وعلى كل حال
 فنه أخذ أبو الطيب قوله :

ألم يرَ هذا الليلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيِي فتظهرَ فيهِ رَقَّةٌ ومحولُ

وليس يلزم الكتّاب أن يجارى الشاعر في إحكام صنعة الشعر ؛ لرغبة
 الكتّاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكفاة ، والإتيان بما يخف على
 (١) تألق : لمع ، وزناد السماء : شبه به البرق ، وأوراك : من قولهم « وري
 الزند » إذا قدحه ليخرج نارا .

ملا يلزم
 الكتّاب

النفس منها ؛ وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي نظرفاً ، لا عن رغبة ولا رهبة ،
فهم مطلقون مُخَلَّوْنَ في شهواتهم ، مسامحون في مذهبهم ؛ إذ كانوا إنما يصنعون
الشعر تخيراً واستظرافاً ، كما قال كشاجم الكاتب :

ولئن شعرتُ فما تعددت الهجاء ولا المديحة
لكن رأيتُ الشعرَ للآدابِ ترجمةً فصيحته

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء ، والأمراء ، والمترفين من
أهل الأقدار : لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته ، والمديح
بضاعته .

وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأغرب في قوله :
فإن كانَ مَرَضِيًّا فَقُلْ : شعر كاتبٍ وإن كان مسخوطاً فَقُلْ : شعر كاتب^(١)
ولو حاولتُ أن أذكر مَنْ علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -
لبعدَ الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛
لكنني عوّلت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لإحالة الجاحظ في الفضل
عليهما ، وأنستهما باثنين ليسا بدونهما ، ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بنيته
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا
والكفاية .

من شعر
أبي الحسن

فمن ذلك قوله :

بَاكِرِ الرَّاحِ وَدَغِ عَنكَ الْعَذَلِ وَاسِعَ فِي الصُّحَّةِ مِنْ قَبْلِ الْعِلَلِ
وَاعْتَنِمِ لَذَّةَ يَوْمِ زَائِلِ فَاَلْمُنَايَا ضَاكِكَاتٌ بِالْأَمَلِ
مَا تَرَى السَّاقِي كَشَمْسٍ طَلَعَتْ تَحْمَلُ الْمَرِيخَ فِي بُرْجِ الْحَمَلِ
مَأْسَاً كَالْفَصْنِ فِي دَغْصِ نَقَا فَاتِنَ الْمَقْلَةِ زَيْنَتْ بِالْكَحَلِ

(١) انظر (ج ١ ص ٣٣٥) تجد المؤلف تعليقا على هذا البيت .

وقوله أيضا يتغزل :

مَرَّ بِنَايَهْتَرُ فِي مَشْيِهِ مثل اهْتَزَّازِ الْعُصْنِ الرَّطْبِ
فَقَلَّتِي تَرْتَعُ فِي حُسْنِهِ ومَقْلَتَاهُ أَحْرَقَتْ قَلْبِي
قوله « أحرقت » وهما مقلتان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في
طبقات الشعراء :

أشركت عيناه ظالمة في دمي يا عَظَمَ ما جنت
فقال « ظالمة » وقال « جنب » لأن التثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر
عنها كما تخبر عن الواحد : لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدهم :
لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زَلُّ بهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ
فقال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .

ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله :

أَمِنُ الزَّمانَ زَمَانَةَ الْعَقْلِ فَاخْشَ الْآلِهَ وَحُلَّ عَنِ الْجَهْلِ
وَأَعْلَمُ بِأَنْكَ فِي الْحَسَابِ غَدًا تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فَعْلٍ

ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وإنصافهم قوله :

أياربَّ ، إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي
إِذَا مَا رَأَوْنِي فِي رَخَاءٍ تَرَدَّدُوا إِلَى ، وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ
وَمَهْمًا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزَنُوا لَهَا ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدْقِ جَذَلَاتِ
نِقَاتِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لَدَيْهِمْ وَإِنْ عَنْهُمْ أَخَّرْتُهَا فَعِدَاتِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَصْرِفْ عَنْهُمْ قَالِيَا لِحَظَاتِي
وَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لِعَلِّي أَعَيْنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي
أَلَا إِمَّا الدُّنْيَا كَفَافٌ وَصِحَّةٌ وَأَمِنْ ، ثَلَاثٌ هُنَّ طِيبُ حَيَاتِي
قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرفه :

* فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى ^(١) *

ثم فسّره فقال :

* ففهن سَبَقُ العاذلات شربة ^(٢) *

* وَكَرَّرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّباً ^(٣) *

* وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ ^(٤) *

والسبق والتقصير والكر كلها مذكرة ، لكن أراد ما قدمت .

ومن أحسن الأشعار قوله :

خَلِيلِيَّ ، إِنِّ لَمْ تُسْعِدْ أُنِي فَأَقْصِرَا فَلَيْسَ يُدَاوِي بِالْعَتَابِ الْمُتَيْمِمُ
تَرِيدَانِ مِنِّي النَّسْكَ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَغُصْنِي رَيَّانٌ وَرَأْسِي أَسْحَمُ
وقوله في قصيدة طويلة :

غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ يَنْوُسُ بِقُرْطُهَا جِدُّ حَكِّي جِدِّ الْغَزَالِ الْأَعْنَقِ
صَدَّتْ فَأَغْرَتْ بِالسَّجُومِ مَدَامِي وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ بِالْدمُوعِ الشُّبْقِ
تَشْكُو الْبُعَادَ إِذَا بَعْدَتْ تَصَبُّرًا وَإِنْ ارْتَجَعْتَ إِلَى الزِّيَارَةِ تَفَرَّقِ
وَلَقَدْ يَبِيتُ أَخُو الْمَوَدَّةِ لِأُمِّي فِي جِهَا لَوْمِ الشَّفِيقِ الْمَشْفِقِ
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فَأَبْصَرَ شَخْصَهَا أَخْزَى جِهَالَةَ لِأُمِّي الْمُسْتَحْمَقِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتَ بِوَصْلِهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَشَرِبَ صَافِيَةً كَلَوْنَ الزُّبُقِ

(١) تمامه * وجدك لم أحفل متى قام عودي *

(٢) تمامه * كميت متى ماتعل بالماء تزيد * ويروى « سبق العاذلات »

(٣) مجنبا - بالجيم الموحدة - هكذا هو في رواية ضعيفة ، والرواية الموثوق

بصحتها « مجنبا » بالحاء المهملة ، وتمام البيت * كسيد الغضا نهته المتورد *

(٤) البيت بتمامه هكذا :

وتقصير يوم الدجن معجب بهسكة تحت الحباء المعمد

يسعى بها كالبدنير، ليملةً تمهٍ سَحَّارُ الحَاظِ رَحِيمُ المنطقِ
آلَيْتُ أَتْرُكُ ذَا وتلكَ وهذهِ حتى يفارقني سوادُ المَفرِقِ
فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة معانيه
وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواقعها من القلوب ، وسرعة
تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها ،
إن شاء الله تعالى .

(٧٢) — باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بَسْطٌ لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته
في باب حد الشعر وتبيينه ، وأنا ذا كر هنا ما لا بد منه .

للناشئ في
صناعة الشعر

تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .
فكتب إليه أبو العباس الناشئ :

لَعَنَ اللهُ صُنْعَةَ الشعرِ ، ماذا من صنوفِ الجهالِ فيها لَقِينَا؟
يُؤْثِرُونَ الغَرِيبَ منه على ما كان سهلاً للسامعين مُبِينَا
وَيَرْوْنَ الحَالَ شَيْئًا صحيحًا وخسيسَ المقالِ شَيْئًا ثَمِينًا
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ منه ، ولا يَدْرُونَ للجهلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَ
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سَوَانَا يَلَامُونَ ، وفي الحق عندنا يُعْذَرُونَ
إنما الشعر ما تناسب في النظم ، وإن كان في الصفات فنونا
فَأَتَى بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا قد أقامت له الصُّدُورُ الْمُتُونَا
كُلُّ معنى أَتَاكَ منه على ما تَتَمَعَّى لو لم يكن أن يكونَا
فتناهى عن البيانِ إلى أنْ كَادَ حَسَنًا يَبِينُ للناظرِينَا
فَكَانَ الأَلْفَاظُ فِيهِ وجوهَ والمعاني رُكُوبُنَ فِيهِ عِيُونَا

فأثنا في المرام حَسَبَ الأمانى فيجلى بحسنه المُشْدِدينَا
 فإذا ما مدحت بالشعر جراً رمت فيه مذاهب المسهبينَا
 فجعلت النسيب سهلاً قريباً وجعلت المديح صدقاً مبينَا
 وتنكبت ما تهجن في السمع ، وإن كان لفظه موزونَا
 وإذا ما قرضته بهجاء عفت فيه مذاهب الرفثينَا
 فجعلت التصريح منه دواءً وجعلت التعريض داءً دفينَا
 وإذا ما بكيت فيه على الغاء دين يوماً للبين والظاعنينَا
 حُلّت دون الأسى وذلت ما كا ن من الدمع في العيون مصُونَا
 ثم إن كنت عاتبا شبت في الوعد وعيدا وبالصعوبة ليْنَا
 فتركت الذى عتبت عليه حذراً آمناً ، عزيزاً مهينَا
 وأصح القريض ما فات في النظم ، وإن كان واضحاً مستبينَا
 وإذا قيل أطمع الناس طراً وإذا ريم أعجز المعجزينَا

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري : كنت في حدائق أروم الشعر ،
 وكنت أرحم فيه إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ،
 حتى قصدت أبا تمام ؛ فانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان
 أول ما قال لى : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، صفر من الغوم ،
 واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت
 السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فإن
 أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ،
 وتوجع السكابة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد
 ذى أياذ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبين معالمه ، وشرف مقامه ، وتقاض
 المعالي ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية ، وكن

وصية
 أبي تمام
 للبحتري

كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرخ نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه ؛ فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماصين : لما استحسنته العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشجذ الفريجة له ، فلم أثق بحفظي فيه ، حتى صححته فأثبتته بمكانه من هذا الباب^(١) .

للناشيء أيضا
في الشعر

ومن قول الناشيء في معنى شعره الأول :

الشعر ما قوِّمت زِينَعُ صَدُورِهِ	وَشَدَّدْتَ بِالْتَهْدِيبِ أَمْرَ مَتُونِهِ
ورأيت بالإطناب ^(٢) شَعْبَ صُدُوعِهِ	وفتحتَ بالإيجازِ عُورَ عَمِيُونِهِ
وجمعت بين قريبه وبعيده	وَوَصَّلْتَ بَيْنَ مَجْمَعِهِ وَمَعِينِهِ
فإذا بكيت به الديارَ وأهلها	أَجْرَيْتَ لِلْمَحْزُونِ مَاءَ شَوْوُونِهِ
وإذا مَدَحْتَ به جواداً ماجداً	وَفَيْتَهُ بِالشَّكْرِ حَقَّ دِيُونِهِ
أَصْفَيْنِهِ بِنَفْسِهِ وَرَصِينِهِ	وَخَصَصْتَهُ بِخَطِّ يَرِهِ وَثَمِينِهِ
فيكون جزلاً في اتِّسَاقِ صَنُوفِهِ	وَيَكُونُ سَهلاً فِي اتِّفَاقِ فَنُونِهِ
فإذا أردتَ كُنْأَيَةً عَنْ رَتْبَةٍ	بَايَنْتَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَبَطُونِهِ
فجعلتَ سامعه يشوب شكوكه	بِبَيَانِهِ وَظُنُونَهُ بِيَقِينِهِ
وإذا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ	أَدْنَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فتركتَه مُسْتَأْنَساً بِدَمَائِنِهِ	مُسْتَيْئِساً لَوْعُونِهِ وَحُزُونِهِ

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) يقال « رأب الشعب » و « رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد .

وإذا نبذت إلى التي عُلِّقَتْهَا • إِنَّ صَارَ مَتَكَ بِفَاتِنَاتٍ شُؤُونِهِ
تَهْمَتَهَا • بِلَطِيفِهِ وَدَقِيقِهِ وَشَفَقَتِهَا بِخَبِيرِهِ ——— ، وَكَمِينِهِ
وإذا اعتذرت إلى أخ من زَلَّةٍ واشكت بين محيٍ ——— ومبينه
وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً ،
إن شاء الله سبحانه وتعالى .

(٧٣) — باب النسب

حق النسب أن يكون حلو الألفاظ رَسَلَهَا ، قريب المعاني سَهَّلَهَا ،
غير كَرَّ وَلَا غَامُضٌ ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ ظَاهِرَ الْمَعْنَى ، لِيُنْ إِثَارٌ ^(١) ،
رَطْبَ الْمَكْسَرِ ، شَقَّافَ الْجَوْهَرِ ، يُطْرِبُ الْحَزِينَ ، وَيَسْتَخْفُ الرَّصِينَ .
روى أبو علي إسماعيل بن القاسم ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن
الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن راوية كثير ^(٢) قال : كنت مع جرير
— وهو يريد الشام — فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بني مليح — يعني كثيراً —
فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي ^(٣) بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُصَمَاءَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ

(١) انظر نقد الشعر لقدامة ٤٢ الآستانة .

(٢) ربما قرئت « لين الأبخار » .

(٣) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواه عن كثير » وهو خطأ ،
وما أثبتناه عن الأمازي (ج ٢ ٢٢٨) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا
الشعر لمجنون بن عاصم ، لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه له ، وقد وقع لي في ديوانه
وبعد البيتين :

فما حب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالمؤدى يوم رد الناع
(٤) في الأمازي « إذا ما استميتني » والذي في الأصل موافق لرواية البكري
في التنبيه .

تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ^(١) وَخَلَّفْتَ مَا خَلَّفْتَ^(٢) بَيْنَ الْجَوَاحِ
فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي التَّخْيِيرَ لَنَخَّرْتُ حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامٌ
عَلَى سَرِيرِهِ . . .

وَقِيلَ لِأَبِي السَّائِبِ الْحَزَوْنِي : أَتَرَى أَحَدًا لَا يَشْتَهِي النَّسِيبَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا
مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد . . . وأما الغزل فهو إلف النساء،
والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فمن جعله بمعنى التغزل فقد
أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر^(٣)

الفرق
بين الغزل
والنسيب

وَقَالَ الْحَاتِمِيُّ : مَنْ حَكَّمَ النَّسِيبَ الَّذِي يَفْتَتِحُ بِهِ الشَّاعِرُ كَلَامَهُ أَنْ يَكُونَ
مَمْزُوجًا بِمَا بَعْدَهُ مِنْ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ ، مُتَّصِلًا بِهِ ، غَيْرَ مُنْفَصِلٍ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ مِثْلَهَا
مِثْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي اتِّصَالِ بَعْضِ أَعْضَائِهِ بِبَعْضٍ ، فَتَقَى انْفِصَالُ وَاحِدٍ عَنِ الْآخَرِ
وَبَايَنَهُ فِي صِحَّةِ التَّرَكِيبِ غَادِرُ الْجَسْمِ عَاهَةً تَتَخَوَّنُ^(٤) مُحَاسِنَهُ ، وَتُعَقِّيْ مَعَالِمَ جَمَالِهِ ،
وَوَجَدْتَ خُذَّاقَ الشُّعْرَاءِ وَأَرْبَابَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ يَحْتَرِسُونَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ
الْحَالِ احْتِرَاسًا يَحْمِيهِمْ مِنْ شَوَائِبِ النِّقْصَانِ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى مَحَاجَّةِ الْإِحْسَانِ .
وَمَنْ مَخْتَارٌ^(٥) مَا قِيلَ فِي النَّسِيبِ قَوْلَ الْمَرَارِ الْعَدَوِيِّ .

من
مختار نسيب
التقدمين

(١) في الأمل « حين لا لي مذهب » وكذلك في التنبيه (ص ١١٨)

(٢) في التنبيه « وغادرت ما غادرت » والذي في الأصل موافق لما في الأمل

(٣) انظر نقد الشعر ص ٤٢ .

(٤) تتخون محاسنه : أي تنقصها .

(٥) هذه الأبيات من قصيدة للمرار احتارها أبو العباس المفضل الضبي في
« المفضليات » وفي رواية المفضليات أبيات بين بعض هذه الأبيات وبعض ؛ فلعل
المؤلف لم يقصد إلى اختيار قطعة كاملة من القصيدة يقفوا بعض أبياتها بعضها .

وَهِيَ هَيْفَاءُ هَضِيمٌ كَشَحُهَا فَخَمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَزَرُ
صَلَتُهُ انْحَدُّ طَوِيلٌ جِيدُهَا ضَخَمَةُ الثَّدْيِ (١) وَلَمَّا يَنْكَسِرُ
يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِي خَلْجَالِهَا فَإِذَا مَا أَكْرَهَتْهُ يَنْكَسِرُ
لَا تَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا دُونَهَا عَنْ بِلَاطِ الْأَرْضِ ثَوْبٌ مَنْعَقَرُ
تَطَأُ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ وَتُطِيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجْرُ
ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَمْسَاطِهَا مِثْلَ مَا مَالِ كَثِيبٍ مَنْعَقَرُ
عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ بِهَا فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعْرَجُونَ الْعَمْرُ
أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا جَرَّدَتْهَا غَيْرَ سَمَطَيْنِ عَلَيْهَا وَسُورُ

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه
بنساء الملوك .

وأنشد لغيره :

قليلة لحم الناظرين يزينا شبابٌ ومخفوض من العيش باردُ
أرادت لتنتاش الرواق فلم أقم إليه ، ولكن طأطأته الولائدُ
تناهى إلى لهو الحديث كأنها أخو سقطة قد أسلمته العوائد

وأنواع النسب كثيرة ، وهذا الذي أنشدته أفضلها في مذاهب المتقدمين ،
وللمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا :

فما أختار من ذلك ما ناسب قول أبي نواس :

حَلَّتْ سَعَادٌ وَأَهْلُهَا سَرَقًا قَوْمًا عِدَى وَمَحَلَّةً قُدُفًا
وَكُنْ سَعْدَى إِذْ تَوَدَّعْنَا وَقَدْ اشْرَابَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا
رَشًا تَوَاصِينَ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقَدَنُ بِأَذِهِ شَفْنَا

بما يختار
من نسب
المحدثين

(١) رواية المفضليات « ناهد الثدي » .

لمسلم بن
الوليد

فإن هذا في غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما ناسب قول مسلم بن الوليد :
أَحِبُّ التي صَدَّتْ وقالت لِتَرْبِها : دَعِيه ، الثَّرَيَّا منه أَقْرَبُ من وَصَلِي
أَمَاتَتْ وَأَخِيَتْ مُنْجَتِي فَغَيَّ عِنْدَهَا مُعَلَّقَةٌ بين المَوَاعِيدِ وَالْمَطْلِ
وما نِلْتُ منها نائلاً غَيْرَ أَنِّي بِشَجْوِ الحَبِيبِ الأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي
بلى ، ربما وَكَلْتُ عَيْنِي بِنَظَرَةٍ إِلَيْها تَزِيدُ القلبَ خَبَلاً على خَبَلٍ

للبحري

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحري :

رَدَدَنْ ما خَفَقَتْ مِنْهُ الخُصُوفُ إلى ما في المَآزِرِ فَاسْتَقْلَنْ أَرْدافا
إِذا نَضَيْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةً قَشَرْنَ عَن لَوْلؤِ البَحْرِ بِأَصْدافا
والبحري أرق الناس نسباً ، وأما حهم طريقة ، ألا تسمع قوله :

إني وإن جَانَبْتُ بَعْضَ بَطَّالَتِي وَتَوَهَّمِ الواشُونَ أَنِّي مُقْصِرُ
لَيْسُ وَقْفِي بِسِحْرِ العَيونِ الْمُجْتَلَى وَيروقني وَرْدُ الخُذُودِ الأَحْمَرِ

وشعره من هذا النمط ، لا سيما إن ذكر الطيف ؛ فإنه الباب الذي شهر به ،
ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له من ذلك التافه

لأبي تمام

اليسير في خلال القصائد ، مثل قوله :

بِتْ أَرعى الخُذُودَ حَتَّى إِذا ما فارقوني بَقِيَتْ أَرعى النُّجُوما
وقوله أول قصيدة :

أَرَامَةٌ ، كُنْتُ ما لَفَ كُلَّ رِيْمٍ لو اسْتَمْتَعْتُ بِالْأَنْسِ المَقِيمِ
أَدَارَ البُؤْسِ ، حَسَنُكَ التَّصَابِي إلى فَصَرْتُ جَنَّاتِ النِّعَمِ
وَمِمَّا ضَرَّ مَ البرَّحَاءُ أَنِّي شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إلى رَحِيمِ

للعندي

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله :

كثيلاً توقاني العواذِلُ في الهَوَى كما يَتَوَقَّى رَبِضَ الخَلِيلِ حَارِزُهُ

قَفِي تَغْرَمُ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بَثَانِيَّةٌ ، وَالتُّلُفُ الشَّيْءُ غَارْمُهُ
سَقَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَالْخَدُورُ كَأَمَّةُ
فَقَدْ جَاءَ بِأَمْلَحِ شَيْءٍ وَأَوْفَاهُ مِنَ الظَّرَافَةِ وَالْغَرَابَةِ .
وَقَوْلُهُ يَذْكَرُ رَبْعَ أَحِبَابِهِ :

نَزَلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ نَمَشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُنَلِّمَ بِهِ رَكْبًا
نَذَمُ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فَعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبًا
وَقَالَ فِي ذِكْرِ الدِّيَارِ أَيْضًا :

وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أَسْتَشِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ
دِيَارُ اللُّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِسُمْرِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ
حَسَانُ التَّنْتِنَى يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مِشْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النُّوَاعِمِ
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرِّ تَقْلَدْنَ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَّجَتْ بِالْمَبَاسِمِ

وردد جماعة من الكتاب على العتابي ، وهو مجلب ، وفي يده رقعة ، وقد
أطال فيها النظر والتأمل ، فقال : أرايتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا : نعم ،
قال : لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره ، فله دره ، وكان في الرقعة قول
أبي نواس :

رَسَمُ الْبَكْرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحْمِلُ عَفَى عَلَيْهِ بُسْكَى عَلَيْكَ طَوِيلُ لأبي نواس
يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَظَاتِهِ حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ أيضا
رَوَى [الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : أغزل بيت قالتها العرب
قول عمر بن أبي ربيعة :

فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قَلْنَ لَهَا : حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ
وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : أَغْزَلَ بَيْتَ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ :
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضُرِّي نَسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

لامرئ القيس

وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل

لجميل

من قول جميل بن معمر :

لكلِّ حديثٍ بينهم بَشَاشَةٌ وكلُّ قتيلٍ عندَهنَّ شهيدُ
وفَضَلَتِه بهذا البيتِ سكينة بنت الحسين بن عليٍّ رضوان الله عليهم ، وأثابته
به دون جماعة من حضر من الشعراء .

للأحوص

وقال بعضهم : الأحوص من أغزل الناس بقوله :

إذا قلتُ إني مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا وحمُّ التَّلَاقِ بيننا زادني سُقْمًا
وقال غيره : بل جميل بقوله :

لجميل أيضاً

يَمُوتُ الهوى مني إذا ما لَقِيتُهَا وَيَحْيَا إذا فَارَقْتُهَا فيعودُ

لجرير

وقال آخر : بل جرير بقوله :

فلَمَّا التَقَى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ العَصِي ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة ؛ لزيادته سُقْمًا إذا
التقى بالحبوب .

لأبي صخر

وقال الحاتمي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر :

فَيَا حُبِّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ نَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ أَيَّامٍ مَوْعِدِكَ الْخَشْرُ

لأبي نواس

وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً لحدث ، إلا قول أبي نواس :

كَأَنَّ نِيَابَهُ أَطْلَعَنِي مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا

يزيدُكَ وَجْهُهُ حَسَنًا إذا ما زِدْتَهُ نَظَرًا

بعينِ خَالِطِ التَّفْتِيرِ مِنْ أَجْفَانِهَا الْخَوَرَا

وَحَدَّ سَارِيَّ لَوْ تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطَرًا

الأسماء التي
بتغزل الشعراء

وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون فيها

بها زوراً نحو: ليلي ، وهند ، وسلمى ، ودغد ، ولبنى ، وعفراء ، وأزوى ،
وريا ، وفاطمة ، ومية ، وعُلوة ، وعائشة ، والرباب ، وجمل ، وزينب ،
ونعم ، وأشباههن .

ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشده الأصمعي :
وما كان طيباً حبباً غير أنه يُقام بسلمى للقوافي صدورها^(١)
وأما عزة وبنينة فقد حاما كثيراً وجميل ، حتى كأنما حرماً على الشعراء . .
وربما أتى الشعراء بالأسماء السكثيرة في القصيدة؛ إقامة للوزن، وتحلية للنسيب ،
كما قال جرير:

أجد رواح القوم؟ بل لات رَوْحُوا نعم كل من يُعنى بجُملي مَبْرَح
ثم قال بعد بيت واحد :

إذا سائرَت أسماءُ يوماً ظمائناً فأسماءُ من تلك الظمائن أُمْلَح^(١)
ظلمنَ حَوَالِي خِذْرَ أسماءٍ فانتحى بأسماءِ مَوَارِ الْمَلَطِينِ أروح
صحَّ القلبُ عن أَسْمَاءٍ قَدْبَرَتْ بِهِ وما كان يَلْقَى من تَمَاضٍ أْبْرَحُ
وأما قول السيد الحميري :

ولقد تكونُ بها أوانس كالدمى هند وعَبْدَةُ والرباب وبَوَزَع
فإنه ثقيل من أجل بَوَزَع .

وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فما ظنك بالسيد الحميري؟
وكما كانت اللفظة أخلى كان ذكرها في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم
يُزَوِّرَ الأسم ، وإنما قصد الحقيقة لا إقامة الوزن؛ فحينئذ لا ملامة عليه، ما لم يجد في
الكنية مندوحة . .

وقال يزيد بن أم الحكم :

(١) الطب : العادة والسجية ، وقال الشاعر :

وما إن طبناجين ، ولكن منايانا ودولة آخرينا

(٢) يروي * . . . طعية . . . من تلك الطعينة . . .

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَعْتَادُهُ عَيْدًا
كَانَ أَحْوَرَّ مِنْ غِزْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِعَائِشَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجَيْدَا
عَلَى أَنْ بَعْضُهُمْ رَوَاهُ « أَهْدَى لَهَا شَبَابَ الْعَيْنِينَ » وَهُوَ أَجْوَدُ لَا مُحَالَةَ ، وَمِثْلُ
هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ ، وَلَسْتُ أَرَى مِثْلَهُ مِنْ عَمَلِ الْحَدِيثِينَ صَوَابًا ،
وَلَا عِلْمَتَهُ وَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ السَّيِّدِ الْمُتَقَدِّمِ آتِنَا ، وَقَوْلُ أَيْ
تَمَامِ الطَّائِي :

وإن رَحَلْتَ فِي ظُعْنِهِمْ وَحُدُوجِهِمْ زَيَانِبُ مِنْ أَحِبَابِنَا وَعَوَاتِكُ
وَمِنْ عِيُوبِ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَكْثُرَ التَّغْزُلُ وَيَقْلُ الْمَدِيحُ ، كَمَا يَحْكِي عَنْ شَاعِرٍ
أَتَى نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ بِأَرْجُوزَةٍ فِيهَا مِائَةُ بَيْتٍ نَسِيبًا وَعِشْرَةَ أَيْيَاتٍ مَدِيحًا ، فَقَالَ
لَهُ نَصْرُ : وَاللَّهِ مَا أَبْقَيْتُ كَلِمَةً عَذْبَةً وَلَا مَعَى لَطِيفًا إِلَّا وَقَدْ شَغَلْتَهُ عَنْ مَدِيحِي
بِنَسِيبِكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ مَدِيحِي فَاقْتَصِدْ فِي النَّسِيبِ ، فَعَدَا عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :
هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لَأُمِّ عَمْرٍو ؟ دَعُ ذَا وَحَبْرٍ مَدْحَةً فِي نَصْرٍ
فَقَالَ نَصْرُ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

فَأَمَّا مَذْهَبُهُ الْأَوَّلُ فِي طَوْلِ النَّسِيبِ وَقَصْرِ الْمَدِيحِ فَإِنْ نَصِيبًا اتَّبَعَهُ فِيهِ ، وَلَكِنْ
ذَاكَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى اقْتِرَاحٍ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا بَنِي جَبْرِيلَ ، وَأَمَّا الْمَذْهَبُ
الثَّانِي فَانْتَحَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيبٌ وَمَنْ يَحْسُمِي وَحَالِي عِنْدَهُ مَقَمٌ
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

وَيَعَابُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَفْتَخِرَ أَوْ يَتَعَاطَى [فَوْقَ] قَدْرِهِ ، كَمَا أَخَذَ عَلَى
عَبَّاسٍ قَوْلَهُ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي لَا تَفُوتُوا مَهْجَتِي مَصَالِيَتَ قَوْمِي مِنْ حَنِيفَةٍ أَوْعَلٍ
وَعَيْبُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ صَمِيمٌ بِي تَمِيمٌ قَوْلُهُ :

يَأْخُذُ مَاجِيَةَ بَنِي سَامَةَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دُمِي
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النِّسِيبُ الَّذِي يَصْنَعُ مَجَازًا كَالَّذِي فِي بَسْطِ الْقَصَائِدِ ،
فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَا مَكْرُوهَ فِيهِ .

وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي ربيعة المخزومي :

بِئْسَ يَنْعَتَنِي أَبْصَرْتَنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَغْرَ
قَالَتِ الْكُبْرَى : أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ قَالَتِ الْوُسْطَى : نَعَمْ ، هَذَا عَمْرُ
قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيْمَمْتُهَا : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ ! ؟
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ لَمْ تَنْسُبْ بِهِنَ ، وَإِنَّمَا نَسَبْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ
أَنْ تَقُولَ : قَالَتْ لِي فَقُلْتُ لَهَا ، فَوَضَعْتَ خَدِي فَوَطَّئْتَ عَلَيْهِ .
وَكُنْتُ لَكَ قَالَهُ كَثِيرٌ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ :

قَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا تَعَاتِبُهَا : لَا تُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي مُعَمَّرِ
قَوْمِي تَصَدَّقْ لِي لِأَبْصَرِهِ ثُمَّ اغْمِزْهُ يَا أُخْتُ فِي خَفَرِ
قَالَتْ لَهَا : قَدْ غَمَزْتَهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرَتْ تُشْتَدُّ فِي أَثَرِي

أهكذا يقال للمرأة ؟ ؟ إنما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة .

قال بعضهم - أظنه عبد الكريم - : العادة عند العرب أن الشاعر هو
المتغزل المتماوت ، وعادة المعجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة ، وهن الأدليل
كرم النجيزة في العرب وغيرتها على الحرم .
وعاب كثير على نصيب قوله :

أَهَيْمُ بَدْعِي مَاحِيَتِ ، فَإِنْ أَمْتُ فَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَنْ يَهَيِّمُهَا بَعْدِي
حتى إنه قال له : كَأَنَّكَ اغْتَمَمْتَ لِمَنْ يَفْعَلُ بِهَا بَعْدَكَ ، وَهُوَ لَا يَكْفِي . .
ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب - وقد دخل على علي بن عبد الله بن
جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو

محبوس - فقال: أين هذا الجعفرى الذى يَتَدَيَّبُ فى شعره؟ قال على: فعلت أنه يريدنى لقولى:

ولما نَدَا لى أهما لا تحبنى وأن هَوَاها ليس عنى بِمُنْجَلِي
تمنيت أن تهوى سواى، لعلها تذوق صبايات الهوى فترقِّ لى
فما كان إلا عن قليل وأشفقت محبَّ غَزَالٍ أَدْعَجَ الطرفَ أَكْثَل
وعذَّبها حتى أذاب فؤادها وذوَّقَهَا طَعْمَ الهوى والتذلل
فقلت لها: هذا بهذا، فأطرقت حَيَاءً، وقالت: كل من عايب ابْتلى
فقلت: أنا هو جعلت فداك، وأنا الذى أقول فى الغيرة:

ربما سرى صدودك عَنِّي وطلَّابِيكِ وامتناعُكِ مِنِّي
حَذَرًا أَنْ كُونُ مِفْتَاحَ غَيْرِي فَإِذَا مَا خَلُوتِ كُنْتَ التَّمَنِّي

ويعاب ما ناسب قول الآخر، وهو جميل:

فلو تركتُ عَقْلِي معى ما طلبتها ولكن طَلَّابِيهَا لما فَاتَ من عَقْلِي
لأن الصواب قول عباس، أو مسلم:

أبكى وقد ذهب الفؤاد، وإنما أبسكى لفقدك لا لِفَقْدِ الزَّاهِبِ

طرد الخيال
الشعراء، ورواه رواة: منهم طرفة، ولييد، ثم جرير، ثم جميل، فقال طرفة، وهو أول من طرده: وهو أول من طرده:

فَقُلْ لَخَيَالِ الحَنَظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ

وقال لييد فى مثل ذلك:

فأَقْطَعْ لُبَانَةَ من تَعَرَّضَ وصله وأَشْرُ واصلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا

يقول: أقطع المزار من تعرض وصله للقطيعة - ويقال: تعرض الشيء،

إذا فسد، حكاه الخليل - فإن شر مَنْ وَصَلَكَ من قطعك بلا ذنب، يريد

الذى تعرض وصله ، ومن الناس من رواه * ونخير واصل خلة صرامها *
يقول : إن خير مَنْ وصل الخلة من قطعها باستحقاق ، يعنى نفسه . .

وقال جرير

طَرَفْتِكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ الزِّيَارَةِ ، فَارْجِعْ بِسَلَامٍ
على أن قوما زعموا أنه كان مُحَرِّمًا ، فلذلك طرد الخيال ، كأنه تخرج وليس
طرد عتب .

وقال جميل :

وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى - بِقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرِيمٍ : يَا بُتَيْنُ صَلِيحِي
وجرى على سَنَنِ هَؤُلَاءِ جِمَاعَةٍ مِنَ الْمَوْلِدِينَ ، واعتقدوا هذا المذهب قولاً
وفعلًا ، حتى تعداه بعضهم إلى القتل ، مثل عبد السلام بن رغبان ، ونصر
الخباز أُرَزَّ^(١) ومن شاكهما من الشطار ، إلا أن أصل هذا المذهب عند
قدامة فاسد ، وعاب على نابغة بنى تغلب - واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى
زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب - قوله :

بَخِلْنَا لِبَخْلِكَ لَوْ تَعْمَلِينَ وَكَيْفَ يَعْيبُ بِخَيْلٍ بَخِيلًا ؟
لأن الواجب عنده فى التغزل أن يكون على خلاف هذا ، وكل ما لا يليق
بالحبيب فهو مكروه فى باب النسيب .

قالت عزة لكثير يوماً - ويقال بثينة - ما أردت بنا حين قلت :
وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ وَأَيُّ هَجَانٍ مُصْعَبٍ مُثْمَّ نَهْرُبُ
كلانا به عَرٌّ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ على حُسْنِهَا جَرَّ بَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فلا هو يرعانا ولا نحن نُطْلَبُ

من الأمانى
غير المقبولة

إذا ما وردنا منهلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا ، فَلَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
لقد أردت بنا الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ ! فخرج من
عندها خجلًا

وإنما اقتدى بالفرزدق حيث يقول ، وهذا من سوء الانباع :
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرِينَ لَا نَرِدُ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشْلُ وَنُقَذِفُ
كَلَانَا بِهِ عَرَّةً يُخَافُ قِرَافَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلَى الْأَشَاعِرِ أَخْشَفُ
بَارِضٍ خِلَاءَ وَحَدَّنَا وَثِيَابُنَا مِنَ الرِّيطِ وَالِدِيَّاجِ دِرْعٌ وَمِلْحَفُ
وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ : سُلَاقَةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ قَرَقَفُ
وَأَسْلَاهُ لَحْمٌ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ شَتْنَا صَاحِبٌ مُتَأَلِّفُ
لَنَا مَا نَمْنَيْنَا مِنَ الْعَيْشِ مَادَعَا هَدِيلاً بِنِعْمَانِ حَمَائِمِ هُتِفُ
وإذا كان بعيراً فما هذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى
نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح الجملَ نَشْوَانِ يَصِيدُ الْحُبَارَى مَالِبَازَى .
ومعاب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

اشتقاق
التشبيب

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة ، وأصله الارتفاع ، كأن
الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شَبَّ الفرسُ ، إذا
رفع يديه وقام على رجليه .

قال المحافظ : يقال شَبَّتِ النارُ شَبْوَبًا ، وشَبَّ الفرسُ بيديه فهو يشب
شبيبًا ، ويقال : مالكُ عَضَاضٍ وَلَا شَبَابٍ ، انقضى كلامه .

وجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شَبَّ الْحِمَارُ وَجْهَ الْجَارِيَةِ ، إذا جَلَّاهُ
ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته
إياها وجَلَّاهَا للعيون ، ومنه الشب الذي يجتلى به وجوه الدنانير ، ويستخرج
غشها ، ومنها : شَبِيتِ النارُ ، إذا رفعت سَنَاهَا وزدتها ضياءً .

وأشد الأضغى لكاشة بن أبى مسعدة :

* يَدْفَعُ عنها كل مَشْبُوب أغر *

قال : المشبوب الذى إذا رأيتَه فَرَعْتَ لحسنه . . قال ابن دريد : شببت فى الشعر شيبيا ، مثل نسبت نسيبا ، والنسيب أكثر ما يستعمل فى الشعر .

(٧٤) — باب فى المديح

سبيل الشاعر فى المدح وسبيل الشاعر — إذا مدح ملكا — أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقية ، غير ميتلة سوقية ، ويحتنب — مع ذلك — التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن الملك سامة وضجرا ، ربما غاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البحترى — إذا مدح الخليفة — كيف يُقلُّ الأبيات ، ويبرز وجوه المعانى ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريراً قال : يا بنيّ ، إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالقوا .

قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن عُلقمة المرادى ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن : أبا فراس ، دعنى من شعرك الذى ليس يأتى آخره حتى يُنسى أوله ، وقال : قل فى بيتين يعلقان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلى ، فغدا عليه وهو يقول :

وأنت ابن بطحَاوئى قرَيتى ، وإن تشأ

تَكُنْ من ثقيفٍ سبيلَ ذى خَدَرٍ غمر^(١)

(١) فى الديوان « تنل من ثقيف سبيل ذى حذب غمر » .

وأنت ابنُ سوارِ الـيدين إلى العـلى
تـكفـت بك الشمسُ المـضيئةُ للبـدر^(١)
فقال : أحسنت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وإذا كان المدوح ملكا لم يبال الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف
أطنب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فأياك والتجاوز به
خطته ؛ فإنه متى تجاوز به خطته ؛ كان كمن نقصه منها ، وكذلك لا يجب أن
يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكاتب بالشجاعة
والقاضي بالحمية والمهابة ، وكثيرا ما يقع هذا لشعراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن
تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح الملك
ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة .

وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله :
لا العذلُ يَرُدُّعُه ولا التـغـنـيفُ عن كـرمِ يَصُدُّه
فإنه مما أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : مَنْ ذا يعنف
الخليفة على الكرم أو يصدده ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح .
وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان :
وقد جعلَ اللهُ الخلافةَ منهمُ لأبيض لا عارى الخِوان ولا جَدْب
وقالوا : لو مدح بها حَرَسِيًّا لعبد الملك لكان قد قصَّرَ به .
قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول

ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير :
يلبسُ الجيشُ بالجِوشِ ويسقى لبـنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنجِ
لأن هذا - وإن لم يعدُّ به ممدوحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف
بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قولُ حسان في آل جَفَنَةَ :

(١) في الديوان :

وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة تلقت له الشمس المضيئة بالبدر
(٩ - المدة ٢)

يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
ويروى « مسكا » .

وعابوا على الأحوص قوله للملك :
وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإعما تمدح
بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله .
ومن هذا النوع قول كثير :

رَأَيْتُ ابْنَ لَيْلَى يَعْتَرِي صَلْبَ مَالِهِ مَسَائِلُ شَتَّى مِنْ غَنَى وَمُضَرِّمِ
مَسَائِلُ إِنْ تَوَجَّدَ لَدَيْكَ تَجَدُّ بِهَا يَدَاكَ ، وَإِنْ تُظْلَمَ بِهَا تَتَظَلَّمُ
لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير في هَرَمِ
أَبْنِ سَنَانٍ ، وَلَيْسَ بِمَلِكٍ ، وَلِذَلِكَ حَسَنَ قَوْلِهِ :
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ، وَيُظْلِمُ أَحْيَانًا قَيْظِلِمِ
يريد أنه يُسأل أحيانا ما ليس قبله فيحتمله ، وهذا ، وقد قال الصولي في
شرح قول^(١) حبيب :

لَوْ يَفَاجِي رُكْنَ الْمَدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالِمُنْ^(٢) سِيَا
طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَدَّ ، حَتَّى فَاقَ وَصَفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْيِيَا
سألت عون بن محمد الكندي : لم خص كثيرا ؟ فقال : سمعته يقول : أمدح
الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير .

(١) البيتان في الديوان (ص ٢٦) بتقديم الثاني على الأول من قصيدة يمدح
بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري .
(٢) رواية الديوان * لوفادى ذكر المديح كثيرا * وكان في الأصول
كلها « بمعانيهن » وهو خطأ ، وبه ينكسر وزن البيت .

وحكى غير الصولى أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى المدح على جرير والفرزدق .

ومما قدم به زهير قوله :

لو كان يقعدُ فوقَ النجمِ من كرمِ قومٍ بأولهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ سينانُ أبوم حين تنسبُهُم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا آمنوا ، حين إذا فزعوا ، مرزأونَ بهاليلٍ إذا جهدوا
محسدونَ على ما كانَ من نعمٍ لا ينزعُ الله عنهم ماله حسدوا

ويروى * غرث بهاليل فى أعناقهم صييدٌ * وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع بسائر الحيوانات ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك ؛ إنما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبما سواها مخطئاً .

فقال زهير :

أخى ثقةٍ لا يُهلكُ الخمرُ مالهَ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
لأنه قد وصفه بالعفة لقلة إمعانه فى الذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لإهلاكه ماله فى النوال وانحرافه إلى ذلك عن الذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال :

تراه إذا ما جِثَّتْهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد فى وصف السخاء منه : بأن جعله يهش ، ولا يلحقه مَضَض ، ولا تسكرته لفعله . . ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارٍ ضَمِيمٍ أَوْ لِحَصْمٍ يُجَادِلُهُ

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب المدح الأربعة . التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزادها ما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال « أخى ثقة » فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا ، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ، والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهالة ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وهي من أقسام العقل ؛ وكذا كرم القناعة ، وقلة الشهوة ، وطهارة الإزار ، وغير ذلك ، وهي من أقسام العفة ؛ وكذا كرم الحماية ، والأخذ بالنار ، والدفع عن الجار ، والنكاية في العدو ، وقتل الأقران ، والمهابة ، والسير في المهامه والقفار الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛ وكذا كرم السماحة ، والتغابن ، والانظلام ، والتبرع بالنائل ، والإجابة للسائل ، وقري الأضياف ، وما جاس هذه الأشياء ، وهي من أقسام العدل .

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملل ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيعاد ؛ وعن تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإيتلاف ، والإخلاف ، وما جانس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك .

قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسَطٌ بين طرفين مذمومين .

مدح أبو العتاهية 'عمر بن العلاء' (١) فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحدم يأتينا لمدحنا فينسب في قصيدته بصديقه بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذادة مدحه ورونق شعره ، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات سيرة . ثم قال :

إني أمنتُ من الزمانِ وربِّه لما علقتُ من الأميرِ حبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لخذوا له حُرّاً الخدودِ نعالاً
إن المطايا تستكيك ؛ لأنها قطعتُ إليك سباسباً ورمالاً
فإذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً وإذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالاً (٢)

ومن مליح ما لأبي العتاهية في المدح قوله :

فتى ما استفاد المال إلا أفاده سواء كأن الملك في كفه حلم
إذا ابتسم المهدى نادى يمينه : ألا من أتاننا زائراً فله الحكم
وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم (٣) :

(١) كان عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي بمدحاً ، ومدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا بهذا السكوفي ؟ وأي شيء مقدار شعره ؟ ! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل وقال : إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يشبب بخمسين بيتاً ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني تجمع له ، مدحني فقصر التشبيب ، ثم قال . . . وذكر الأبيات التي أنشدها المؤلف ، هذه رواية الأغاني هذا ، وقد انفقت نسخة الأغاني في ترجمة أبي العتاهية (٣ / ١٤٤) وترجمة بشار (٣ / ٤٦) على أنه « عمرو » بفتح العين وبالواو ، مع ذكر أبيات لبشار فيه ستأتي في ص ١٨٤ من هذا الجزء ولاستقيم إلا بقراءته بضم العين وفتح الميم .

(٢) في الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق) « فإذا وردن بنا وردن مخمة » وقال :

أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاوجوا فأثمنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(٣) انظر ص ١٢٨ و ١٢٩ من هذا الجزء .

فدِ مِثْلُ بَيْتَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ أَعَزُّ بِنَاءٍ وَلَا أَرْفَعُ
فَبَيْتُ بِنَاءٍ لَهُ هَاشِمٌ وَبَيْتُ بِنَاءٍ لَهُ تَبَعُ
وَلَوْ حَاوَلَ الدَّهْرُ مَا فِي يَدَيْهِ لَعَادَ وَعِرْنِيْنُهُ أَجْدَعُ

ومن المديح المنصوص عليه قول زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهَا وَأُنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِبُهُمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِسَكِّي يَذْكُرُهُمْ قَلَمٌ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلِيْمُوا وَلَمْ يَالُوا
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آيَاهُ أَبَاهُ سَمُ قَبْلُ
وَهَلْ يُنِيبُ أَتْلَطَّى إِلَّا وَشِيْجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي هِمَاتِهَا النَّخْلُ
وكذلك أيضاً قوله :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَقَا
فَضَلَ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقًا
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغِيَا بِخُطْبَتِهِ وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا
لَوْ نَالَ حَتَّى مِنَ الدُّنْيَا مَكْرُمَةً أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَاءَتْ كَفَهُ الْأَفْقَا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح السكاكيب والوزير ما اختاره قدامة وغيره ، وكذلك ما ناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للحليفة ، والنيابة عنه في المعضلات بالرأى أو بالذات ، كما قال أبو نواس :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِنَّمَا كَفَيْتَهُ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بِالْكَفَى تَشِيرُ

ما يمدح به
السكاكيب
والوزير

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة ، والخط ، والتفنن في العلم ؛ كان غاية .

وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منهما ، نحو ما يمدح به القائد التخرق في الهيئات ، والإفراط في النجدة ، وسرعة البطش ، وما شا كل ذلك .

وما يمدح به القاضي بما ناسب العدل والإنصاف ، وتقريب البعيد في الحق ، وتبعيد القريب ، والأخذ للضعيف من القوى ، والمساواة بين الفقير والغني ، وانسباط الوجه ، ولين الجانب ، وقلة المبالاة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتخرج ، وما شا كلهما ، فقد بلغ النهاية .

وصفات القاضي كلها لا ثقة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث^(١) الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، والمعرفة بطريقته التي هو فيها ، وأكثر ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها فضائل عرضية أو جسمية : كالجمال ، والأبهة ، وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ، وكثرة العشرة ؛ كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أبى منه ، وأنكره جملة ، وليس ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح ، فأما إسكار ما سواها ككرة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ، ولا يوافقه عليه .

وقد كره الخذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره :

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزمخشري : إنه « بمعزل عن الصواب » والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف المعداد ويضيف إليه العدد .

لَيْسَ فِيما بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي^(١)
 أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَابْقَاءَ لِلنَّاسِ
 وذكّر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام ، وهو الخليفة ، يريد
 الصَّلَاةَ ، ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حَسَنَ الْوَجْهِ ، فقال : أَمَا الْمَلِكُ
 الشَّابُّ ، وَيُرَوِّى « الْفَتَى » فَتَلَقْتَهُ إِحْدَى حِظَايَاهُ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ تَرِينِنِ ؟
 فَتَمَثَّلَتْ بِالْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمَا ، فَتَطِيرُ بِهِمَا وَرَجَعَ ، فَنَحِمَ فَمَا بَاتَ إِلَّا مَيِّتًا
 تِلْكَ اللَّيْلَةَ

سليمان بن
عبد الملك
يعجبه جماله

وروى عن بعض الملوك أنه قال : مَا لَهُؤُلَاءِ الشَّعْرَاءُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، رُبَّمَا
 ذَكَّرُونَا شَيْئًا نَحْنُ أَكْثَرُ ذِكْرًا لَهُ مِنْهُمْ فَيَنْغَضُّونَ بِهِ عَلَيْنَا أَوْقَاتَ لَدُنَّا !! ؟ يَعْنِى
 بِذَلِكَ الْمَوْتَ .

وَمَنْ أَشْنَعُ مَا فِى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامَ :
 فَلْيَطْلُ عَمْرَهُ فَلَوْمَاتِ فِى طَوْسٍ مَقِيًّا لَمَاتَ فِيهَا غَرِيبًا
 فَمَا الَّذِى دَعَا إِلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ هَهُنَا إِلَّا النِّكَدُ وَالنِّغَاصَةُ ؟
 أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 مَا يَقْدُمُ قَوْلَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ
 فِى الرَّسُولِ

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبَرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيًّا لَيْلَةَ الظُّلَمِ
 وَفِى عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءَ رِبْطَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَّمَ
 وَالْجَهَالَ يَهْرُونَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ لِأَبِي دَهْبَلِ الْجَمْحَى ، وَيُنَاسِبُهُ قَوْلُ

الْمُعْجَاجُ :
 يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودَدٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَدْرَى وَمَا لَا نَدْرَى
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ حَازَةَ :

(١) الْبَيْتَانِ فِى الْأَغَانِى (٣ / ١٣٢ بُولَاق) مَنْسُوبَيْنِ لِمُوسَى شَهَوَاتٍ ،
 يَقُولُهُمَا فِى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ، وَكَانَ مُوسَى قَدْ سَأَلَ بَعْضَ آلِ الزُّبَيْرِ حَاجَةً
 فَدَفَعَهَا عَنْهَا ، وَقَضَاهَا لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ .

وفعلنا بهم^(١) كما علم الله وما إن للحائنين دماء
 قال : ولم يقل قطُّ شاعر « كما يعلم » أحسن من هذه الثلاثة المعاني^(٢)
 قال أبو العباس المبرد : من الشعراء من يحمل المدح ، فيكون ذلك وجهاً
 حسناً ؛ لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبُعده من الإكثار ، ودخوله
 في الاختصار .

وذلك نحو قول الخطيئة^(٣) :

للخطيئة

تَزُورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ لِلْكَارِمِ مُحَمَّدٍ
 تَزُورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الرِّءْءِ غَيْرُ مُخْلَدٍ
 يَرَى الْبُخْلَ لَا يُبْقَى عَلَى الرِّءْءِ مَالَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الرِّءْءِ غَيْرُ مُخْلَدٍ
 ورواه غيره * أن المال غير مخلد * .

كَسُوبٌ وَمُتَلَفٌ إِذَا مَاسَ أَلْتَهُ تَهْلَلُ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمُهْنَدِ
 مَتَى تَأْتِهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من المصريتين ، وهو كما ترى ، وورد الشطر الثاني
 فيهما * وما إن للحائنين دماء * على أن الحائنين بالخاء المعجمة جمع حائِن ؛
 ودماء بالذال معجمة أيضاً ، والصواب أن الحائنين بالخاء مهملة جمع حائِن وهو
 الهالك وفعله حان يحين حيناً ، ودماء بكسر الدال مهملة ، والمعنى وفعلنا بهم فعلاً
 بليغاً لا يحيط به إلا علم الله تعالى ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك ، أى : لم يطلب
 بثأرهم ودمائهم .

(٢) سبق (في ص ١٣٥) الاعتراض على هذا التعبير .

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني
 منها لا وجود له في الديوان (ص ٢٤) ولا معنى لبقائه قط ؛ لأنه من زيادات النسخ
 لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث .

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح ، وأتى بجماع الوصف وجلة المدح على سبيل الاختصار في البيت الأخير .

ومثله قول الشماخ :

للشماخ

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْعُلِيَاءِ ^(١) مَقْطَعِ الْقَرِينِ
إِذَا مَارَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

انتهى كلامه .

ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره إصابة للغرض ما نسب قول ابن هرمة للمنصور :

أفضل
ما مدح به
الملوك

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ خِفَافِي سَرِيرِهِ ^(٢) إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأُمُّ الذِي أُثْمِنْتَ أَمْنَةً الردى وَأُمُّ الذِي أُوعِدْتَ بِالشَّكْلِ ثَاكِلُ ^(٣)
وقول أبي العتاهية في مدح الهادي :

يَضْطَرُّ الْخُوفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى الْقَضِيبُ أَوْ فِكْرًا
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ الْكِنَانِي فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ ، وَقَدْ
وَفَدَّ عَلَيْهِ بِمِصْرَ ، وَيُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقِيلَ : بَلْ قَالَهُافِيهِ اللَّعِينُ الْمُتَقَرَّى ، وَقِيلَ : بَلِ الْآيَاتُ لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمَ ^(٤)
فِي قُسَمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحِهِ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِرْنِيهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَثَمُ

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول
مثل قول منصور النخري في أمير المؤمنين الرشيد :

الشعراء
بباب المعتصم

(١) في الديوان (ص ٩٦) « إلى الخيرات » .

(٢) المصريتين « خفافي » وهو تصحيف .

(٣) في المصريتين « فأما . . وأما » وهو تحريف .

(٤) في سائر الأصول « داود بن مسلم » تحريف ، وانظر ج ٢ ص ٢٥ من

هذا الكتاب .

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلَكَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجَمَّعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّضِعُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللهِ مَعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
 إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفْ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسَعُ
 فليدخل ، فقال محمد بن وهب : فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :
 ثلاثة تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(١)
 يَحْكِي أَفَاعِيلُهُ فِي كُلِّ نَائِلَةٍ الْغَيْثُ وَاللَّيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ
 فَأمر بادخاله وأحسن صلته .

قالوا : لما حضرت الخطيئة الوفاة قال^(٢) : أبلغوا الأنصار أن أخام أمدح
 الناس حيث يقول :

يُغَشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
 قال ثعلب : بل قول الأعشى :
 فَتَى لَوِيبَارِي الشَّمْسِ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرِ السَّارَى لِأُلْقَى الْمَالِدَا
 أمدحُ منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بل بيت جرير :
 أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ
 أَسِيرٌ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُهُ .
 وقال غيره : بل قول الأخطل :
 شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
 وقال دعبيل : بل قول أبي الطَّمَحَانِ الْقَيْنِي :
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظُمَ الْعِقْدُ ثَائِبَهُ^(٣)

(١) حفظي «تشرق الدنيا بطلعتهم» (٢) في المصريتين «قالوا» وليس بشيء .

(٣) حفظي * ... حتى نظم الجزع ثائبه *

قال : وقد تنازع في هذا البيت - يعنى بيت أبى الطمحان - قوم ، وفي بيت
حسان في آل جفنة ، وبيت النابغة :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبدُ مِنْهُنَّ كوكبُ
وبيتُ أبى الطَّمْحَانِ أشعرُها .

قال الخاتمي : بل بيت زهير :

تراه إذا ماجئته مُتَهَلِّلًا كأنك تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وحكى على بن هارون عن أبيه أنه قال : أجمع أهل العلم على أن بيتي أبى
نُؤاس أجود ما للمولدين في المدح ، وهما قوله :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِحُجْزَتِهِ إِذَا الزَّمانُ عَلَى أَشْأَنِهِ كَلَحَا
وَكُنْتُ بِالْدهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ نَفْكَ تَأْسُو كُلَّ مَا جَرَحَا

روى الخاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال : سمعت ابن
الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولد قول أبى نواس :

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعِمِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسْأَلُ الْأَحْدَاثُ عَنِّي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي

قال صاحب الكتاب : نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة
والخلاف ، أبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل ،
وإلا فما في صفة الخمول أشد مما وصف ، لا سيما على رواية من روى :

* فلو تسأل الأيام عني *

ومن جيد ما سمعته لحدث - وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان
ابن وهب ، ورأيت من يرويه لأبى الحسين أحمد بن محمد الكاتب - :

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ لم يحمد الأجودان : البحرُ والمطرُ
ولو أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِهِ تضاءل النيران : الشمسُ والقمرُ

وإن مضى رأيه أو حذَّ عزمته تأخر الماضيان : السيفُ والقدر
 من لم يبت حذراً من خوفِ سَطْوَتِهِ لم يدر ما المزعجان : الخوف والحذر
 ينال بالظنِّ ما يغيُّ العيانُ به والشاهدان عليه العينُ والأثر
 كأنه وزمامُ الدهرِ في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذرُّ
 وقال خلف الأحمر : أغلب المدح أكثره مَلَقًا كقول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلاً كأنك تُعْطِيهِ الذی أنت سائلُهُ
 أخو ثقةٍ لا يُهْلِكُ الخمرُ ماله ولكنه قد يهلك المال نائلُهُ
 غَدَوْتُ عليه غَدَوَةٌ فوجدته قعوداً لديه بالصَّريمِ عواذُهُ
 يُفَدِّينُهُ طَوْرًا ، وطوراً يَلْمَنُهُ وأعيى فما يدرين أين كَخَاتِلُهُ
 فأعرضن منه عن كريمٍ مرزأ عزومٍ على الأمر الذي هو فاعله
 وقال طُفَيْلُ الغنوى :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلَّتْ بنا نملنًا في الواطئين فزَلَّتْ
 أبوا أن يَمْلُونا ولو أنْ أُمْنَا تلاقى الذي لا قَوْهٌ منا لَمَلَّتْ
 وقال الأصمعي : أخلب الشعر قول حمزة بن بيض :

تقولُ لي والعُيونُ هاجعة : أقيم علينا يومًا ، فلم أقمِ
 أي الوجوه انتجعت ؟ قلت لها : لا أي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل حاجبًا سُرَادِقِهِ هذا ابنُ بيضٍ بالباب يبتسمِ
 قد كنتُ أسلمتُ فيك مُقْتَبِلًا فهاتِ إذ حَلَّ أعْطَى سَلَمِي
 وسأل الرشيد المفضل الضبي : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :

أغرَّ أبلجُ تأنمُ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
 هكذا روايته فيه .

قال شرحبيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت قبة يحيى
 ابن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ

أتاه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمده ، فأنشده شعراً أنكر يحيى
منه بيتاً فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما
قال الشاعر :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ أَسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَقَانٍ أَشْبَلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعَا أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرَلُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجَلُوا

فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه ؟ فقال
يحيى : يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر
إلى من جليل الفوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود ما قاله
ابن أبي حفصة في أبيك ، فأنشدته :

نِعَمَ الْمَنَاخُ لِرَاغِبٍ وَلِرَاهِبٍ مِمَّنْ بَنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ
شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ إِنْ عُدَّ أَيَّامُ اللِّقَاءِ فَإِنَّمَا
يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمَ طِعَانٍ يَكْسُو الْأَمِيرَةَ وَالْمَنَابِرَ بِهَنْجَةٍ
وَيَزِينُهَا بِمَهَارَةٍ وَبَيَانٍ تَمْضَى أَسِنَّتُهُ وَيُسْفِرُ وَجْهُهُ
فِي الْحَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَلْوَانِ نَفْسِي فِدَاكَ أبا الوليد إِذَا بَدَا
رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالرَّمَاحِ دَوَانِ

فقال يحيى : أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله :

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا فَلَا نَحْنُ نَدْرِي أَيُّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
أَيُّوْمُ نَدَاهُ الْغَمْرُ ، أَمْ يَوْمُ بَاسِهِ ؟ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلُ

بما عيب
في المدح

ومأخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
فاعتتب القول من فؤادى والشعر إلى من إليه مُعْتَتَب
إلى السراج المنير أحمد لا يَغْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبَ
عنه إلى غيره ولورفع الناس إلى العيون وارتقبوا
وقيل : أفرطت ، بل قصدت ، ولو عَنَفْنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ السَّأْرُضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعُيُبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ
قالوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَطْتَ ، أَوْ
يَعْنِفُهُ ، أَوْ يَثْلِبُهُ ، أَوْ يَعِيبُهُ ، حَتَّى يَكْثُرَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ ؟ ! ! وهذا كله خطأ
منه ، وجعل بمواقع المدح ، وقال من احتجج له : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ،
وإنما أراد علياً رضي الله عنه ، فورى عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً
من بنى أمية .

ومن الشعراء من ينقل المدح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحترى ،
وفعله أبو تمام في قصائد معدودة ؛ منها :

* قَدْ كُنتَ أَثِيبُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ *

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذى قال : « هُنَّ بَنَاتِي
أُنْكَحِهِنَّ مِنْ شَتَّى » فهو معذور إن لم يُثَبِّ ، فأما إن أثيب فذلك منه قلة
وفاء ، وفَرَطُ خِيَانَةٍ .

(٧٥) - باب الافتخار

يقال فيه
ما يقال في
المدح

والافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل
ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ؛ فن
أبيات الافتخار قول الفرزدق :

أفخر بيت
قاله شاعر

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَاءُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
قال أحمد بن يحيى : أفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس :
ما ينكرُ الناسُ مُنْأَحِينَ مَلِكُهُمْ كَانُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابًا ؟
وقال دعلج بن علي : أفر الشعر قول كعب بن مالك :

وَبَيْتٍ بِدَرٍ إِذْ يَرْدُ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلَ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدَ

وقال الحاتمي : قول الفرزدق :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
قال : ويتلوه قول جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا
وقال آخرون : بل بيت الفرزدق :

وَمَنْ إِذَا عَدَّتْ مَعْدً قَدِيمَهَا مَكَانُ النُّوَاصِي مِنْ وَجُوهِ السَّوَابِقِ
وقال غيرهم : بل قوله لجرير :

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ فَوْقَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تَقَطُّعُ الْأَبْصَارَا
وقيل : بل قول ابن ميادة - واسمه الرَّمَّاحُ بن أبرد - :

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وأخر بيت صنعه مُحَدَّثٌ عندهم بشار :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضْرِيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا
إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا

ويروى

* هَتَكْنَا سَمَاءَ اللَّهِ أَوْ مَطَرَتْ دَمًا *

(١) لم أجد هذا البيت في ديوانه ، ولا عثرت عليه فيما نخله امرؤ القيس .

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مَنَا يَعْشُ بِحُسَامِهِ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحنُ وَصِفْنَا دُونَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ببأس شديد في الكتاب المنزل
وإِنَّا لَنَلْهُو بِالْحُرُوبِ كَمَا كَلَّمْتُ فتاةً بِعَقْدٍ أَوْ سِخَابٍ قَرَنُفُلٍ

يعنى قول الله عز وجل : (قل للّٰخلفين من الأعرابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الردة من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب ، وقال : كيف يفتخر على مُضَرٍّ ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .

ومن افتخر بالكثرة أوس ابن مفرأ قال :

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغَيَّبُ إِلَّا عِنْدَ أَخْرَانَا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛
لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن .

وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

مَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا نِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

وإما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

وَمَا سَوَدَتْ عِجْلًا مَا تُرُّ غَيْرُهُمْ وَلَكِنْ بِهِمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهِمْ عِجْلُ

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالمدوح ، ويفض من حسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإما طريقة للمدح أن يجعل المدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين ، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ، ومنقل إلى ولده كان انتقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت (١٠ - العدة ٢)

مما أنكره
قدامة

مما أنكره
الجرجاني

وازداد ، وإن أهمل وضئيم هلك وبأد . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر ، والحظ الأكبر .

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي : من المختار في الفخر

إنا وإن أحسابنا كرممتُ لسنّا على الأحساب تشكّل^(١)
نذبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفي :

فإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سؤدتني عامر عن ورائة أبي الله أن أتمو بأمر ولا أب
ومن أفخر ما قال المولدون قول إبراهيم الموصلي يفتخر بولائه من خزيمة بن حازم النهشلي :

إذا مضى الحمراء كانت أرومتي وقام بمجدي حازم وابن حازم
عطست بأفني شائخا وتناولت يدأي الثريا قاعدا غير قائم

ومن قول السيد أبي الحسن يفتخر بقومه بني شيبان :

يا آل شيبان لا غارت نجوكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد
أتم دعائم هذا الملك مذركضت قبل الخيول لإبرام وتوكيد
لنعمون إذا ما أزمة أركمت والواهبون عتيقات المزاويد
سيوفكم أفقدت كسرى مرازبه في يوم ذي قار إذ جاءوا لموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل .

ومما عابه الأصمعي وغيره قول عامر بن معشر بن أسحم يصف أسيراً أمروه :

من شعر
أبي الحسن
في الفخر

مما عابه
الأصمعي

(١) في نسخة « لسنّا وإن أحسابنا كرممت . . . يوماً » .

فَظَلْ يَخَالِسُ الْمَذَقَاتِ فِينَا مُيَقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيبِقُ
وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل الممدوق من اللبن ، وإنما ذلك من الجهد .

ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السَّمَوِّال بن عادياء اليهودي^(١)
فإنها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر ، وهي مشهورة .

(٧٦) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل « كان » أو « عدمننا به كيت وكيت » وما يشاكل هذا ، ولعلم أنه ميت .

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التمنع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً ، كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتِ الْقُبُورُ ، وَلَمْ تَزُلْ نَجْمُ السَّمَاءِ ، وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعْيُهُ فَظَلَّ نَدَى الْحَى وَهُوَ بَنُوحُ

فهذا وما شاكلة رثاء الملوك والرؤساء الجلالة ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال :

* مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ *

(١) التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فرجع الناس ردوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نَعَاهُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،
ثم أدركه اللين والفَتْرَة فقال :

* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ *

يريد : إلى بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا
وكل أحد ينكر ذلك على ، ويستعظمه من فعلي ، وهذا معنى جيد غريب في
لفظ ردىء غير مُعْرِب عما في النفس .

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة ، ويروى لابن
أبي حَفْصَة : المختار من جيد الرثاء

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ حُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا
وياقبر معن ، كيف وَاَرَيْتَ جُودَهُ ؟ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْهَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا
بلى قد وسعت الجودَ والجودُ ميت وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعَا
فَتِي عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حُمَيْدٍ بالقصيدة التي يقول فيها :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فَجَاجَ سَبِيلِ الثَّغْرِ وَانْشَرَّ الثَّغْرُ
فَتَى كَلَّمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمَا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالنَّشْرُ
وما مات حتى مات مضرب سيفه مِنَ الضَّرْبِ وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّعْرُ
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلا فردّه إِلَيْهِ الْخِفَافُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَرُّ
وَنَفْسٌ تَخَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
فَأَثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ ^(١) وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَحْصَاكَ الْحَشْرُ

وقد أجاد أيضا في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر السامي يقول فيها :

(١) في نسخة « في مستنقع الموت رحله » .

ولم أنس سعى الجود خلف سريره بأكسف بال يستقل ويطلع
وتكثيره خمسا عليه مقلنا وإن كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري - يعلم الله - قبلها بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداءات المرائي المولدة مثل قوله :

أصم بك الناعى وإن كان أسمما وأصبح مغنى الجود بعدك بقلعا
يرثي بها محمد بن حميد ، وجعل خاتمتها :

فإن أترم عن عمر تدانى به المدى فثانك حتى لم تجدد عنه منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى وتقطعا
وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك
الجن ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طريق انفرد بها ، وذلك أنه قتل
جاريته واتهم بها أخاه ، ثم قال يرثيها :

يا مهجة جثم الحسام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها التراب ، وربما روى الهوى شفتي من شفثيها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعلها لما وطىء الحصى شىء أعز على من نعلها
ما كان قتليها لأنى لم أكن أخشى إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الأنام بحسنها وأنفت من نظر العيون إليها

وقال أيضا فيها على بعض الروايات :

أشفقت أن يرد الزمان بعدره أو أبتلى بعد الوصال هجره
فقتلته ، وله على كرامة ملء الحشا ، وله القواد بأسره
قرر أنا أستخرجته من دجنه لبليتي وزففته من خدره
عهدى به ميثا كأحسن نائم والحزن ينجر دمعتي في بحره

الذى أعرف « ينحدر مقلتي » وهو أصح استعارة .
لو كان يدري الميتُ ماذا بعده بالحيُّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
غُصَصُ تَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ
والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً ، فصنع فيه
هذه الأبيات ، فصنعت فيه أخت الغلام :

يا ويح ديك الجن ، بل تبّاً له ماذا تَضْمَنَ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ
قتل الذى يهوى وعمرَ بعده ياربّ لا تَمُدُّدْ له فى عُمرِهِ
ويكون الرثاء مجملاً كالمدح المحمل فيقع موقعاً حسناً لطيفاً : كقول ابن المعتز
يكون الرثاء مجملاً
فى المعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَاماً خَيْرَ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَصَلُّوا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَنَّهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلامِ عَلَيْهِ
وقال فى عبید الله بن سليمان بن وهب :

قَدِ اسْتَمَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْإِكْمَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ : أَيْنَ الرِّجَالُ !
هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
يَا نَاصِرَ الْمَلِكِ بَارَأْنَهُ بِعَدِّكَ لِلْمَلِكِ لَيْلٍ طَوَالَ
وذكر غير واحد أن أرتى بيت قيل :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيَّبُوا ثَرَابَ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرائى بالملوك الأعزة ، والأمم
السالفة ، والوعول الممتنعة في قلال الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبحمر
الوحش المتصرفة بين القفار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ لبأسها وطول
أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعير .

أرتى
بيت

من عادة
القدماء في
الرثاء

قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في
الرثاء أمثل ، في وقتنا هذا وقبله ، ورهبما جرّوا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذاً
بستهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحمر
ومرائيه فيهما فائيتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله :

لَا تَبْلُغِ الْعُمْسُ فِي الْمَضَابِ وَلَا شَفْوَاءُ تَغْذُو فَرْخَيْنِ فِي لُفٍ

والثانية قوله : * لو كان حيّاً واثلاً من التلّف *

والثالثة قوله في أبي البيداء :

هَلْ مَخْطِئٌ يَوْمَهُ عُمْرُهُ بِشَاهِقَةٍ تَرَعَى بِأَخْيَارِهَا شَمًا وَطَبَاقًا

وكذا صنع ابن المعتز يرى أماء بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَرْءِ ظِلٌّ مُتَنَقِّلٌ

وهي أيضاً معروفة ، ولولا اشتها هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة التطويل
بها ؛ لأثبتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في
المدح والهجاء ، وقال ابن الكلبي — وكان علامة — : لا أعلم مرثية أولها نسيب
إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أَرِثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ بِعَافِيَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ ؟

وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة
أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدعجاء .

قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها .

هَاجَ الْفَوَادَ قَلَى عِرْفَانِهِ الذِّكْرُ وَذَكَرْ خَوْدِي عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَذَرُ

قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُهَا وَالْدارَ جَامِعَةً وَالْدهْرَ فِيهِ هَلَاكُ النَّاسِ وَالشَّجَرُ

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف « وذ كرميت » وأعرف أيضاً « والدهر فيه هلاك الناس والغير » كذلك أنشدني الموصلي في الأغاني ، ثم عطف النحاس فقال : هذان البيتان لا يُعرَفَانِ في أول هذه القصيدة ؛ وما يزيد الاستراية بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشييب إلا قصيدة دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن بعده ؛ لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشييب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثأره ، وأدرك طلبته . وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت عن كذا » و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء ، وكان الكميت ركاباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فأما ابن مقبل فمن جفاء أعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على مافي النفس ، ثم عطف وقال :

فدع ذا ، ولكن عقلت جبل عاشق لإحدى شعاب الحين والقتل أريب
ولم تُدسني قتلى قريش ظمائنًا تحمّلن حتى كادت الشمس تغرب
يطفن بغريدي يعمل ذا الصبا إذا رام أركوب الغواية أركب
من الهيف مبدان ترى نطفاتهم بهلكة أحراصهن تذبذب

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما ختم به هذا الجلف ، على تقدمه في الصناعة ، إلا أن تكون الرواية « ظمائن » بالرفع .

ومما عيب به الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وبورك قبر أنت فيه ، وبوركت به - وله أهل - بذلك يثرب
لقد غيبوا برًا وحزماً ونائلاً عشية واره الضريح المنصب

مما عيب في
الرثاء

حكاه الجاحظ وغيره ، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ، فأما الأول جيد .

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم :
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَكَهَا
 نَحْيَةٌ مِنْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُيَاكُنُ قَوْمٍ تَهْدَمًا
 ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا القول ، فهلا
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها :

أُغْبِرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُظْلِمَ الْعَصْرَانِ
 فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ
 فَلَيْبِكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَيْبِكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِي
 وَلَيْبِكِهِ الطَّوْدُ الْمَعْظَمُ جَاوُهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
 يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ صَنُوهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم .

والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدّهم جزعاً على هالك ؛ لما رُكِبَ
 الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة .

على الجزع
 بينى الرثاء

وعلى شدة الجزع بينى الرثاء ، كما قال أبو تمام :
 لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَّعَى هَضْبُ الْحُمَى وَصَفَا الْمُسْقَرُ أَنَّهُ مَحْزُونُ
 فانظر إلى قول جلييلة بنت مرة ترى زوجها كليباً ، حين قتله أخوها جساس ،
 ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجعة فيه !! وكيف يثير كوامن الأشجان ، ويقدح
 شرر النيران ، وذلك :

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتَ فَلَا تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي

فإذا أتت تبيننت التي عندها اللوم ولومي واغذلي
 إن تكن أخت أمري لميت على جزع منها عليه فافعلي
 فعل جساس على ضئي به قاطع ظهري ومذن أجلي
 لو بعين فديت عيني سوى أختها وانفقات لم أخفلي
 تحمل العين قدي العين كما تحمل الأم قدي ما تفتلي
 إنني قاتلة مقتولة فلعل الله أن يرتاح لي
 يا قتيلاً قوض الدهر به سقف بيتي جميعاً من علي
 ورماني قداه من كذب رمية المصمى به المستأصلي
 هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الأول
 مسني فقد كليب بلظي من ورأي ولظي مستقبلي
 ليس من يبكي ليومين كمن إنما يبكي ليوم ينجلي
 درك الثائر شافيه^(١) وفي دركي ثاري ثكل المشكل
 لينه كان دمي فاحتلبوا درراً منه دمي من أكل

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة ؛ لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات ، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون - في قوله يذكر أم سيف الدولة :

صلاة الله خالقنا حنوطاً على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا : ماله ولهذا العجوز يصف جمالها ؟ وقال صاحب بن عباد : استعارة حداد في عرس ، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف ، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعترض إلى

(١) يروي * يشفى المدرك بالثائر . . * ويروي أيضا * درك الثائر لشافيه . . *

مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن فيها ما يمحو كل رآة ، ويعنى على كل إساءة
قال صاحب بن عباد : واقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل
مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في
أمه بقوله :

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَالِ

ولعل لفظة الاسبطرار في مرثى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ، وأنا
أقول : إن أشد ما هجَّن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك ؛
لجاء عملا تاماً لم يبق فيه الافضاء .

ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات معاوية .
الجمع بين التهنئة والتعزية
أجتمع الناس بباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ، حتى
أتى عبيد الله بن همام السَّالُوْلِي فدحل فقال : يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ،
وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزيت عظيماً ، وأعطيت جسيماً ،
فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزيت ، فقد فقدت خليفة الله ،
وأعطيت خلافة الله ، ففارقت جليلاً ، ووهبت جزيلاً ؛ إذ قضى معاوية بحبه ،
ووليت الرياسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ووفقت
لصالح الأمور .

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ واشكركم حباء الذي بالملك أصفاء
لارزء أصبح في الأقوام معلماً كما ررئت ولا عُقْبَى كعُقْبَى كَا
أصبحت والى أمر الناس كلهم فأنت ترعاهمُ والله يرعاه كَا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ إذا بُعِيتَ ولا تَسْمَعُ بَمَنْعَا كَا^(١)

ففتح للناس باب القول .

(١) في عامة الأصول «إذا بقيت ولا نسمع بمعاك» وهو تحريف ولا يتم معناه

وعلى هذا السنين جرى الشعراء بعده ؛ فقال أبو نواس يعزى الفضل من الربيع
عن الرشيد ، ويهنته بالأمين :

تَعَزَّ أبا العباس عن خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ رَحَى كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
حوادثُ أيامٍ تَدُورُ صَروْفُهَا لَهْنٌ - مَسَاوٍ مَرَّةً وَنَحْوِهَا
وفي الحى باليت الذى غَيَّبَ التَّرى فلا المُلْكُ مَغْبُورٌ ولا الموتُ غَابِ
ويروى : * فلا أنت مغبور *

واتبعه أبو تمام بالقصيدة التى أولها :

* مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومٌ كُلَّ مَرَامِ *

يقولها للوائق بعد موت المعتصم ، صَرَّفَ الكلام فيها كيف شاء ، وأطنب
كما أراد ، واحتج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من
الشعراء ، وأراد ابن الزيات مُجَارَاتِهِ فَعَلِمَ من نفسه التقصير فاقتصر على قوله :

قد قلتُ إِذْ غَيَّبُوكَ واضطفقت عليك أيدٍ بالتربِ والطينِ
أذهبُ فنعم المَعِينُ كُنتَ على الدُّ نِيَا وَنِعَمَ الظَّهِيرِ للدينِ
لَنْ يَجْزِيَكَ اللهُ أُمَةً فَقَدْتُ مثلكَ إِلَّا بِمَثَلِ هَارُونَ

مما رثى به النساء ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاء وأشده تأثيراً فى القلب وإثارة للحزن قول
محمد بن عبد الملك هذا فى أم ولده :

ألا من رأى الطَّفْلَ المَفَارِقَ أُمَةً بُعَيْدَ الكَرَى عِينَاهُ تَبْتَدِرَانِ
رأى كلَّ أُمَّ وَأُبْنَاهَا غَيْرَ أُمَةٍ يبيتان تحتَ الليلِ يَنْتَحِبَانِ^(١)
ومات وحيداً فى الفراش تحته ملالُ قَلْبٍ دَائِمٍ الخَفَقَانِ

(١) فى الأصول « ينتحبان » وهو تصحيف

يقول فيها بعد أبيات :

ألا إن سَجَلًا واحدًا قد يَرْفُتُهُ من الدمع أو سَجَلَيْنِ قد شَفَيَايَ
فلا تَلَحِّيَايَ إن بكيت ؛ فإنما أداوى بهذا الدمع ما تريانِ
وإن مكانًا في الثرى خُطَّ لَحْدُهُ لمن كان في قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى فهل أنما إن عُجْتُ مُنْتَظِرَانِ

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لأنني جَلِيدٌ ، فمن بالصبر لأبنِ ثَمَانٍ ؟
ضَعِيفِ الْقُوَى لا يعرف الأجر حِسْبَةً ولا يَأْتِسِي بالناس في الحدَّانِ
ألا من أمنيهِ المنى فَأَعُدَّهُ لعثرة أيامي وصَرْفِ زَمَانِ
ألا من إذا ما جِئْتُ أَكْرَمَ مجلسي وإن غِيَبْتُ عنه حَاطَنِي وَرَغَانِ
فلم أر كالأفْدَارِ كيف تصيبني ولا مِثْلَ هذا الدهر كيف رَمَانِ

فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حُذَاق الشعراء إليها ، ويعتمدون في الرثاء عليها ، ما لم تكن المراثية من ساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير ذوات محارم الشاعر ؛ فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو قول أبي الطيب :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ فَقَدْنَا^(١) لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله في هذه القصيدة :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً كَأَنَّ الْعُرُوَّ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ
ونحو قوله لأخت سيف الدولة :
يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَانْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النِّسَبِ
أَجِلُّ قَدْرِكَ أَنْ تُدْعَى مُؤَنَّةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

ورثاء الأطفال أن يذكر مخايلهم ، وما كانت الفراسة تُعطيهم فيهم ، مع تحزن لمصابهم ، وتفجع بهم ، كالذي صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر .

٧٧ - باب الاقتضاء والاستنجاز

ما يستوجبه الاقتضاء حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاؤه إن هجا عفيفاً ؛ فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان ، وداعية القطيعة والمهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا أرى غير هذا المذهب أضوب ؛ فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه أجود ؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ، وفيه توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين ، وساوا بينهما .

أحسن المختار في الاقتضاء من أحسن الاقتضاء - على ما تخيرته ، ونحوت إليه - قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جذعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حيائك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت قرع لك الحسب المذهب والسناء
خليل لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
فأرضك كل مكرمة بلنتها بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء
تبارى الريح مكرمةً وجوداً إذا ما الكلب أجحره الشتاء
فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُلين الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحط

العُصم إلى السهل ؟ ؟

ومثله قول الآخر :

لأشكرنك معروفاً هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يُمضِه قَدَرٌ فالشيء بالقدر المحتوم مَصْرُوفٌ
وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه ؛ إذ يقول
له مستبطنًا :

أبا موسى ، سقى أرضك دَانٍ مُسْبِلَ القطرِ
وزادَ الله في قَدَرِ كَ ما أخلت من قدرى
لقد كُنْتُ أَرْجِيكَ لما أخشى من الدهر
فقد أصبحت من أوكدِ أسبابى إلى الفقر
أترضى لى بأن أرضى بقتصيرك فى أمرى ؟
وقد أفنيت ما أفنيت فى شكرك من عمرى
مواعيد كما أختبِ سراب المِهْمِ القفرِ
فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر
فلم أخصُلْ على قيمة ما قلّمت من ظفري
لعلَّ الله أن يصنع لى من حيث لا أدرى
فألقاك بلا شكر وتلقانى بلا عذر
ولا أرجوك فى الحالىـن لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب المِضُّ ، والتوبيخ الذى دونه الجلدُ بالسوط ، بل
بالسيف !!

ومما صنعتُه فى العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته :
رَجَوْتُكَ للأمر المِهْمِ وفى يدي بَقَايا أُمْنَى النَّفْسِ فيها الأمانيا
فساوتَ بى الأيام حتى إذا انقضت أواخر ما عندى قطعت رجائيا
وكنْتُ كَأَنى نازفُ البئرِ طالبا لإجماعها أو يرجع الماء طافيا
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هى أعطته الذى كان راجيا

ومن أملح ما رأيت في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمر بن العلاء^(١)
وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجد ، وهو :
أصابت علينا جودك العين يا عمر فحن لها نبغى التأمم والنشر
سنزقك بالأشعار حتى تملها فإن لم تُفِقْ منها رقيناك بالسور
وكنت أنا صنعت في استبطاء :

أَحْسَنْتَ وَ تَأْخِيرُهَا مِنَّةٌ لَوْ لَمْ تُؤَخِّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلُهُ
وَكَيْفَ لَا يَحْسَنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلُهُ ؟؟
وَجَنَّةُ الْفَرْدُوسِ يُدْعَى بِهَا أَجَلَةٌ لِلْمَرْءِ لَا عَاجِلُهُ
لَكِنَّمَا أَضْعَفُ مِنْ هَمِّي أَيَّامَ عَمْرٍ دُونَهَا زَائِلُهُ
والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة .

٧٨ - باب العتاب

عتابي العتاب العتاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب
الخدعة ، يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه
للعتاب طرائق وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ؛ فمنه ما يمازجه
الاستعطاف والاستثلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض
فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف .
أحسن الناس وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصنعة وسيد الجماعة
طريقاً في أبو عبادة البحتري الذي يقول :
العتاب يُرِيدُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أُسْتَرِيَا

(١) انظر ص ١٣٣ السابقة ثم انظر ص ١٨٤ الآتية .

وأكره أن أتمادي على سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذب ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا
ولا بد من لومة أنتجى عليك بها مخطئا أو مصيبا
أضبح وزدى في ساحتك طرقا ومرعاى محلا جديبا؟
أبيع الأحبة بيع السوام وآسى عليهم حبيبا حبيبا
ففي كل يوم لنا موقف يشق فيه الوداع الجيوبيا
وما كان سخطك إلا الفراق أفاض الدموع وأشجى القلوبا
ولو كنت أعلم ذنبا لمأ تخالجنى الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألقى رضا ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح وأنظر عطفك حتى يؤوبا^(١)
والذى يقول أيضا :

وأصيد إن نازعتك اللحظ ردّه كليا، وإن راجعتك القول جمعا
ثناه العدى عني فأصبح معرضا وأوهه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلا واضحا فتوَعَّرت رُباه وطلقا ضاحكا فتجهمما
أمتخذ عِنْدِي الإساءة محسنٌ ومتقم منى امرؤ كان منعا ؟
ومكتسب في الملامة ما جدد يرى الحمد غنما والملامة مفرا
يخوفنى من سوء رأيك معشر ولا خوف إلا أن تجور وتظلمنا
أعيزك أن أخشاك من غير حادث تبين أو جرم إليك تقدما
أست الموالى فيك غر قصائد هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثنا كأن الروض فيه منور ضحا، وكأن الوشى فيه منمنما

للبحرئى فى
العتاب أيضا

(١) فى الديوان « حتى يثوبا » والمعنى واحد .

ولو أننى وقّرت شعرى وقارَهُ
لأُكَبِّرْتُ أن أومى إليك بأصبع
كان الذى يأتى به الدهر هيناً
ولكننى أغلى محلى أن أرى
وأجلت مدحى فيك أن يتهماً
تضرّع أو أدنى لمذرة فما
على ولوّ كان الحمام المقدّماً
مدلاً واستحييك أن أتعلّماً
فهذا عتاب كما قال :

عِتَابٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِ كَأَنَّهُ
طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ

وقد نحوت أنا هذا النحو فى كلمة عاتبت بها القاضى جعفر بن عبد الله الكوفى قلت فيها :

للمؤلف فى
العتاب

وقد كنت لا آتى إليك مُخَاتِلاً
ولكن رأيت المدح فيك فريضةً
فممت بما لم يخف عنك مكانه
ولو غيرك الموسوم عني بريّة
فلا تتخالجك الظنون فإنها
فوالله ما طوّلت باللوم فيكم
ولاملت عنكم بالوداد ، ولا انطوت
بلى ربما أكرمت نفسى فلم تهن
ولم أرض بالخط الزهيد ، ولم أكن
فباينت لا أن العداوة باينت
ألودُ بأكناف الرجاء ، وأتقى
لديك ، ولا أتى عليك تصنعاً
على إذا كان المديح تطويعاً
من القول حتى ضاق مما توسعا
لأعطيت منها مدعى القول مادعى
مأثم ، وأترك في الصنع موضعاً
لساناً ، ولا عرّضت للذمّ مسمعا
حبالى ، ولا ولّى ثنائى ، مودعا
وأجلتها عن أن تذلل وتخضعا
ثقيلا على الإخوان كلاً مدفعاً
وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا
شمت العدا ، إن لم أجديك مطمعا

ومن معاتبات أبى تمام قوله لابن عبد الملك الزيات :

لئن همى أوجدتنى فى تقلبى
وإن رمت أمراً مديراً الوجه لئننى
مألاً لقد أقدنى منك مؤثلاً
لأترك حظاً فى فنائك مقبلاً

لأبى تمام فى
العتاب

وإن كنتُ أخطو ساحة الحُلِّ لِنَني
كذلك لا يُلقَى المسافرُ رَحْلُهُ
ولا صاحبُ التطوافِ يَعمُرُ مِنهَلا
ومن ذا يداني أو ينائي ؟ وهل قتي
فَمَرِنِي بِأَمْرِ أَخَوَذِي- فَإِنِّي

أرى الناس قد أترّوا وأصبحتُ مُرَمِلاً
فسيانٍ عِنْدِي صادفوا لِي مَظْعَناً
ومن قصيدة أخرى لأبي تمام :

تَقَطَّعتِ الأسبابُ إن لم تُفرِّها
سوى مُطَلِّبٍ يُنْضِي الرِجاءَ بِطولِهِ
وقد تألفُ العَيْنُ الدَجى وَهُوَ قِيدُها
ولِي عِدَّةٌ تَمْضِي العُصورَ وَإِنها
سِنُونٌ قَطَعْنَاهُنَّ عَشْراً كَأَنَّما
وإنَّ جَزِيلاتِ الصنائعِ لا مَرى
وإنَّ المَعالي يُسْتَرَمُّ بِنائِها
ولو حارَدتْ شَوْلٌ عَذرتُ لِقاحِها
منحتُكها تَشفى الجَوى وَهُوَ لا عِجْ
تَرُدُّ قَوافِيا إِذا هِيَ أُرسلتُ ،
وكيف إِذا حَلَّتْها بِحُلِيِّها
أَكابَرنا ، عَظْفاً عَلينا ؛ فَإِننا

وقال ابن الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة :

(١) في الديوان (٢٥٩) « ولي همة تضي العصور . . . لحامل » .

(٢) أي : كأن الذي قطعناه مراحل .

لابن الرومي
يعاتب إسماعيل
ابن بلبل

«عَقِيلَ الندى ، أطلق مدائحَ جنة
وَكُنْتَ متى تُنشدُ مديحاً ظلمته
عذرتك لو كانت سماءَ تَقَشَّعتْ
ولكنها سُقياً حُرِمت رويها
وأَكْلاً معروف حِيت مَرِيعها
فيالك بجرأ لم أجد فيه مَشْرَباً
مديحي عصاً مُوسى ، وذلك لأننى
فياليت شعرى إن ضَرَبْتُ به الصِّفَا
كتلك التى أبدت ترى البحر يا بسا
سأُمدحُ بعض الباخرين لَعَلَّه
خواسى حَسْرَى قد أبت أن تسرحا
يكن لك أهجى كلما كان أمدحا
سحائبها أو كان روضٌ تصوّحاً
وعارضها مُلقى كلاً كل جُنْحاً
وقد عاد منها الحزنُ والسهل مسرّحاً
وإن كان غَيْرى واجداً فيه مَسْبَحاً
صَرَبْتُ به بحر الندى فتَضَخَّضَحا
أحدث لى فيه جداولٌ سيّحاً
وَشَقْتُ عُيوناً فى الحجارة سُفْحاً
إذا أُطردَ المقياسُ أن يتَسَمَّحاً

فهذا هو الذى لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سَبْقاً ، على أن البحترى قد تقدم

إلى بعض المعنى فى قوله للفتح بن خاقان :

غَمَامٌ خَطَانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي قَيْضُهُ وَهُوَ مُنْقَمٌ
وَبَذَرُ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَمَوْضِعُ رَحْلِ مِنْهُ أَسْوَدٌ مَظْلَمٌ
وَمَا بَخَلَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بِالندى وَلَكِنهَا الْأَقْدَارُ تُعْطَى وَتُحْرَمُ

وأما أبو الطيب فكان فى طبعه غلظة ، وفى عتابه شدة ، وكان كثير
التحامل ، ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

للفتى يعاتب
سيف الدولة

يا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فى معاملتى فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصَمُ وَالْحَكَمُ
أَعِيذُهَا نَظَرَاتِ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمِنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وَأَسَمِعْتُ كَلَامِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أَنَامُ مِلءُ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ النَّاسُ جِرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
وَجَاهِلٌ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحْكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَفَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة
غاية في القبح والرداءة ، وإما عَرْضَ بقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة
ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد أبيات :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجِرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
وَيَنْتَابُوا رَعِيَّتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَمُ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ !
مَا بَعْدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ
لَيْتَ الْغَنَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ
أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَّحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ الرُّسُمُ
لَنْ تَرُكْنَ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمُ

وإما قال أولا * ليحدثن لسيف الدولة الندم * ثم بدله ، وليس هذا عتابا ،
لكنه سباب ، وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ،
وهذا الغرور بعينه .

عتاب
الأكفاء

فأما عتاب الأكفاء ، وأهل المودات ، والمتعشقين من الظرفاء ، فبآية أخرى
جارية على طرقاتها .

قال إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير
عليه لما وُزَرَ :

لأصولي يعاتب
ابن الزيات

وَكُنْتُ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانًا
وَكُنْتُ أَذْمُ إِلَيْكَ الزَّمَانَ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجع.

لأبي الحسن

وَمَنْ أَكْرَمَ الْعِتَابُ قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ أَدَامَ اللَّهُ سَيَادَتَهُ وَسَعَادَتَهُ :
وَإِنِّي لَا طَرِيَّ كُلَّ خَلٍّ صَحْبَتُهُ وَأَنْتَ تَرَى شَتْمِي بِغَيْرِ حَيَاءٍ
سَتَعْلَمُ يَوْمًا مَا أَسَاتَ لَصَاحِبِ تَكْرَهُمُ أَخْلَاقِي وَحُسْنَ وَفَائِي

لسعيد بن حميد

ومن مליح ما سمعتُ قولُ سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له :

أَقِلُّ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالْدَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكِ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
فَالْمُنْتَمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمْ التَّحْصِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَثَ الْمُنِيَةِ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ
وَلَثْنُ سَبَقْتُ لَتَبَكِينَ بِحَسْرَةٍ وَلِيَكْتَرَنَ عَلَى مِنْكَ عَوِيلُ
وَلَتُنْفَجَعَنَّ بِمَخْلَصٍ لَكَ وَامِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِمُحِبِّهِ مَوْضُولُ
وَلَثْنُ سَبَقْتُ، وَلَا سَبَقْتُ، لِيَمِضِينَ مَنْ لَا بُشَاكَ لَهُ لَدَى خَلِيلُ
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مَرُوءَةٍ وَلِيُفْقَدَنَّ جَمَاهَا الْمَأْهُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفَ بِالْعِتَابِ وَوُدُّنَا صَافٍ، عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وُدُّنَا لِدَوَى الْإِخَاءِ جَمَالُهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَجَّةٍ وَقَبُولُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْتَرُ عَتْبُنَا وَيَطُولُ

إلى ههنا أو ما أبو الطيب بقوله :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُحَّهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْتَرِقَ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ

وأشار إليه أيضا بقوله ، وأردت البيت الأخير :

زَوَّدِينَا بِحَسَنِ وَجْهِكَ مَلَدَا مَ فَحَسُنُ الْوُجُوهَ حَالُ تَحْوَلُ
وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ
والجميع من قول الأول :

ولقد علمت فلا تكن متجنيا أن الصدود هو الفراق الأول
حَسَبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ رَبِيبُ الْمَنُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ
إلا أن ابن حميد قد فنن و بين ، وشرح ما أجمل غيره بقوله « لئن سبقتُ
أنا » « ولئن سبقتُ أنت ، ولا سبقتُ أنت » فله بذلك فضل بين ، ورجحان ظاهر.
وما أحسن إيجاز الذي قال :

العمـــــر أقصر مُدَّةً مِنْ أَنْ يُمَحِّقَ بِالْعِتَابِ

لبشار بن برد

وقال أبو المحدثين بشار :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلَمْتَ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ

٧٩ — باب الوعيد والإنذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويُحذِّرون من سوء
الأخذِ وثمة ، ولا يُضَوِّنُ القَوْلَ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ لَا يَحْسُنُ السَّكُوتُ مَعَهَا .

لابن مقبل

قال ابن مقبل :

بنى عامر ، ما تأمرون بشاعر تخير آيات الكتاب هجانيا؟
أَغْفُوا كَمَا يَعْفُو الْكَرِيمُ فَإِنِّي أَرَى الشَّعْبَ فَمَا بَيْنَنَا مَتَدَانِيَا

أَمْ أَغْمِضُ بَيْنَ الْجُلْدِ وَاللَّحْمِ غَمَضَةً بمبرد روى يَقُطُّ النُّوَاصِيَا
فَأَمَّا سَرَاقِلُ الْمُهْجَاءِ فَإِنَّهَا كلام تهاداه اللثام تهاديا
أَمْ أَخْبِطُ خَبِطَ الْفِيلِ هَامَةً رَأْسَهُ بجرّد فلا يُبْقَى من العظم باقياً
وعندى الدهيم لو أحلّ عقالها فتصبح لم تعدم من الجن حاديا
شبه لسانه بمبرد روى لمضائه ، وشبه القصيدة التي لو شاء هجّاهم بها بالدهيم
وهي الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبّان الذّهلي التي حملت رءوس
بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية .

لجرير

وقال جرير لبني حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :
أَبْنَى حَنِيفَةً أَحْسِكُمَا سَفَهَاءَكُمْ إني أخاف عليكم أن أغضباً
أَبْنَى حَنِيفَةً إِنْ نَى أَنْ أَهْجَكُم أدع اليمامة لا توارى أرباً
« أحكموا » كفوا ، من حكمة اللجام .

وقال أيضاً لتيّم الرباب رهط عمر بن لجأ :
يَا تَيْمٌ تَيْمٌ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ لا يلقينكم في سؤأة عمر
وكان على بن سليمان الأخفش في صباه يعيث بابن الرومي لما يعلم من طيرته ،
فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الأسماء ، فيمنعه ذلك من
التصرف ، فقال يتوعده :

لابن الرومي

قُولُوا لِنَحْوِيْنَا أَبِي حَسَنٍ إِنْ حُسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
وَإِنْ نَبِيٍّ مَتَى هَمَمْتُ بِأَنْ أَرْمِي نَصَلْتُهَا بِجَمْرِ غَضَى
لَا تَحْسَبَنَّ الْمُهْجَاءَ يَحْفَلُ بِالْـ رَفْعٍ وَلَا خَفْضٍ خَافِضٍ خَفِضَا
وَلَا تَحَلَّ عَوْدَتِي كَعِبَادَتِي سَأَسْعِطُ السَّمَّ مِنْ عَصَى الْخُضْضَا
أَعْرِفُ فِي الْأَشْقِيَاءِ لِي رَجُلًا لَا يَنْتَهِي أَوْ يَصِيرَ لِي غَرَضًا
يُلِيحُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ وَيُخْفِي فِي قَلْبِهِ الْمَرْضَا

يَضْحَى مَغِيظًا عَلَى أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَلْتُ مِنْهُ رِضًا
وَلَيْسَ تُجَدِّي عَلَيْهِ مَوْعِظَتِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيَّتَهُ فَقَفَيْ
كَأَنِّي بِالشَّقِيِّ مُعْتَذِرًا إِذَا الْقَوَانِي أَذَقْنَهُ مَضَضًا
يَنْشُدُنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالْمَهْدُ خِفَارٌ إِذَا لَهُ قَبْضًا
لَا يَأْمَنُ السَّفِيهُ بِادْرَتِي فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَرَضًا
عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمَ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي اللَّجَامُ إِنْ رَكُضًا
أَسْمَعْتُ أَنْبَاءَ صِيتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصِيحَ لِأَشْكَ نَصِيحٍ مِنْ مَحْضًا
وَهُوَ مُعَافٍ مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَجْهَلُ فَيَشْرِي فِرَاشَهُ قَضَضًا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفْرَتَ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ تَبَضُّضًا
وَكَذَلِكَ قَدْ فَعَلَ ، وَقَدْ مَرَقَهُ بِالْمُهْجَاءِ كُلِّ مَمْرَقٍ ، وَجَعَلَهُ مُثَلَّةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ،
عَلَى أَنْ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَجَلَدُ عَلَيْهِ ، وَيُظْهَرُ قَلَّةُ اللَّبَالَةِ بِهِ ، وَهِيَّاتُ ! وَقَدْ وَسَمَهُ
سِمَةُ الدَّهْرِ ، وَسَامَهُ سُومُ الْخُسْفِ وَالْقَهْرِ . وَمَا قَلَّتْهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

للمؤلف في
الوعيد

يَا مُوجِعِي شَتْمًا عَلَى أَنَّهُ لَوْفَرَكَ الْبَرْغُوثَ نَا أَوْجَمًا
كُلُّ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ النُّحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا

وَقُلْتُ مِنْ قَصِيدَةِ خَاطِبَتْ بِهَا بَعْضُ بَنِي مُزَاد :

مَنْ بِصَحْبِ النَّاسِ مَطْوِيًّا عَلَى دَخَلٍ لَا يَصْحَبُوهُ ؛ فَخَلُّوا كُلَّ تَدْخِيرٍ
لَا تَسْتَطِيلُوا عَلَى ضَعْفِي بِقَوْتِكُمْ إِنْ الْبَعُوضَةَ قَدْ تَعَدُّو عَلَى الْغِيلِ
وَجَانِبُوا الْمَرْحَ ؛ إِنْ الْجَدِّ يَتَّبِعُهُ وَرُبُّ مُوجِعَةٍ فِي إِثْرِ تَقْبِيلِ
وَمِنْهَا بَعْدَ آيَاتٍ لَا تَلِيقُ بِالْمَوْضِعِ خَوْفُ الْحُشْوِ :

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَيْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْمَهْلِكَاتِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ مَغْلُولِ
لَا تَدْخُلُوا بِالرِّضَا مِنْكُمْ عَلَى غَرَرٍ فَتُخْرِجُوا اللَّيْثَ غَضَبَانًا مِنَ الْغِيلِ
إِلَّا تَكُنْ حَمَلَتْ خَيْرًا ضَامِرَكُمْ أَكُنْ تَأَبَّطَ شَرًّا نَاكِحَ الْغُولِ

(٨٠) — باب الهجاء

خير الهجاء

يروى عن أبي عمرو بن القلاء أنه قال : خَيْرُ الهِجَاءِ ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلهما ، نحو قول أوس :

إذا ناقةٌ شُدَّتْ برحلٍ ونمرقٍ إلى حَيِّكُم بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَّاهَا
واختار أبو العباس قول جرير :

لو أن تغلبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يومَ التَّفَاخِرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ
ومثل قوله :

فَقَضَ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

الهجاء
للمقذع

وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الْجُمُعِيُّ عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم .

عقوبة الهجاء
في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هَدَر » ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المُقْذِع ، قال : وما المُقْذِع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم ، فقال : أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن حَبَانِي هؤلاء فمدحتهم وحرمتي هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئاً ، وصرفت مدحى إلى مَنْ أَرَادَهُ ورغبت به عن كرهه وزَهَدَ فيه ، يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها :

وَأَنَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوَالشُّعْرَى فَطَالَ بِي الْإِنَاءُ

وهي أحبث ما صنع . وفيها أومن أجلها قال خلف الأحمر : أشد الهجاء أبلغ الهجاء أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عَفَ لفظه وصدق معناه ، ومن كلام صاحب الوساطة : فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسَهَلَ حفظه ، وأسرع عُلُوقَهُ بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن .

ومما يدل على صِحَّةِ ما قاله صاحب الوساطة وحُسْنِ ما ذهب إليه إعجابُ الحذاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكُنِ النساءُ مُخَبَّئَاتٍ فَحَقُّ لِكُلِّ مُحْضَنَةٍ هِذَاءُ

وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه .

ولما قدم النابغة بعد وقعة حسبي سأل بني ذبيان : ما قلتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم ؟ فأنشدوه ، فقال : أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكي سأقول ، ثم قال :

فإن يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فإن مَطِيَّةَ الجهل^(١) السَّبَابُ

فكن كأييك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب^(٢)

فلا يذهب بلبك طائشات^(٣) من الخيلاء ليس هن باب

(١) في إحدى روايات الديوان * فإن مطية الجهل . . . وفيه « الشباب »

(٢) في الديوان * توافقك الحكومة

(٣) في الديوان * فلا تذهب بلبك طاميات * والطاميات : المرتفعات ، والخيلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس هن باب » معناه لا ينكشفن عنه ولا مفرج له منهن .

فإنك سوف تحلم أو تنأى^(١) إذا ما شبت أو شاب الغرابُ
فإن تكن الفوارس يوم حشني أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد^(٢) ولكن أدركوك وهم غضابُ
فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقّ عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني
النابغة ، جعلني القوم رئيساً ، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي !

وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأجسن عطيته ،
فعبوتب على ذلك ، فقال : أترون [أي] خفت أن يقول إني لست ابن فاطمة
ثمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كهلي ، فيصدق
ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، ومحفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر :
أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع الحسن بن زيد بن
الحسين بن علي في بعض ما قال جده ، قال فيه ابن عاصم المديني ، وابسمه محمد بن
حزرة الأسلمي :

له حقٌ ، وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسنُ الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ،
إلا حريراً فإنه قال لبيبة : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتهم فخالقوا ، وقال
أيضا : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في الهجاء سواء على بن العباس
ابن الرومي ، فإنه كان يطيل ويُفحش ، وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح ؛

مذاهب
الشعراء في
الهجاء

(١) في الأصول . . سوف تحكم . . والتصويب عن الديوان .

(٢) في الديوان * فما إن كان من نسب بعيد *

لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعنى النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو مَلَل يعرض ، هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛ فأما إن كان لا يوقظه التلويح ، ولا يؤله إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف ؛ لاختلاف مراتب المهجوين .

لربيعه الرقي في
الهجاء

فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي :

لشتان ما بينَ الزيدَين في الندى يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغْرُ بْنُ حَاتِمٍ
فَهْمُ الْفَتَى الْأَزْدِيَّ إِتْلَافُ مَالِهِ وَهَمُّ الْقَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أُنَى هَجَوْتُهُ وَلَسْكَنِي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

لزياد الأعجم

ومن الاستحقار والاستخفاف قول زياد الأعجم :

قَمُّ صَاغِرًا يَا شَيْخَ جَرْمٍ فَأَيُّمَا يُقَالُ لِشَيْخِ الصَّدَقِ : قُمْ غَيْرَ صَاغِرٍ
فَمَنْ أَتَمُّ ؟ إِنْ أَنْ نَسِينَا مَنْ أَتَمُّ وَرَبِّحْكُمْ مِنْ أَى رِيحِ الْأَعَاصِرِ !!
أَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ التَّمَلِّ وَالذَّبَابِ فَطَارَ ، وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خَلَقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تَدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَ الْخَوَافِرِ

للطرماح

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال :

وَمَا خُلِقْتُ تَيْمٌ وَعَبْدٌ مَنَاتِهَا وَضَبَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

لجبر

ومن الاحتقار أيضاً قول جبر في التيم :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ
فَبَاكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْبِدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قَالَتْ : أَيُّهُمْ الْعَبِيدُ ؟

لأبي هفان في
التهم

ومن مليح التهم والاستخفاف قول أبي هفان :

سَلِيمَانُ مَيِّمُونُ النَّقِيَّةِ حَازِمٌ وَلَسْكَنُهُ وَقَفٌ عَلَيْهِ الْهَزَائِمُ
أَلَا عَوْدُهُ مِنْ تَوَالِي فَتُوْحِهِ عَسَاهُ تَرُدُّ الْعَيْنَ عَنْهُ التَّمَائِمُ

وفيه يقول ابن الرومي :

قِرْنُ سَلِيمَانَ قَدْ أَضُرَّ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَتَلَفُهُ
كَمْ يَبْعُدُ الْقِرْنَ بِاللِقَاءِ ؟ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ ؟
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ ، وَيَرَى قَفَاهُ مِنْ فَرَسَخٍ فَيَعْرِفُهُ

أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجى وقد قال له المنصور : أى أصحابى
كان أشد إقداماً فى مبارزتك ؟ فقال : ما أعرف وجوههم ، ولكن أعرف
أقفاءهم ، فقل لهم يدبروا لأعرف .

أجود الهجاء

وأجود ما فى الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من
بعضها مع بعض ، فأما ما كان فى الخلقة الجسمية من العايب فالهجاء به دون
ما تقدم ، وقدامة لا يراه هجوا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات
من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد الهجوه صواباً ، والناس - إلا من
لا يُعَدُّ قِلَّةً - على خلاف رأيه ، وكذلك يوجد فى الطباع [وقد جاء] ما أكد
ذلك من أحكام الشريعة .

لأبى الحسن
فى الهجاء

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه
صواباً ، فقال :

وَخَيْلٌ لَا سَبِيلَ لَصَرِّمِ حَبْلِهِ تَعَرَّضَ لِي مَحْتَفٍ فَفَرَطَ جَهْلِهِ
رَدِئُ الظَّنِّ لَا يَأْوِي خَلْقٍ وَلَا يُؤْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلِهِ
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَغْرَى ، وَيُغْرَى بِتَكْذِيبِ الْعَيَانِ لَضَعْفِ عَقْلِهِ
وَيَسْنَأُ كُلَّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ وَأَصْلُ ثَابِتٍ لِفَسَادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال وَلِيُّ
إِحْسَانِهِ :

إذا لم تجد بداً من القولِ فاتتصف بحد لسان كالحسام المهندِ
فقد يدفع الإنسانُ عن نفسه الأذى بِمَقْوَلِهِ ، إن لم يدافعه باليدِ
ويقال : إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط أهجى بيت
جرير :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كَلَبَهُمْ قالوا لأمرهم : بُؤْلِي على النارِ
لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلا
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل
بالخطب ، وأخبر عن قتلها وأن بَوْلَةً تطفئها ، وجعلها بولة مجوز ، وهى أقل من
بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمرهم وابتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك بيهزلهم
بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصارى : إنه رماه في هذا البيت
بالجوسية ؛ لأن الجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ، ولا أدري أنا كيف هذا والبول
ماء غير أنه ماء بحس قدر ؟

وقيل لبني كليب : ما أشد ما هُجِيتُمْ به ؟ قالوا : قول البعيث :
أَلَسْتُ كَلِيبًا إِذَا سِمَ خَطَةً أقر كإقرارِ الحليّةِ للبعلِ
وكلّ كَلِيبِي صَحِيفَةً وَجْهَهُ أذل لأقدام الرجالِ من النعلِ
وكان النابغة الجعدي يقول : إني وأوسا لنبتدر باباً من الهجاء ، فمن سبق
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمرك ما تبلى سراييلُ عامرٍ من اللؤمِ مادامت عليها جلودُها
قال النابغة : هذا والله البيت الذي كنا نبتدره . والذي أراه أنا على كل

حال أن أشد المهجاء ما أصاب الغرض ، ووقع على النكتة ، وهو الذي قال
خلف الأحمر بعينه .

(٨١) باب الاعتذار

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار
إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ،
وليُعرف كيف يأخذ بقاب المعتذر إليه ، وكيف يسبح أعطافه ، ويستجلب رضاه ،
فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لاسيما مع الملوك وذوى
السلطان ، وحقه أن يلطف برهانه مدحجاً في التضرع والدخول تحت عفو الملك ،
وإعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب
سلطانه أو رئيسه ، ويُحيلُ الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الإخوان
فتلك طريقة أخرى

وقد أحسن محمد بن علي الأصبهاني حيث يقول:

الذرُّ يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأتُ فبالنعمى التي سَلَقْتُ إلا مَنَنْتَ بعفوٍ ماله سَبَبُ

وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون في أبيات يعتذر إليه :

اللهُ يعلمُ ما أقولُ فأبها جهد الألية من مُقرِّ خاضع
ما إن عصيتك والغواة تمدنى أسبابها إلا بِنِيَّةٍ طائع

وقد سلك أبو علي البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية ،

فقال :

لم أجنِ ذنباً فإن زَعَمْتَ بأن جَنَيْتُ ذنباً فغيرُ معتمدِ
قد تطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشدِ

ونحوت أنا هذا النحو فقلت :

للأصبهاني في
الاعتذار

لإبراهيم بن
المهدي

لأبي علي البصير

للمؤلف

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دُعَابَةً بَتَّ عَلَى نَارِهَا
وإن تَأْذِيتُ فَيَا رُبَّمَا تَأْذَتْ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وأَجَلٌ ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائدُ النابغةِ الثلاثِ :
إحداهن :

* يادار مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ (١) *

يقول فيها :

فلا لعمري الذي مَسَّخْتُ كَعْبَتَهُ وَمَاهُرِيْقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الظَّيْرِ تَمَسَّحُهَا رِكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغِيلِ وَالسَّنَدِ
ما قلت من سَيِّءٍ مما أُتيتَ بِهِ إِذَا فَلَارَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقِبَةً قَرَّتْ بِهِاعَيْنُ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ (٢)
إلا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَِا (٣) كَانَتْ مَقَالَتَهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَبْدِ
نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ
والثانية :

* أَرْسَمَا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَنَّبُ (٤) *

(١) عجزه * أقوت وطال عليها سالف الأمد *

(٢) في الديوان « بالفند » وهو بفتحيتين : الكذب.

(٣) في الديوان شقيت بهم قرعا على كبدي .

(٤) لم أقف على هذا المطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ، ولا في غيرها من
المراجع ، وكل ما وقفت على قوله أن بعض الرواة يذكر هذه الأبيات من كلمة أولها :

أَتَانِي - أَيْتِ الْعَن - أَنْكَ لِمَتْنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
فَبِتْ كَانَ الْعَائِدَاتِ فَرَشَن لِي هَرَسَا بِهِ يعلَى فَرَاشِي وَيَقْشِبُ

(١٢ - العمدة ٢)

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :
 حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبةً وليس وراء الله للمرء مذهب
 لئن كنتُ قد بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لمبلغك الواشي أغشُ وأكذب
 ولكنني كنتُ امرأً لى جَانِبٍ من الأرض فيه مُستَرَادٌ ومهرب
 ملوك وإخوان إذا مالقيتهم أَحَكَّمُ في أموالهم وَأَقْرَبُ
 كفعلك في قوم أراك اصطفعتهم فلم تَرَهُمْ في شكرهم لك أذنبوا
 فلا تَتْرُكْنِي بالوعيد كأني إلى الناس مَطْلِيٌّ به القار أجرب
 وذلك أن الله أعطاك سَوْرَةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
 فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهم كوكب
 والثالثة :

* عفا ذو حسي من قرّتنا فالقوَارِعُ (١) *

يقول فيها بعد قَسَمٍ قدّمه على عادته :
 لَسَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ بوتر كته كذى العُرَى يُكْوَى غيره وهوراتع
 فإن كنت لاذوا الضغن عني مُكَذَّبٌ ولا خَلِيفِي على البراءة نافع
 ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمرٍ لا محالة واقع
 فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن المتئاني عنك واسع
 وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء : قال سَلَمُ الخَاسِرُ يعتذر إلى
 المهدي :

إني أعوذ بخير الناس كلهم وأنت ذاك بما نأى وبجتنب
 وأنت كالدهر مَبْنُوثًا حَبَائِلُهُ والدهرُ لا مَلْجَأَ منه ولا هَرَبُ
 ولو ملكْتَ عِنانَ الرّيحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية ما فاتك الطلّب

لسلم
الخاسر

(١) تمامه * فشطأ أريك فالنلاع الدوافع *

فليسَ إلا أنْتَظَارِي مِنْكَ عَارِفَةً فِيهَا مِنَ الْخَوْفِ مَنَاجَاةٌ وَمِنْ قَلْبٍ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

وإني وإن حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنِّي أَفُوتُكَ إِنَّ الرُّأْيَ مِنِّي لَعَازِبُ
لأنَّكَ لِي مِثْلُ الْمَكَانِ الْمُحِيطِ لِي مِنَ الْأَرْضِ أُنِي اسْتَنْهَضْتَنِي لِلْمَذَاهِبِ

وإلى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله :

ولكنكَ الدُّنْيَا إِلَى حَبِيَّةٍ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ
إلا أنه حرّف الكلم عن مواضعه .

وأختار العلماء لهذا الشأن قول علي بن جبّالة :

وما لِامْرِئٍ حَاوَلْتُهُ عَنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِعُ
بلى هاربٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظَلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ
لأنه قد أجاد مع معارضته النابغة ، وزاد عليه ذكر الصبح ، وأظنه
اقتدى بقول الأصمعي في بيت النابغة : ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار
وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء
الله تعالى .

وأفضل من هذا كله قول الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِإِذْنِ) .

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل إليه فأنشده :

كسأني وَعِيدُ الْفَضْلِ ثَوْبًا مِنَ الْبَلِي وَإِعَادَةُ الْمَوْتِ الَّذِي مَالَهُ رَدُّ
ومالي إلى الفضل بن يحيى بن خالد مِنَ الْجَرَمِ مَا يَخْشَى عَلَى مِثْلِهِ الْحَقْدُ
فَجَدُّ بِالرِّضَا لَا أَبْتَغِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأْيُكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ

لعبيد الله
بن عبد الله
بن طاهر

للمتنبى

لعلّ بن جبّالة

لأبي الهول
الحميري

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله قولك : « ورأيك فيما كنت عودتني » فقال أبو الهول : لا تنظر أعزك الله إلى قصر باعى ، وقلة تمييزى ، وافعل بى ما أنت أهله ، فأمر له بمال جسيم ، ورضى عنه ، وقرّبه .

اشتقاق
الاعتذار

وفى اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون من الحو ، كأنك محوت آثار الموجدة ، من قولهم : اعتذرت النازل ، إذا درّست ، وأنشدوا قول ابن أحرر :

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِ فَقَدْ جَعَلْتَ
أُطْلَالُ إِنْكَ بِالْوَدَّاءِ تَعْتَذِرُ^(١)

والثانى : أن يكون من الألقاع ، كأنك قطعت الرجل عما أمسك فى قلبه من الموجدة ، ويقولون « اعتذرت المياه » إذا انقطعت . وأنشدوا للبيد :
شُهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نَطَاقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ
والقول الثالث : أن يكون من الحَجَرِ والمنع . . . قال أبو جعفر : يقال « عذرت الدابة » أى جعلت لها عذاراً يحجزها من^(٢) الشَّرَادِ ، فعنى « اعتذر الرجل » احتجز ، وعذرتة : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعُتْبِ عليه ، ومنه « تَعَذَّرَ الأمر » احتجز أن يُقْفَى ، ومنه « جارية عَذْرَاء » .

(١) قبل هذا البيت قوله :

بان الشباب وأفسى ضعفه العمر لله درك أى العيش تنتظر؟
هل أنت طالب شيء لست مدركه ؟ أم هل لقلبك عن ألفه وطر ؟

(٢) العذار - بوزن الكتاب - اللجام ، ويحجزها : يمنعها ، والشَرَاد - بكسر الشين - النفار والجماع .

(٨٢) — باب سيرورة الشعر ، والحظوة في المدح

كان الأعشى أشير الناس شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد يُنسى الناس أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والنابعة ، وامرؤ القيس ؛ وكان جرير نابعة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رُزِقَ من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأَمِهِمْ : بُولِي عَلَى النَّارِ

وقال هو :

وَالْتَفَلَّجِي إِذَا نَنَحْنَحَ لِلْقَرَى حَكَّ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلَا

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعي : فحكاه بسيرورة الشعر

قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :

وَشَاطَرِيَّ اللِّسَانَ مَخْتَلِقَ التَّكْرِيهِ شَابَ الْمُجُونِ بِالنُّشْكِ

إلى أن بلغت إلى قولي :

كَأَنَّمَا نُصَبَ كَأْسُهُ قَمْرٌ يَكْرَعُ فِي بَعْصِ أَجْمِ الْمَلِكِ

فنفر نفرة منكرة ، فقلت : مالك فقد أفرزعتني ؟ ! فقال : هذا معنى مليح

وأنا أحق به ، وسترى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

فقلت : هذه مصالتيه بأعلى ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة ؟ !

وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نسي معها بيت الخليع ، على أن

له فضل سبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله :

الذين
سار شعرهم
في الجاهلية
وفي الإسلام

بين الخليع
وأبي نواس

أَبْصَرَتْهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْأَمَلٍ خَمْسٍ
وَكَاثِنَهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقَبِّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ
ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع ، وأعظم هيبة في النفس والصدر
ولذلك كأن أسير .

وفي زماننا هذا قوم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .
وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشعر بعضاً
منهم بموافقة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف
موضع الرمية .

فمن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ،
وبكر بن وائل ، وأسد بن خزيمة ، ونظراؤهم من قبائل اليمن .
ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزقٍ على تقدمهم في الشجاعة والفضل
أحياء من قيس : نحو غني وباهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني
عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنوائب ، ونحو محارب
ابن خصفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب^(١) حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر
ابن صعصعة على لوم الحلف ، ومن ولد طابخة بن إلياس بن مضر : تميم وعُكَل ابنا
عبد مناة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهانت العرب
بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مناة ، كانوا قطيئنا لحاجب بن زُرارة ،
وأراد أن يستملكهم ملك رق بسجل من قبل المنذر ، والخبيطات ، وهم ولد الحارث
ابن عمرو بن تميم ، وسمى الحارث الخبيط لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الخبيط ،
وهو الذي انتفخ بطنه مما رعى الخلاً ؛ فأما سُلُول فقد قال فيهم أبو زياد

قبائل
لم يحك هجاءهم
إلا قليلاً
قبائل شقيت
بالهجاء

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : ابن خصفة بن قيس
عيلان .

الكلابي : كرام من كرام من صمصمة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صفار ، وإتمام كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أَعْدَّة كغدة البعير وموت في بيت سلوية » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع بقول السموأل بن عادياء :

ونحن أناسٌ لا نَرَى القتل سُبَّةً إِذَا مارأتهُ عامرٌ وسلول
والسموأل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومبَّعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة

قال الجاحظ : لم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم الذين حظوا بالمدح قال : وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ، قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان يزيد بن مزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ، ولا أعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً . قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ، وقرَّنها منه بالاستحقاق ، فقرت مقرها ، ونزلت منزلها المختار لها ، وأحيا الله لبني شيبان حمداً لم يشبهُ ذم ، وجوداً لم يعقبه قدم ، مما زاد على يزيد ، ولم يدغ لمن معنى في الجود .

وقال غيره : كان عمر ^(١) بن الهلاء ممدوحاً ، وفيه يقول بشار بن برد :

(١) هذا الاسم قد وقع في ترجمة أبي العتاهية من الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق) مع الأبيات السابق ذكرها في ص ١٣٣ من هذا الجزء « عمرو بن العلاء » بفتح العين وسكون اليم وبالواو الفارقة ، وكذلك وقع في ترجمة بشار بن برد من الأغاني (٣ / ٤٦) مع ثاني وثالث هذه الأبيات وبيتين من أبيات أبي العتاهية ، وكذلك في مذهب الأغاني (٨ / ٤٨) واسكن أبيات بشار لا تستقيم إلا على قراءته بضم العين وفتح اليم وبدون واو ، وهو الصواب . وانظر - مع ذلك - ص ١٨٤ الآية

قل للخليفة إن جئته نصيحاً ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عُمرًا ثم نم
فتى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم
دعاني إلى عمرٍ جوده وقول العشيرة بجرٍ خضم
ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ريحانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالا
وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢) .

قال أبو عبيدة : لم يمدح أحد قط بني كليب غير الخطيئة بقوله :

لعمرك ما المجاور في كليب بمقصى الجوار ولا مضاع
هم صنعوا لجارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصنّاع
ويحرم سرّ جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

مفاخر
تميم

كانت قيس تفخر على تميم ؛ لأن شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس ورجالها

فأقامت تميم دهرًا لا ترفع رءوسها حتى قال لبيد :

أبني كليب كيف تنقي جعفرُ وبنو ضبينة حاضرو الأجاب
قتلوا ابن عروة ثم لطفوا دونه حتى يحاكمهم إلى جواب
يرعون منخرق اللديد كأنهم في العزاسرة حاجب وشهاب
متظاهري حلق الحديد عليهم كبني زُرارة أو بني عتاب
قومٌ لهم عرفت معدّ فضلها والفضل يعرفه ذوو الألباب

وقال زبان بن منصور الفزاري :

فجاءوا يجمع محزّل كأنهم بنو دارم إذ كان في الناس دارم

(١) في (ص ١٣٣) من هذا الجزء .

فتكلمت تميم وافتخرت ؛ لمكان هذين الشاعرين للعظيمى القدر فى قيس ،
فدل هذا على أن قيساً أحظى بالمدح من تميم .

الأوابد
من الشعر

والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال ، وأكثر ما تستعمل الأوابد
فى الهجاء ، يقال : رماها بآبدة ، فتكون الآبدة هنا الداهية ، قال الجاحظ :
الأوابد الدواهي ، ومنه أوابد الشعر ، حكاها عن أبى زيد ، وحكى :
الأوابد الإبل التى تتوحش فلا يُقدر عليها [إلا] بالعمى ، والأوابد الطير التى
تقيم صيفاً وشتاء ، والأوابد الوحش ؛ فإذا حملت أبيات الشعر على ما قال
الجاحظ كانت المعانى السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت
المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التى ليست بقواطع ، وإن
شئت قلت : إنها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها
من الناس .

المجدودون
فى التكسب
بالشعر

وأما المجدودون فى التكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم : سلم الخاسر
مات عن مائة ألف دينار ، ولم يترك وارثاً ، وأبو العتاهية صنع :

تعالى الله يا سلمُ بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرِّجالِ

وكان صديقه جداً ، فقال سلم : ولى من ابن الفاعلة ، جمع القناطير من
الذهب ونسبني إلى ماترون من الحرص ، ولم يرد ذلك أبو العتاهية ، لكن
دعاه يعجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ، ومروان بن أبى حفصة : أُعْطِيَ
مائة ألف دينار غير مرات ، وكان لا يقابل إلا بالكثير ، وهو لعمرى من
ذوى البيوتات ، والمعرقين فى التكسب بالشعر ، وكان أبو نواس محظوظاً
لا يدرى ماوصل إليه ، لكنه كان مثلاً قاسماً ، وكان يتساجل فى الإنفاق
هو وعباس بن الأحنف وصرىع الغوانى ، وكان البحتري مالياً قد قاض
كسبه من الشعر ، وكان يركب فى موكب من عبيده ، وأبو تمام فما وفى

حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تبذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب .

(٨٣) - باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الحسين بن إبراهيم لرجل
الأمدي ، لرجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم :

تَضَيَّفَنِي وَهَنَا ، فَقُلْتُ : أَسَابِقِي إِلَى الزَادِ؟ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ عُرْيَانُ جَائِعٍ
لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ ذَنْبًا
لَقِيَهُ لَيْلًا ، فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتِ إِلَى الْأَكْلِ ؟ أَيْ : تَأْكُلْنِي ، شَلَّتْ إِذْنُ أَصَابِعِي
إِنْ لَمْ أُرْمَكْ فَأَقْتُلْكِ فَأَكُلْ مِنْ لَحْمِكَ !! ثُمَّ قَالَ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ : لَمْ تَلْقَ
لِلسَّعْدِيِّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ لَا مُسْتَعْتَبَ فِيهَا - يَعْنِي الذَّنْبَ - إِلَّا وَهُوَ جَائِعٌ ،
يَقُولُ : فَهُوَ لَا يَبْقَى عَلَيَّ لِأَنِّي بَغِيْتُهُ .

وَمِنْ أَنَا شَيْدِهِمْ :

أَبُوكَ الَّذِي نُبَذْتُ يُحْمِسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ النَّدَى حَتَّى يَجِفَّ لَهَا الْبَقْلُ
قَالُوا : إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَنْبَتَتْ بَقْلًا فِي أَصُولِ بَقْلِ قَدِيبَسٍ
فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ ، وَهُوَ الْغَمِيرُ ، فَتَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَيَأْخُذُهَا السُّهَامُ ، وَلَا
سُهَامَ فِي الْخَلِيلِ ؛ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْخَلِيلِ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ ، بَلْ مَدَحُهُ بِمَعْرِفَةِ الْخَلِيلِ ؛ لِأَنَّ النَّشْرَ مُؤْذٍ
لِسُكُلٍ مِنْ يَأْكُلُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ سُهَامٌ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ قَنَسَةَ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَذَكَرَ آلَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ :

لرجل
سعدى

مما أنشدوه

لسليمان
ابن قنّة

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ ولم تكثر القتلى بها حين مُلَّتْ
 أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتلى ، كما تقول : لم أضربك
 ولم تجن على إلا بعد أن جنيت على ؛ وقال آخرون : أراد لم يساوا سيوفهم
 إلا وقد كثرت بها القتلى ، كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد
 أحسنت إليك ، والقولان جميعاً صحيحان ؛ لأنه من الأضداد .

كعم الكلب

وينشدون قول الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ

ويروى :

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبُهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ - لَا أَبَالَكَ - نَابِحٌ
 قالوا : فالمدح أن يكون إما يكعمه لثلاً يَغْقِرُ الضيوف ، والذم أن يكون
 ذلك لثلاً ينبح فيدل عليه الضيف ، وأنا أعرف هذا البيت في هجاء مخضٍ للراعى
 هجأ به الخطيئة ، وهو :

أَلَا قَبِيحَ اللَّهِ الْخَطِيئَةُ ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَافَى مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

ويروى : * على كل ضيف ضافه فهو سالح *

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ
 بَكَيْتَ عَلَى مَذْقِ خَبِيثٍ قَرِيئَتُهُ أَلَا كُلَّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ

وأنشدنا أبو عبد الله :

تجنب
الجيش

تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أبا خبيبٍ وجاد على منازلِكَ السحابُ

ويروى : * أبا ربيب * قال : إن دعا له فإنما أراد أن يعافى من الجيوش ،
 وأن يجوده السحاب فتُخَصِّبَ أرضه ، وإن دعا عليه قال : لا بقى لك خير تطعم
 فيه الجيوش ، فهي تتجنب ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على
 محله بأن تدرسها الأمطار .

وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك
أشد لملك وغمك ، ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر :
وَحَيْفَاءَ أَلْقَى الْغَيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فَسَرَّتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمَصْرَمٍ
أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير .
وأشدد [أبو عبد الله] أيضا :
إِنِّى عَلَى كُلِّ إِسَارٍ وَمَعْسَرَةٍ أَدْعُو حَيْشًا كَمَا تَدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ
وروى المبرد : * أَدْعُو حَنِيفًا *

ابنة
الجبل

يريد أنه يجيب بسرعة كالصَّدى ، وهو ابنة الجبل ، وقيل : ابنة الجبل
الصخرة المنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد فى روايته بيتًا ، وهو :
إِنَّ تَدْعُهُ مَوْهِنًا يَمْجَلُ بِجَابَتِهِ عَارِى الْأَشَاجِعِ يَسْتَعِى غَيْرَ مُشْتَمِلٍ
فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمله على قول الآخر :
كَأَنِّى إِذْ دَعَوْتُ بَنَى حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمُ الْجَبَالَا
ورواه قوم : * بنى سليم *
فمن مدح جعله كالأول فى سرعة الإجابة ، ومن ذمَّ نسبهم إلى الثقل عن
إجابته مثل الجبال .

ومن الدعاء الذى يدخل فى هذا الباب قول الآخر :
تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا : يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذُّئْبَ وَالضَّبَّاعَا
قيل : لانهما إذا اجتمعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحدٍ منهما الآخر ، وإذا
تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه فى الدعاء عليها قتل الذئب الأحياء عثيًا ، وأكل
الضبع الأموات ، فلم يبق منها بقية .

ومن لطيف ما وقع فى هذا الباب قول النابغة الذبياني :
يَصُدُّ الشَّاعِرَ الثُّنْيَانُ عَنِّي صُدُّودَ الْبَكْرِ عَنْ قَرْمٍ هَجَانٍ

الثنيان

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفعل ، لكن أراد التصغير بالذى هاجاه ،
فجعله ثانياً ، وقال الآخر :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمَثَلِ أَبِي وَجَدَى يَجِيءُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي
أراد وهو ثان من عنانه ؛ لأنه يسبق متمهلاً .

ذو فجرات

وقال ابن مقبل :

إِذَا الرِّفَاقُ أَنَاخُوا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلُّوا بِذِي فَجَرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي
قال ابن السكيت « بذى فجات » أى : يتفجر بالسخاء والعطاء ، ويدل

على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت :

جَمُّ الْمَخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الْجَبِينِ ، كَرِيمِ انْتِخَالِ مِفْوَارِ
ومما يمدح به ويذم قولهم « هو بيضة البلد » فمن مدح أراد بها أصل الطائر ،
ومن ذم أراد أنها لأصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبدود فى على بن أبى طالب
رضى الله عنه لما قتل أخاها :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَقَدْ بَكَيتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يَدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ
فهذا مدح كما تراه .

وقال الراعى النميرى يهجو عدى بن الرقاع العاملى :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجَى هَجْوُكُمْ يَا ابْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قَضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وأنشد بعض العلماء :

وَإِنِّي لَظَلَامٌ لِأَشْعَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورٍ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
وَجَارٍ قَرِيبَ الدَّارِ ، أَوْ ذَى جِنَايَةِ غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفَرُ
يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر ، وإنما مدحها بأنه يظلم

الناقة فينحر فصيلها من غير علة ولا داء ، إلا لضيافة هذا الأشعث ، والجار ،
وأشباههما .

(٨٤) — باب في أصول النسب ويوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام ؛ لأن جميع
من كان قبله قد هلك ، وإنما بقي من ولده سام ، وحام ، وياث ؛ فولد يافث
الصقالبة وبرجان والأشبان ، وكانت منازلهم أرض الروم ، من قبل أن تكون
الروم ، ومن ولده الترك ، والخزر ، وياجوج ومأجوج ؛ وولد حام كوش
وكنعان وقوط ؛ فأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده ، وأما
كوش وكنعان فأجناس السودان ، والنوبة ، والزنج ، والزارة ، والحبشة ،
والقبط ، وبربر من أولادها ؛ وولد سام إرم ، وإرفخشذ ، فعاد بن عوص بن
إرم ، وطشم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، ومنهم العماليق ، ومنهم فراعنة مصر ،
والجبارة ، ومنهم ملوك فارس ، وأجناس الفرس كلها ولده ، وثمود بن عابر بن
سام ، وماش بن إرم نزل بابل ، و [من] ولده نمروذ الذي فرق الله الألسنة في
زمانه ، وهو الذي بنى الصرح ببابل ، ويقال : إن النبط من ولد ماش ؛ ويقال
أيضاً : إنهم من ولد شاروخ بن فالغ بن إرفخشذ ، والأنبياء كلها عريبيها ومجميها ،
والعرب كلها يمنيها ونزاريها من ولد سام بن نوح ، حكى جميع ذلك ابن قتيبة ،
ومن ولد إرفخشذ قحطان بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ ، وكان مسكن قحطان
اليمين ، فكل يمان من ولده ، فهم من العرب العاربة . ويقطن بن عابر ، وهو
أبو جرم ، وكانت مساكن جرم اليمين ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج
إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ؛ فهم أخوال العرب المستعربة .

أصل
للأنساب

طبقات
العرب

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقبيلة ، وعمارة ،

وبطن ، وفخذ ، وفصيلة : فمضر شعب ، وربيعة شعب ، ومذحج شعب ، وحدير شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودودان بن أسد عمارة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخاذ ، والأخاذ تجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

وزعم أبو أسامة — فيما رأيت بخطه ، وقد عاصرتة ، وكان علامة باللغة — أصل تسمية الطبقات أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الإنسان الأرفع فالأرفع ؛ فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، قال : وهي الساق ، أو قال : للفصل ، الشك مني أنا ، قال : والحي أعظم من الجميع ؛ لاشتغال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة ، قال : وهم رَهْطُ الرجل دنيا^(١) ثم الفصيلة ، قال : دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتث بفصيلة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبي يقول : العدد من تميم في بني سعد ، والبيت في بني دارم ، والفرسان في بني يربوع ، والبيت من قيس في غطفان ، ثم في بني فزارة ، والعدد في بني عامر ، والفرسان في بني سليم ، والعدد من ربيعة [في بكر] والبيت والفرسان في شيبان .

(١) في الأصول « دينا » بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

مفاخر
القبائل

قال ابن سلام الجمحي : كان يقال : إذا كنت من تميم ففاخر بمخنظلة ، وكأثر بسعد ، وحارب بعمر ، وإذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكأثر بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان ، وكأثر بشيبان ، وحارب بشيبان .

فرسان
العرب

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عُكَّابة ، وكان يقال له : الأغر والحصن ، وبنوه شيبان ، وذُهل ، وقيس ، وتميم الله . قال : ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها الحارث بن ظالم ، وحاكمها هريم بن قطبة^(١) ، وجوادها هرم بن سنان المري ، وشاعرها النابغة الذبياني ، وفارس بني تميم عتيب^(٢) بن الحارث بن شهاب أحد بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري ، وفارس دارم عمرو ابن عمرو بن عُدُس ، وفارس سعد فدكي بن أبلح المنقري^(٣) ، وفارس الرباب زيد القوارس بن حصن الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة بسطام بن قيس .

بيوتات
العرب

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزُّبُرْقَانِ بن بدر من بني بهذلة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن

(١) ويقال « قطنة » انظر (ج ١ ص ٥٣) .

(٢) هكذا في النسخ ، والمحفوظ « عتية » وشاهده قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتية بن الحارث بن شهاب

(٣) هو جد عمرو بن الأهم لأمه ؛ فإن أم عمرو ميا بنت فدكي بن أبلح .

عمرو^(١) الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان ، وبيت التميم آل النعمان بن جساس .

قال : وليس فى العرب جساس غيره .

قال الجحى : فارس اليمين فى بنى زُبَيْد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها امرؤ القيس ، وبيتها فى كندة الأشعث بن قيس ، لا يُخْتَلَفُ فى هذا ، وإنما اختلف فى نزار .

قال : وأما الشرف [ف] ما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبى واتصل فى الإسلام .

قال أبو إياس البصرى : كان بيت قيس فى آل عمرو بن ظرب العدوانى ، ثم فى غنى فى آل عمرو بن يربوع ، ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الإسلام وهو فيهم .

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قريش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوزان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وثلابة ابنا يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاة عذرة والحارث بن سعد .

(٨٥) — باب مما يتعلق بالأنساب

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف قريش البطاح وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو مخزوم ابن يقظة ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو جحج وسهم ابنا هصيص بن كعب ، وبعض بنى عامر بن لؤى .

(١) قال المجد فى القاموس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » اهـ .

- قريش الظواهر : بنو محارب والحارث ابنا فِهْرٍ ، وبنو الأذرم بن غالب ابن فِهْر ، وعامة بنى عامر بن لؤى، وغيره .
- الظواهر القاب لبعض القبائل
- كان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحمير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد أسد البأس ، والذهلان : أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، واللهزمتان : إحداهما عجل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعَنْزَة ، وكلهم من بكر بن وائل ، إلا عَنْزَة بن أسد بن ربيعة .
- الأحايش
- الأحايش : حلفاء قريش .
- قال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق ، والحيا بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمه : اجتمعوا بذنب حبشي - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سَجَا ليلٌ وأوضح نهار ، وما أرسى حبشي مكانه ^(١) .
- وقال حماد الراوية : إنما تُثَمُّوا بذلك لاجتماعهم ، والتحابس : هو التجمع في كلام العرب .
- المطيون
- المطيون : عبد مناف ، وزهرة ، وأسد بن عبد العزى ، وتيم ، والحارث ابن فِهْر ، وعبد قُصَى .
- الأحلاف
- الأحلاف : مخزوم ، وعدى ، وسهم ، وُجَح ، وعبد الدار .
- سموا أولئك المطييين لخلق صنعتهم لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافاً لجزور نحروه ، فدافوا دمه في جفنة فسوه بأيديهم ولعقوا منه ، وسموا «الأحلاف» و«لعنة الدم» .
- الأراقم
- والأراقم : جُشَم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، قال أبو علي : ليس في العرب نصراني غيره .

(١) في القاموس « ووضح نهار ، ومارسا - إلخ » .

- البراجم** : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ،
والظليم ، وهو مرة ؛ تبرجموا على إخوتهم يربوع وربيعه ومالك ، وكلهم أبوهم
حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة .
- الثعلبات** : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن
عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع .
- الرباب** : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف — وهو عُكْلٌ —
وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة ^(١) :
- الأجارب** : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربيعة ، ومالك ، والحارث —
وهو الأعرج — وعبد العزى ، وبنو حمار .
- الحرام** : بنو كعب بن سعد بن زيد مناة .
- الضباب** : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضُبَيْب ، وحِسل ،
وحُسَيْل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره .
- وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن
كلاب ، وإنما سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضبا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل
وسمعه يهتف بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسموا الضباب إلى اليوم ؛
قال : ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحصن ،
وحصين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب ، وشقيق ، وخزيم ،
والوليد ، وزهير ؛ فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم الضباب جميعاً .

(١) قال المرتضى : « والرباب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكْل ، وقيل :
تيم وعدى وعوف وثور وأشيب ، وضبة عمهم . مما وبذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة الفرقة
ولذلك إذا نسبت إلى الرباب قلت ربي ، فترده إلى واحد » اهـ .

الأكابر

الأكابر : شيبان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل .

بنو أم البنين

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيعه ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، قالوا : وإنما اضطرت^(١) القافية لبيدا فجعلهم أربعة وهم خمسة .

وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : إن بني أم البنين أربعة ، كما قال لبيد : ابتكرت عامراً ملاعب الأسنة ، وثنت بالطفيل ، ثم تزوج عليها مالك سلامة السلميَّة ، ففارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكوراً ، وجاءت السلميَّة بثلاثة ، وهم : سلمى ، وعبيدة ، وعتبة ، فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخيها زهير بن خدَّاش بن زهير ، حتى أخذ عليها حكماً بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً فولدت معاوية معوذ الحكماء^(٢) ، ثم ثنَّتْ بربيعة أبي لبيد ، وزعم بعض شيوخه الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحكماء^(٣) من أجل أنه تولى حكماً عن زهير بن عمرو على أخيه ، وروى أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء^(٣)

(١) في قوله أمام العمان بن المنذر :

نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة
وانظر هذا الكتاب (ج ١ ص ٥١) .

(٢) معوذ الحكماء - بالدال المعجمة كما في اللسان عن ابن بري - والذي في القاموس وشرحه « معوذ الحكماء » بالدال المهملة ، ومنهم من يلقبه « معوذ الحكماء » جمع حليم - باللام - ومنهم من يلقبه « معوذ الحكماء » والذي في القاموس أولى ، قال : « ومعوذ الحكماء لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله :

أعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق في الأشياع نابا

ونابا : عمرا ، ويروى في مكانه « بابا » أي ظهر ، ويروى في مكان الشطر الثاني

* إذا ما معضل الحدثان نابا » اهـ ، مع زيادات من الشرح ، وفيه بعض تصرف

وانظر ص ٢٢١ الآتية

لزید الخلیل ، غیر أنه لم ینشد البیت ، وزعم أنه ناقض بها طَفِيلًا
الغَنَوِيَّ .

قال : وأم البنین بنت عمرو بن عامر فارس الضحیاء .

الكلمة : بنو زیاد العبسیون ، وهم : أنس الحفاظ ، ويقال له أيضاً : أنس
الفوارس ، وعمارة الوهاب ، وربیع الكامل ، وقیس الجواد ، هكذا روينا
عن النحاس .

قال المبرد وغيره : ربیع الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس ، أمهم
فاطمة بنت الخُرْشُب الأُمَارية .

الحمس : هم قریش ، وكنانة ، ومن دَانَ بدينهم من بنی عامر بن صعصعة .
قال أبو عمرو بن العلاء : الحمس من بنی عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ،
بنو ربعة بن عامر بن صَعَصَعَة ، وأمهم مجد بنت التيم الأدرم بن غالب بن فِهر
ابن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم ، أى : يتشددون ، لا يستظلون
أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سمواُحُمساً لشدة بأسهم ، ويعدون
في الحمس خزاعة .

العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ،
بنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وبنوه أيضاً
أم القبائل : هند بنت تميم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس
الله ، وعائذ الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكراً ، وتغلب ، وعنزا ، وقيل :
هو عنز بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي اللبوك بن عبد القيس ، وبعضهم
يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجمرات : جمرات العرب : ضبة ، وعبس ، والحارث بن كعب ؛ سموا بذلك
الجمرات .

لأن أهمهم الحشباء بنت رة — فيما يقال — رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطفئت من الجمرات اثنتان : الحارث بن كعب حالقت في غطفان ، وضبة حالقت الرِّبَاب وسعداً ، وبقيت عبس لم تطفأ ؛ لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجعلها عبساً وضبة ونميراً . وأشار إلى أن في تميم جماراً أيضاً ، وصرح بذلك المفضل ، فقال : هم بنو يربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية ، نسبوا إلى أهمهم ، وهم زيد ، وصدى ، وجشيش ، بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمة بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش يربوعاً ، ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير ابن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب .

قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جمة ؛ لأنهم تجمعوا حتى قوا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجمير المرأة شعرها ، وإذا ضفرت قيل : قد جمرت ؛ وقال غيره : ومنه « خف مجر » إذا كان مجتمعاً شديداً .

بنو طهية طهية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفاً ، وأبا سود ، وربيعاً ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فعرف أولادها بها .

للولي الموالى ثلاثة : مولى اليمين المحالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن العم والقراية . قال الشاعر :

نبئت حياً على نعمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

(٨٦) - باب ذكر الوقائع والأيام

قد أسبغت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من الفتاوى وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما

جئتُ به غَنِيٍّ وَمَقْنَعٍ ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرتُ ؛ فإنما هذه القطعة تذكرة للعالم ، وذريعة للتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشرطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى ، بعد أن أقدم في صدره أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتمظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره .

مغازي
الرسول

غزار رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة «وَدَّانَ» على رأس الحول من الهجرة ، ثم غزا عيرا لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ، ثم غزا في طلب كرز بن حفص حتى بلغ بدرأ بعد عشرين يوماً ، ووجهت القبلة إلى الكعبة ، ثم غزا «بدرأ» فكان يوم بدر لستة عشر يوماً خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين ، وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلاً ، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فقتل من المشركين خمسون رجلاً ، وأسرا أربعة وأربعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

يوم أحد : كان في شوال من سنة ثلاث . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وقريش في ثلاثة آلاف ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه .

يوم الخندق : كان في سنة أربع

يوم بني المصطلق وبني النضير : في شعبان سنة خمس

يوم خيبر : في سنة ست

وكان يوم «مؤتة» في سنة ثمان ، واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش ، وجعفر بن أبي طالب أمير الجيش أيضاً بعده ، وعبد الله بن رواحة

أمير الجيش بعدها ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف .

وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمس عشرة ليلة سار إلى « حُنَيْن » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هَوَازِن في شوال للنصف منه ، فانهزم المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه ، وأيمن بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيمن ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهزم المشركون ، وكانت الكثرة عليهم لله ولرسوله .

ثم سار بعد حنين إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ، ولم يفتتحها ، وغزا بلد الروم في رجب من [سنة] تسع ؛ فبلغ تبوك وبني بها مسجداً ، وهو بها إلى اليوم وفتح الله عليه في سفره ذاك « دومة الجندل » على يدى خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

يوم إراب وهذه أيام العرب : يوم « إراب » ^(١) لبني ثعلبة بن بكر : رئيسهم الهذيل بن حسان ، علي بن رياح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني

(١) إراب - بكسر الهمزة و آخره باء موحدة - قال ياقوت : بخط البيهقي في شرحه « إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن » اهـ .

رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه ليمنعهم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم الهذيل : لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لأتيناكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي ، وأطلق البعض .

يوم «نعف فشاوة» لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجيراً ، وأسر أباه أبا مليل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له مليلاً ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله .

يوم «نجران» للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على اليمين ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور الكلاعي الذي أعتق في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا .

يوم «الصمد» ^(١) وهو يوم «طلع» ويوم «بلقا» ويوم «أود» ويوم «ذى طلوح» كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيبان ورؤيسهم الحوثران ، ورؤيس الهازم أبجر بن بيجر ^(٢) العجلي .

يوم طخفة ^(٣) وهو أيضاً يوم «ذات كهف» ويوم «خزاز» في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر بن ماء ^(٤) السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنه قابوس ، وجزّت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرذافة عن عوف بن عتاب الرياحي

(١) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض .

(٢) الذي في ياقوت «أبجر بن جابر العجلي» .

(٣) طخفة - بكسر الطاء ويروى بفتحها مع سكون الحاء - موضع بعد النباج وبعد إمرة ، في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصمعي : جبل أحمر طويل حذاء بئر ومنهل .

(٤) في ياقوت «على قابوس بن المنذر بن ماء السماء» .

يوم المروت «^(١)» : وهو يوم « إرم السكبة » نَقًا قريب من النجاج ،
لبني حنظلة وبني عمرو بن تميم ، على بني قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة ، وكان الذِكر فيه لبني يربوع ، وإنما أغارت قُشَيْر على بني العنبر فاستنقذ
نوير يربوع أموال بني العنبر وسَيَّيهم من بني عامر

يوم مليحة «^(٢)» : لبني شيبان على بني يربوع ، رئيسهم ^(٣) بَسْطَام بن
قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا
إلا لتشكّل رجلاً أمه ، فقتل به يوم العظالي قاتله الهبش بن المقعاس

يوم اللوى «^(٤)» : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأنخن
أخوه ذَرِيد

يوم الصليفاء «^(٥)» : لهوازن على فزارة وعَبْس وأَشَجَع ، وفيه قتل دريد
بأخيه ذَوَاب بن أسماء .

يوم الهبابة «^(٥)» : وهو « يوم الجفر » لعبس على ذيبان ، وفيه قتل حذيفة

(١) المروت - بفتح الميم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مثناة - اسم
نهر ، وقيل : واد بالعالية كانت فيه الوقعة .

(٢) مليحة - على زنة المصغر - اسم جبل في غربي سلمى أحد جبال طيء ، وبه
آبار كثيرة وملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم .

(٣) هو رئيس بني شيبان .

(٤) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحاً ، وإنما الصحيح « الصلعاء » بالعين
للمهلة بعد السلام . قال أبو محمد الأسود : أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء
وهي بين حاجر والنقرة « اه من ياقوت ، والصلفاء : يوم غير هذا .

(٥) الهبابة : هي أرض يبلاد غطفان كانت فيها الوقعة ، وجفر الهبابة :
مستنقع في هذه الأرض .

ابن بدر وأخوه سَحْل سيدا بنى فزارة ، وكان يقال لحذيفة «رب معدّ» .
يوم «عُرَاعِر»^(١) : لعُبَس على كلب وذبيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد يوم عراعر
الكلبي ، وكان شريفاً .

يوم «الفَرُوق»^(٢) : بين عبس وبنى سعد بن زيد مناة ، قاتلوهم فمضت يوم الفروق
عبس أنفسهم وحريمها ، وخابت غارة بنى سعد ، وقيل لقيس بن زهير - ويقال
عنقرة - : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : مائة فارس كالذهب ، لم نكثر فنفسل
ولم نقل فنذل .

يوم «شعب جَبَلَة»^(٣) : قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم
كلاب ريعة ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذى قار ، وكان يوم الشعب لبنى عامر
ابن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفين أسد وذبيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة
يطلب عبساً بدم أبيه ، وتطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ، ومعهم معاوية بن
الجون السكندی في جمع من كِنْدَة ، وعلى بنى حنظلة بن مالك والر باب رئيسهم
يقيط بن زُرارة يطلب بدم مَعْبِد أخيه ، ويثرب بن عدس ومعهم حسان بن الجون
أخو معاوية - وقيل : بل عمرو بن الجون - وحسان بن مرة الكلبي أخو النعمان
ابن المنذر لأمه .

وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث

(١) عراعر - بضم العين المهمة الأولى وكسر الثانية - ماء لـ كلب بناحية الشام .
(٢) الفروق - بفتح الفاء - عقبة دون هجر إلى نجد بين هجر ومهب الشمال .
(٣) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة -
ويقال : شعب جبلة - للموضع الذي كانت فيه الموقعة المشهورة بين بنى عامر وبنو
وعبس وذبيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصغرا -
والشريف . والشريف : ما . لبي نمر . والشريف : ماء لبنى كلاب .

ابن عمرو بن آكل المزَار ، ومع بني حنظلة والربّاب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد ؛ لزعهم أن صعصة هو ابن سعد ، ولم يتخلف من بني عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عُكْل ، فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً .

وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذيان وأسد وكندة ومن لَفَّ لَفَّهُمْ ، وقتل لقيط بن زرارة ، طعنه شريح بن الأحوص ، فحمل مرتثاً ثبات بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأحوص ، وجَزَّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس بن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجز ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جَبَلَة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر ابن الطُفَيْل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك .

يوم أقرن

يوم « أقرن » : لبي عبس على بني تميم ، وبخاصة بني مالك بن مالك بن حنظلة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، وابنه شريح ، وأخوه ربي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر ، فسبي سبياً من

عبس ، وغنم مالا ، وابتنى بجارية من السبي ، فأدركته عبس فكان من أمره ما كان .

يوم زُبالة ^(١) : لبني بكر بن وائل ، وبخاصة بني شيبان وبني تيم الله ، رئيسهم بسطام ، على بني تيم ورئيسهم الأفرع بن حابس ، أسرفيه الأفرع وأخوه فراس ، واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة .

يوم جَدُود ^(٢) : لبني سعد بن زيد مناة على بني شيبان ، وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان على سعد ، فأدركهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحوفزان لصلاة فرسه ، فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فانتقضت عليه بعد حول فوات منها ، وسالت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفضل ثياب ، فغيرتهم بذلك منقر .

يوم الكلاب الأول : يوم « الكلاب الأول » لسلمة بن الحارث بن عمرو الآقصور ، ومعه بنو تغلب والمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع ، على أخيه شرحبيل

(١) زبالة - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية ، وقال أبو عبيد السكوني : زبالة بعد القاع من الكوفة ، وقبل الشقوق ، فيها حصن وجامع لبني عاضرة من بني أسد . ويوم زبالة من أيام العرب ، قالوا : سميت زبالة بزبلها الماء أي بضبطها له ، وقال ابن السكبي : سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالة نزلتها » اهـ .

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع في أرض بني تيم قريب من حزن بني يربوع على سميت اليامة . . . وكانت فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب اهـ من ياقوت .

ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تَرَبُّبُوا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، فُقُتِلَ شرحبيل : قتله أبو حنش عاصم ابن النعمان الجشمي ، ويقال : بل قتله ذو الثانية حبيب بن عتبة الجشمي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حنّش لأمه ، وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي مهلهل ، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عدياً أخو مهلهل ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً .

يوم الشعبة^(١) [وهو] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرّباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور ؛ وهو مذحج وهمدان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهتم فم سمي بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هتمه قيس بن عاصم بقوسه ، وانتزع عبد يغوث من يدي الأهم بعد أن شرط للأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انتزعتهم التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وسمى الكلاب الثاني أيضاً .

يوم حر الدواب : قال أبو عبيدة : لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد
حر الدواب خاصة ، وكان الفناء من الرباب لقيم ، ومن سعد لمقاعس

يوم ذى ييض : أغار الحوفزان على بني يربوع فسبى نسوة منهم ،
فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره
حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » .

(١) شعبة - بضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، ويصب في سد قناة ، وهو واد

يوم
عاقل

يوم « عاقل » : لبني حنظلة على هَوَازن ، وفيه أسر الصَّمَّة بن الحارث ابن جُشَم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدى ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأناه على الثواب فضرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه الجاشعي ، وأسرَ رجلٌ من بني أسد - وكان نزيبا لعفد ابن أخت له في بني يربوع - ابناً للصمة ، فافتدى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدى النازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله ؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تُعير بذلك .

يوم
عينين

يوم « عَيْنَيْنِ ^(١) » : لبني نَهْشَل على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا مُمْتَارِينَ من البحرين ، فعرضت لهم عبد القيس ، واستغاثوا ببني نهشل فحموهم واستنقذوهم .

يوم
قلبي

يوم « قَلْبِي ^(٢) » : منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بني عبس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فَرَازَة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى بن حِذَار ومالك بن سبيع .

يوم
بزاحة

يوم « بَزَاخَة » : لبني ضبة على محرق الغساني وأخيه فارس مودود ، أغاروا

(١) عينين ، هذا هو صوابه على صورة مثنى العين ، ووقع في الأصول خطأ « عينين » قال أبو عبيدة : عينان بهجر ، وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة وفيها يقول الفرزدق :

ونحن كففتنا الحرب يوم ضرية ونحن منعنا يوم عينين منقرا
(٢) قلبي - بفتح القاف واللام جميعا فيما ذكر سيويه ، وذكر غيره أن اللام ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول معقل بن عوف الثعلبي :
تظل دماؤهم ، والفضل فينا ، على قلبي ونحككم مانريد

على بنى ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إباد وتغلب وغيرها ، فأدركتهم بنو ضبة ، فأمرَ زيد الفوارس مُحرقاً ، وأمر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم مَنْ كان معهما ، وقتل معهما عدة .

يوم إضم

يوم « إضم » : لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مُزَيِّقياً الملك الغَسَّاسي ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جَفْنَةَ ... علثة بن عمرو بن عامر قتل بني عائذة قتلاً ذريعاً ، وفي ذلك اليوم قتل الرديم ، وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطعن طعنة كمنخر الثور النعر ، ثم قصد ابن مُزَيِّقياً فطعنه فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاخة » .

وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضاً أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم .

يوم نقا الحسن

يوم « نقا الحسن ^(١) » : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح ، وكان رجلاً أعسرَ فأصاب صُدْغَهُ الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن .

يوم أعيار

يوم « أعيار » : وهو أيضاً يوم « النقيعة » لبني ضَبَّةَ على بني عَبَسَ ، وفيه قتل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى مفضلاً كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاماً ، فحين شَبَّ أخذ بثأر ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في البراعي .

(١) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٩٠) « بقاء الحسن » .

يوم رحرحان الأول دارم بنى عامر بن صعصعة ، وعلى بنى عامر قريظ بن عبيد بن أبي بكر ، وقتل يثربي .

يوم رحرحان الثاني علي بنى دارم ، وفي ذلك اليوم أسر معبد بن زُرارة : أسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما في أسره رجل من غنى يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب وكان أخا طفيل من الرضاة ، وفي أسره مات معبد ، شدوا عليه القيد وبعثوا به إلى الطائف خوفا من بنى تميم أن يستنفذوه ، كان هذا كله بسبب قتل الحارث بن ظالم المري من مرة بن سعد بن ذبيان خالد بن جعفر غدرأ عند الأسود بن المذر — وقيل : عند النعمان — والتجأه إلى زرارة بن عدس ، فلما انقضت وقعة رَحْرَحَانَ جمع لقيظ بن زُرارة لبنى عامر وألب عليهم ، وكان بين يوم رحرحان وغزوة جَبَلَة سنة واحدة

يوم ضَرِيَّة : اختلفت سعد والرباب على بنى حنظلة ، وكان بنو عمرو ابن تميم حالفوا بكر بن وائل ، فضاقت حنظلة بسعد والرباب ، فساروا إلى عمرو ابن تميم فردوهم وحالفوهم ، ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ، ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم ، فقال ابن خفاف لسعد والرباب : مَنْ لعيال عمرو وحنظلة إن قتلتهم مقاتلتهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالكم إن قتلوا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم ، قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم ، وتكلم الأهم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد ، وساروا إلى عمرو وحنظلة إلى النصار من حمى ضرية ، فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، وأبى ذلك مالك بن نويرة

يوم « النِّسَار » : وذلك أن عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن

انتجعوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتنون إليهم برحم ؛ لأنهم يزعمون أن
صعصعة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المعزى بعكاظ ، فلحق بينى أمه
ولد معاوية بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صعصعة
وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمي بن
سنان ، وقيل : سمي بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هبيرة ، فسرت خيل لدى
الرقبية ، ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحنيف بن المنتجع ، اعترفها بعض
القشيريين ، فضربه القشيري على ساعده ، وضربه الحنيف فقتله ، فأرادت
هوازن القود من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا البدية ،
ففارقهم سعد ، وضافت هوازن ، فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيثاً والتقوا بالنسار ،
فعبأت أسد لسعد والرباب لهوازن ، فانهزمت هوازن وسعد ، وكان حامى أدبار
بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فرماه ربيعة بن أبي - وكان أرمى
الناس - فقتله ، فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم
شطور أموالهم وسلاحهم ، وقبل ذلك منهم ، وهذا يوم «المشطرة» ويوم «النسار»
وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل
يوم جبلة ، وأبو عبيدة لا يشك أنه بعده .

يوم الصرائم يوم «الصرائم»^(١) وهو أيضاً يوم «الجرف» لبنى رياح بن يربوع
على بنى عبس ، وفي هذا اليوم أسر الحسك بن مروان بن زنباع العبسي ، أبهره

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس ، قال شमित
ابن زنباع :

وسائل بنا عبسا إذا ما لقيتها على أى حى بالصرائم دلت
قتلنا بها صبرا شريحا وجابرا وقد نهلت منا الرماح وعلت

أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حمير بن رياح زنباعاً وفروة ابني مروان ابن زنباع ، واستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بني عبس

يوم « الغبيط »^(١) : لبني يربوع على بني شيبان ، وكان الشيبانيون قد غزوه متساندين على ثلاثة ألوية : الحوفزان بن شريك ، والأسود أخوه ، وبسطام بن قيس ، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود ابن شريك ، وحمل بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ، ورثاه بعضهم بمراثٍ عِدَّة ، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم « الأياد » ويوم « العظالي » سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومقرون ابن عمرو والحوفزان بن شريك تعاضلوا على الرئاسة .

وقال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم العظالي ، قال : وهو أيضاً يوم « الإفاقة » ويوم « أعشاش » ، ويوم « مليحة » .

يوم « ذى نَجَب »^(٢) لبني يربوع على بني عامر ، وفيه قتل حسان بن يوم ذى نَجَب معاوية بن آكل المرار الملك ، قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع ، وقيل : بل هو عمرو بن معاوية - أعني المقتول - وأما حسان فأسر ، أسره

(١) قال ياقوت : غبيط الفردوس : في ديار بني يربوع ، وفيه يوم لبني يربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير :

ولا شهدت يوم الغبيط مجاشع ولا تفلان الحيل من قلتي نسر

(٢) قال ياقوت : نَجَب - بفتح أوله وثانيه - موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على

بني عامر بن صعصعة . . . وفيه يقول سحيم بن وثيل الرياحي :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد ، وضررنا عبيدة بالدم

بذي نَجَب إذ نحن دون حرينا على كل جباش الأحاري مرجم

دريد بن النضر ، وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم
جبله بعام ، فتنحى لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وتركوا في صدورهم
بني يربوع ، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة ، وأسر يومئذ يزيد بن الصَّعِقِ ،
وقتل بنو نهشل خليف بن عبيد الله النخدي ، وأسر زيد بن ثعلبة المصان ،
وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، وقتل خالد بن ربيع النهشلي عمرو
ابن الأحوص ، وكان رئيس بني عامر يومئذ .

يوم خزازي ^(١) : ويقال : « خزاز » واختلف فيه : فقال قوم : كان
رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة . وقال آخرون : رئيسهم زرار بن عدس ، وقال
آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت
عنده أنه قال : هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف مَنْ هو منهم ،
وأما ربيعة فيقول : لا شك أنه يوم « خزاز » لسكيب بن ربيعة على مذحج
وغيرهم من اليمن ، وكان بعقب يوم الشَّلان ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتتلوا ،
فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن .

يوم ملزق ^(١) : وهو أيضاً يوم « الشَّوْبَانِ » كان لبني تميم على عبس

(١) قال ياقوت : ويوم خزاز كان بعقب السلان . وخزاز وكبير ومتالع :
أجبال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصرة إلى مكة : فتالع عن يمين الطريق للذهاب
إلى مكة ، وكبير عن شماله ، وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس
عليها ثلاثها .

(٢) ملزق - الأكثرون على كسر الميم وفتح الزاي وآخره قاف ، وفيه يقول
أوس بن مفرأ :

ونحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لقونا

وعامر بعد أن قاتل تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إباد ، وبلحارث بن كعب ، وكتب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حياً فقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد ، وآخر من أتاها بنو عبس وبنو عامر .

يوم « الوند » وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على ناعم بن نهمش . يوم الوند فأنزلتهم بنو نهمش بالوند - وهي بالدهناء - فما أفلت من بني هلال إلا رجل واحد يقال له : فراس طواف ؛ وقيل أواب .

يوم « فيف »^(١) الريح ، ورأيته بخط البصري « فيفا » مقصوراً في يوم فيف الريح مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي .

وأشدد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

ويا لفيفاً من اليمن استنارت قبائل كان ألبيهم فخاروا

الفيفا : جبل طويل من جبال خثعم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر فيه والشرف لبني عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بني الحارث بن كلب وج في وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي ، واستغاثوا بخثعم ، فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ، ولم تنعم طائفة منهم طائفة ،

(١) فيف الريح - بفتح الفاء وسكون الياء - بأعلى نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، قتلت فيه عين عامر بن الطفيل ، فقأها مسهر الحارثي بالرمح ، وفيه يقول عامر :

لعمرى ، وما عمري على بهين ، لقد شان حر الوجه طعمة مسهر

وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر ، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم « طلع »

يوم ذى بهدى يوم « ذى ^(١) بهدى » : لبنى يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ، قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بذى بهدى فوارسنا يوم الهذيل بأيدى القوم مقتسر

يوم البشر يوم « البشر ^(٢) » لبنى كلاب على الأراقم ، ورئيس قيس يومئذ الجحاف ابن حكيم الكلابي ، وكان سبب ذلك تغيير الأخطل إياه

يوم الرغام يوم « الرغام » لبنى ثعلب بن يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، أغار فيه على بنى كلاب فأطرد إبلهم ، وقتل يومئذ أخوه حنظلة ، قتله الحوثره ، وأسر الحوثره ذلك اليوم ، فدفع إلى عتيبة فقتله صبراً بأخيه ، وانهزم الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر

(١) قال ياقوت : بهدى بوزن سكري ، ويقال ذو بهدى : قرية ذات نخل باليمامة ، وقيل : هما موضعان متقاربان ، ويوم ذى بهدى من أيامهم . قال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غداة يوم ذوات بهدى لدى الودعات إذ غشيت تميم
ضربنا الحيل بالأبطال حق تولت وهي شاملها الكلوم
بضرب يلحق الضبعان منه طروقه ويلجئه الأروم

(٢) البشر - بكسر فسكون - اسم جبل يمتد إلى الفرات من أرض الشام ، وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده ، فقال الأخطل :

الأسائل الجحاف هل هو نائر يقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه ، فكانت الواقعة بسبب ذلك . انظر ياقوت .

يوم «الهرايميت»^(١) للضباب ، وهم معاوية بن كلاب ، على إخوته بنى جعفر يوم الهرايميت ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر

يوم «الوقيظ» كان في فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو يوم الوقيظ للهازم ، رئيسهم أنجر بن بجر ، على بنى مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذروهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القمقاع بن معبد ، أسره الفرز الشيباني ورجل من تميم اللات ، فجزت تميم اللات ناصيته ، وخلته تحت الليل مضارة للفرز ، ويسمى أيضا هذا اليوم يوم «الحنو»

يوم «جزع طلال» لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن يوم جزع طلال بدر ، على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة ، وأخذ يومئذ شريك ابن مالك بن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة ابن حصن نفرا من التيم فأطلقهم بغير فداء ، ثم أغارت فزارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة ، فقتلوا التيم قتلا ذريعا وأخذوا منهم مائة امرأة فقسمهن عيينة في بدر ، وجعلهن مع أزواجهن الأسارى ينقلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة ، ورئيسهم زيد ابن شيبان بن أبي حارثة ، فقتلوا التيم وعديا وسبوا سبيا كثيرا لم يردوا منه شيئا ، فنعى هذا كله عليهم جرير

يوم «أواره» الأول : لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، يوم أواره الأول

(١) قال ياقوت : هرايميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين الضباب وجعفر ، زعموا أن لقمان بن عاد احتفرها ، وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بئر أراد أحد أن يحتفرها .

على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث ، واسم سلمة معدى كرب ، وهو أيضاً الغلفاء ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلمة الغلفاء بن عمرو بن كلثوم ، عرفه حمل عليه حتى قنعه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقْتُلَنَّ بكرًا على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من يمينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبر يمين المنذر ، فكفَّ عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم «أوراة» الأخير : كان لعمر بن هند على بنى دارم ، وذلك أن ابنا له كان مُسْتَرْضِعًا عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تَبَنَّاهُ فعبث بناقاة لأحد بنى دارم يقال له سويد ، فخرق ضرعها ، فشد عليه فقتله ، وأتى الخبر زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فلحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، فغزا عمرو بنى دارم ، وحلف ليقْتُلَنَّ منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من البراجيم ، وفي حكاية أخرى أنه أحرَقَهُمْ ، وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرماح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرَقَهُمْ فقد أخطأ ، وذُكِرَ [له] شعر الطرماح ، فقال : لا علم له بهذا ، واستشهد بقول جرير :

يوم أواره
الأخير

أَبْنِ الدِّينَ بِسَيْفِ عَمْرِو قَتَلُوا أَمَّ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضِعُ
يوم «زرود» الأول : لشيبان مع الخوفزان ، على بنى عبس ، وأنخن ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحًا ، غير أنه سلم فلم يمت منها

يوم زرود
الأول

يوم «زُرُود» الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع ، فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسرهم أسيد بن حنائة السليطي وأنيف بن جبلة الضبي وكان ثقيلًا في بنى يربوع ، وردوا الغنيمة من أيدي التغلبين

يوم زرود
الآخر

يوم «تثليث» غزت سُلَيم مع العباس بن مِرْدَاس مرادا ، فجمع لهم عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بتثليث ، فصبر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية ، وهي إحدى المنصفات .

يوم « ذى علق » كان بين بنى عامر وبنى أسد ، وفي هذا اليوم قتل ربيعة أبو آبيد .

يوم « العذيب » : كان لبني سعد بن زيد مناة وعَنْزَة ، على مذحج وحير ، وكان رأس اليمن الأصهب الجمفي ، بعث إليه النعمان يذكر عليه بلوغ سعد وعَنْزَة العذيب ، فحشد لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتله الآخر بن جندل ، واهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي

يوم « الصفقة » : وهو أيضاً يوم « المُشَقَّر » كان على بنى تميم بسبب غير كسرى التي كان يُجِيرُهَا هُوَذَة بن علي السحيمي ، فلما سارت ببلاد بني حنظلة اقتطعوها برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المُكْتَمِر عامله على هَجَر فاغتالهم ، وأراهم أنه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل ، إلى أن قَطَنُوا ، وأصفق الباب على مَنْ حصل منهم ؛ فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هُوَذَة في مائة من أسارهم فتركوا له ، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا .

يوم « ذى قار » : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لبني بكر بن وائل وقادمة بنى شيبان وبعدهم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسري ومن معهم من العرب رئيسهم إياش بن قبيصة الطائي ، وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسرى إياه ، وتحت يديه طييء وإياد وبهراء وقضاعة

والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرة — أعنى النمر وتغلب — وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركة النعمان ابن اللندر، وكان النعمان قد تركها وترك ابنها له وبنثا عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، ففزع رسول كسرى من الوصول إلى ما طلب ؛ وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملاً له على الطف ، بأن يعين إياسا ، فأفد إلى قومه ليلا ، وحرّضهم على القتال ، وتواطأت العربُ على العجم ، فطارت إياد عن العجم حين تشاجرت الرياح كأنهم مهزومون ، وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى ، وأسر النعمان ابن زرة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاها فقتله .

يوم الفجار
الأول

يوم « الفجار » الأول : كان بين كنانة بن خزيمه وبين عجز هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة ، وبذلك سمي فجارا ؛ لأنهم فجرُوا في الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن معسر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمدّ رجله ويقول : أنا أعز العرب ؛ فن كان أعز منها فليضربها بالسيف فضربها الأحمر بن هوازن من بني نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم الفجار
الثاني

يوم « الفجار » الثاني : كان بسبب فتیان من غزية قريش وكنانة رأوا امرأة وضیئة من بنی عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تُسْقِرَ لهم ، فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منعتنا رؤية وجهك وأريتنا درك !! فصاحت : يالَ عامِرِ

فتهاجموا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حملها الحارث بن أمية ، وليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم
الفجار
الثالث

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دين كان لأحد بنى نصر على أحد [بنى] كنانة ، فأتى النصرى بقرء فقال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ؟ فرأى أحد بنى كنانة فقتل القرد ، فتصايح القريقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا سبب الأمر العظيم من قتل البراض الكنانى عروة الرمال بن عيينة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشا ، وكانوا قد أدر كهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنهم الليل ، ثم ألتقوا بعد حول فكانت الواقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شمطة » ثم ألتقوا أيضا بعد حول ، فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سمو بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يقتلوا ، هذه رواية أبى عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الأول ، وقال فى آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى ، وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينة بن حصن ابن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، فغزاهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثانى ، والحرب فيه بين كنانة وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم
الجفار
يوم
الصريف

يوم « الجفار » : للأحاليق فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطى ، على بنى تميم ، واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعا .
يوم « الصريف » : كانت هذه الواقعة فى أيام الرشيد ، وهى لبنى ضبة على بنى حنظلة ، وفى ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير :

صَبَرْتُ كُلَّيْنِ لِلطَّعَانِ وَمَالِكِ
يَوْمَ الصَّرِيفِ وَفَرَّتِ الْأَحْمَالُ

و « الأحمال » : بطون من بنى حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات ما انتهى إلى من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً مما وقع فيها من الاختلاف ، وإنما عهدة ذلك على الرواة .

وسأذكر من مفاخر بني شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدايته ؛ لأنني لو تفصّيت ذلك لأفنييت العمر دون تقضى الجزء الذى لا يتجزأ منه قلة ، لكنى ذهبت فيهم وفي سيدهم أبى الحسن مذهب أبى الطيب في إخوتهم بنى تغلب وفي سيدهم على بن حمدان حيث يقول :

مفاخر
بني شيبان

ليتَ اللدائح تستوفى مدائحها فأكليب وأهل الأعصر الأول
خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكر يان ، وفيمن قدم عليه من وفد مصر من قيس عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان ، فمن بدى به على أثره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ، فنظرت في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

وفود ربيعة
عند النعمان
ابن المنذر

اسقى وفودك مما أنت ساقيتي فابدى بكاس ابن ذى الجدين بسطام
أغرّ ينميهِ من شيبان ذو أنف حامى الدمار وعن أعراضها رامى
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك بهم أيام أياى
فأرضوا بما فعل النعمان في مضر وفى ربيعة من تعظيم أقوام
هم المجاجم والأذئاب وغيرهم فأرضوا بذلك أو بوءوا بإرغام

فقال عامر بن الطفيل :

كان التبائع في دهرٍ لهم سلفٌ * وابن المَرَّار وأملاكٌ على الشام
حتى انتهى الملك من لحم إلى ملك * بادى السنان لمن لم يزمه رامى
أنهى علينا بأظفار فطوّقنا * طوّق الحمام ياتعاس وإرغام
إن يمكن الله من دهر نساء به * تركك وخذك تدعور هط بسطام
فانظر إلى الصيّد لم يحموك من مضر * هل في ربيعة إن لم تدعنا حامى ؟؟
فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمري لئن ضجّت نيم وعاصم * لقد كنت يوماً في حلوقهم شجى
أرونى كسعود وقيس وخالد * وعمرو وعبد الله ذى الباع والندى
وكانوا على أفناء بكر بن وائل * ربيما إذا ماسال سائلهم جدى
فسيرت على آثارهم غير تارك * وصيتهم حتى انتهيت إلى مدى

مفاخرة
عند معاوية
بين عامرى
وشيبانى

قال : واقتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بنى شيبان ،
والآخر من بنى عامر بن صعصعة ، فقال العامرى : أنا أعد عليك عشرة من
بنى عامر ، فعد على عشرة من بنى شيبان ، فقال الشيبانى : هات إذا شئت ،
فقال^(١) العامرى : خذ عامر بن مالك مَلَاعِبِ الأُسنة ، والطفيل بن مالك قائد
هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء^(٢) ، وربيعه بن مالك فارس
ذى علق ، ونحامر بن الطفيل ، وعلقمة بن عُلائة ، وعتبة بن سنان ، ويزيد بن
الصَّعِق ، وأربد بن قيس ، وهو أربد الختوف ، فقال الشيبانى : خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة ، والخوفزان
ابن شريك فارس بكر بن وائل ، وهانىء بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ،

(١) لم يذكر العامرى عشرة فيما ذكر المؤلف ، وإعماهم تسعة .

(٢) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء .

وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام ، وسمان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب رموس بنى تميم ، وعمران ابن مرة الذي أسرى زيد بن الصمق مرتين ، وعمر بن النعمان ، فقتلاً حياً ، فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما ، فلما دخلا عليه نسبهما ، فانتسبا له ، فقال معاوية : عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفا كما الله المؤنة ، هذان رجلان من غير قومكما عندي يحكمان بينكما : عدى بن حاتم ، وشريك بن الأعور الحارثي ، احكما بينهما ، ثم قال معاوية للشيباني : من يعي لعامر بن مالك ؟ قال الأصم بن أبي ربيعة الذي قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قالا : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فمن يعي لعامر ابن الطفيل ؟ قال الشيباني : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمان : رجح الحوفزان ، قال : فمن يعي لعقمة بن عُلَثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس ، فقالا : رجح بسطام ، قال معاوية : فمن يعي لعتبة بن سنان ؟ قال الشيباني : مفروق بن عمرو ، فقالا : رجح مفروق ، قال معاوية : فمن يعي للطفيل بن مالك ؟ فقال الشيباني : عمران بن مرة ، فقالا : رجح عمران بن مرة ، فقال معاوية : فمن يعي لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني : عوف بن النعمان ، فقالا : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فمن يعي لعوف بن الأحوص ؟ قال الشيباني : قبيصة بن مسعود ، فقالا : رجح قبيصة ، قال : فمن يعي لربيعة بن مالك ؟ قال : هانيء بن قبيصة ، فقالا : رجح هانيء بن قبيصة ، قال معاوية : فمن يعي ليزيد بن الصمق ؟ قال : سنان بن مفروق ، فقالا : رجح سنان بن مفروق ، قال : فمن يعي لأربد بن قيس ؟ قال : الأسود بن شريك ، فقال مساوية للشيباني : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال : أصاحك الله ! قيس ليس من هذه الطائفة فاتهم

بسرهم ، يهودا سلويلا ، فقال الحارثي : في ذلك :

أعدُّ إذا عددتُ أبا براء فكان علا على الأقوام فضلا
وكان الجعفرى أبو على إذا ما هاجتِ الهيجاءُ علا
ووالده الذى حدثت عنه طفيلٌ خيرنا يفعاً وطفلاً
وكان معودُ الحكم المبارى رياح الصيف أعلى القوم فعلا
وقد أورت زنادُ أبى ليدير ربيعة يوم ذى علقى فأبلى
وعلقمة بن أحوص كان كهفاً كلايبا رحيب الباع سهلاً
وعُتْبَةُ والأغرُّ يزيدُ ، إلى رأيتهما لكل الفخر أهلاً
وعَوْفاً ثم أربدَ ذا المعالى كفى بهما عليك ندى وبذلاً
أولئك من كلاب فى ذراها وخَيْرُ قرومها حسباً ونبلاً

فقال الشيبانى مجيباً له :

أعدُّ إذا عددتُ أباخفافٍ وعمران بن مرة والأصمى
وهائناً الذى حدثت عنه وكان قبيصة الأنف الأثمى
ومفروقاً وذا النجيدات عَوْفاً وبسطاماً ووالده الخضمما
وأسود كان خير بنى شريك ولم يك قرنه كذباً أجماً
أولئك من عكابة خير بكر وأكرم من يليك أبا وأماً
وأفضل من ينص إلى المعالى إذا ما حصّلوا خالاً وعمماً
وأكثر قومهم بالشرطوفاً وأبعد قومهم فى الخيرها

فقال معاوية للحكمين : ما تقولان ؟ قال : شيبان أكرم الحيين ، فقال معاوية :

وذاك قولى ، فأكرمهما وحباهما ، وفضل الشيبانى على العامرى .

حديث
ذى الجدين

قال : وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال : لأعطين أفضل العرب مائة من الإبل ، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، فلم يكن قيس بن مسعود فيهم ، وأرادهم قومه على أن ينطلق ، فقال : لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك

وإن كان يريدني بها لأعطيتهما ، فلما رأى النعمان اجتماع الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه : انطلق ، فانطلق ، فدفعها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت الا ان ، ما هو أحق بها مني ، فقال قيس ابن مسعود : أنا فره عن أكرمنا قعيدة ، وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لثيم قوم ، فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك ، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا الأم قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حوضه ومورد إبله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ؛ دعنا نستقي ؛ فإننا قد هلكنا عطشا وأهلكنا ظهورنا ، فتجهم وأبى عليهم ، فلما أعياهم قالوا للحاجب : اسفر ، فسفر فقال : أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا لامراته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله ما رب المنزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد ، قال قيس : هذا والله الأم قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضربهم ، فقال له قيس بن مسعود : ويلك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقدرها يثبط ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله من منزل ؟ قالت : نعم أنزلوني في الرحب والسعة ، فلما نزلوا طعموا وارتملوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأناخوهما على قريتين للنمل ؛ فأما ناقة قيس بن مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فمكثت وثبتت ، حتى إذا قالوا قد اطأنت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين ، وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سبق سبقين ، هكذا جاءت الرواية .

والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ،

سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كعب بن نامة من أيدي قوم من عنزة أسروه ، فكتم نفسه ، وعرفه عبدُ الله [وأظهر] أنه لم يشتره عن معرفة ، فوهبه كلُّ ما لقي في طريقه من إبل أبيه بعُبدانها ، وكانت سوداً وحمرًا وصُهبًا ، وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك ، وأعطاه قبته بما فيها ، فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لذو جدٍّ ، قال الآخر : بل هو ذو جدَّين ، فسمى بذلك .

(٨٧) - باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي مَنْ أخذه حِفْظِي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى .

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيِّيَ بتحية الملوك «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» ملوك اليمن و«أَنعم صباحاً» يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ ، فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سَبَى السَّبْيَ من ولد قحطان . واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ مَلَكَ حتى مات هرما ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الرائش ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، فخرج من اليمن ، وغزا وجَلَبَ الأموال ، فَرَأَشَ الناسَ ، وبذلك سُمِيَ الرائش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النور ، وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقى لها بمكة ، وكان مُلْكُ الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأنشد ابن قتيبة :

وأحدُ اسمه ، يالَيْتَ أني أَعْمَرُ بَعْدَ مبعثه بعام

ثم أْبْرَهَةَ ذو المنار بن الرائش ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ، ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه

مائة وستين سنة ؛ ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، سعى بذلك لقوم سباهم مُنْكَرِي الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة ثم بلقيس إلى أن أسلمت على يدَي سليمان صلى الله عليه وسلم ، ثم ناشر بن عمرو ابن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ، ثم شمر بن أفرقيس ، وهو الذي أخرج مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخرجها ، وهو الذي يسمى شمر يرعش ؛ لارتعاش كان به ، وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ثم ابنه الأقرب بن شمر يرعش ، وكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة ، ثم تبع الأكبر بن الأقرب ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ؛ ولم يغز حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها ، ويقال : إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه :

شهدتُ على أحدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمِ
فلو مُدَّ عُمرِي إلى عُمرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له وإنَّ عَمَّ

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي تسمى بها جَوْ اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة ، ثم عبد كلال بن مَثُوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعاً وسبعين سنة ؛ ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حُجْر جدامريء القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل : مزبد ، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة ، ثم ابنه ربيعة بن مرثد ، ملك سبعاً

وثلاثين سنة ، ثم أبرهة بن الصباح ، ملك ثلاثا وسبعين سنة ، وكان يكرم معداً ويعلم أن الملك كائن في بني النضر بن كنانة ، ثم حسان بن عمرو بن تبع بن كليكرب ، ملك سبعاً وثلاثين سنة ، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شقّقه في أسارى من قومه ، ثم ذو الشناتر ، واسمه نجيلة ينوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، لكنه من أبناء المَقاول ، قتله ذو نُوَاس ، وكان غلاماً من أبناء الملوك حَسَنَ الوجه له ذؤابتان ، أراد ذو الشناتر على نفسه فوجّاهُ بخنجر كان قد أعدّه له فقتله ، ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذى الشناتر ، وذو نواس صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً ، فَخَذَ الأخدودَ لقوم من أهل نجران تنصروا على يد قَيْلٍ من آل نجفة ، وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن ، واقتحم البحر منهزماً ففرق ، وكان ملكه ثمانيا وستين سنة ، وقام بعده ذو جدن فهزمت الحبشة ، فاقتحم البحر فهلك ، وملك اليمن أبرهة الأشرم ، وهو الذى زحف إلى مكة بالقليل فهلك جيشه ، وابتلى بالأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها ، وملك بعده ابنه يكسوم فسادت سيرته باليمن ، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى ، فجيش له جيشاً عظيماً ، وقد مات يكسوم ، وولى بعده مسروق أخوه ، وهو أيضاً أخو سيف لأمه ، فقتلته الحبشة ، وسييت نساؤهم ، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خُدَامُه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك في نصابه ، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه ، بمن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، وأنا واقف عند الشبهة ، قائل في هذا بما قالت به الجماعة ، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له ، ولا يسلم إليه ؛ فلذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره ، ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ، ومنتهى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيتى إلا بالله .

ملوك الشام

ملوك الشام : كانت بالشام سليخ^(١) وهم من غسان ، ويقال : من قُضاعة وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعد مالك ابنه عمرو ؛ إلى خروج مُزَيْقيا - وهو عمرو بن عامر - من اليمن في قومه من الأزد ، وسمى مُزَيْقيا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبها ، ويسمى عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يحىء في المخل فينوب عن الغيث بالرغد والعطاء [وهو] ابن حارثة^(٢) الغطريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن مازن قاتل الجوع ، بن الأزد^(٣) ، ومعه رجل يقال له جذع بن سنان ، فمزقوا بلاد عك ، فقتل جذع ملك بلاد عك ، فافتقرت الأزد والملك فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فأنصرف عامله فخارب جرم فأجلاهم عن مكة ، واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قُصَي بن كلاب فجمع معداً - وبذلك سمي مُجَمَّعاً - واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم ، واستولى على مكة دونهم ، فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خزاعة لولاية البيت - وبذلك سميت - فصار بعض الأزد إلى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم أبا جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار قوم إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل الملك في خراج وجب عليه فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال الرومي : أدخله في كذا من أم الآخر ، فغضب جذع وفتنه فقتله ، فقيل : خذ من جذع ما أعطاك^(٤) ، وسارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو مُحَرَّق ، سمي بذلك لأنه أول من حرَّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، ويكنى أبا شمير ، ثم ابنه الحارث بن أبي شمير الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات

(١) في بعض الأصول « سليخ » بالخاء المعجمة .

(٢) في بعض الأصول « جارية » .

(٣) في الأصول « من الأزد بن الأزد » وليس بشيء .

(٤) انظر المثل رقم ١٢٤١ من مجمع الأمثال للبيداني (٢٣١/١ بتحقيقنا) .

الْقُرَظَيْنِ ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى ، وأختها هند الهنود امرأة حُجْرٍ آكل المُرَّار الكندى ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ المنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج [ثم] عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر ، وله يقول نابغة بنى ذبيان :

طَلَى لِعَمْرٍو نِعْمَةً بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَاهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابغة :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحُجْر ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً المنذر ، والأبهم أبو جَبَلَةَ ، وَجَبَلَةَ آخر ملوك غسان ، كان طوله اثنى عشر شبراً ، وهو الذى تنصَّرَ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن قهم بن عمرو بن دَوْس بن الأزْد ، مَلَكَ ملوك الحيرة

العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جَذِيمَةُ بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوَضَّاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرأ هو الساطرون صاحب الخضر ، وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : « سَبَّ عمرو عن الطَّوْقِ » ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذى يدعى محرَقاً ، ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الحوزَنَقَ ، ثم المنذر بن امرئ القيس ، وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر ، ثم أخوه عمرو بن المنذر ،

وهو عمرو بن هند ، ويسمى محرقا ؛ لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وهو آخر ملوك لَخْمٍ ، ثم ولى بعده إلياس بن قبيصة الطائي ، ثم ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ، وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم ، وأتى الله عز وجل بالإسلام فعرز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم .

٨٨ -- باب من النسبة

- الأرجية قال ابن دريد : الإبل الأَرْحَبِيَّةُ منسوبة إلى أرحب بن همدان .
 خفية أَسْدُ خَفِيَّةٌ^(١) وأَسْدُ خَفَانٌ^(٢) وهما أَجْمَتَانِ من العذيب على ليلة .
 اليزنية الرماح اليزنية : منسوبة إلى ذى يزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :
 أرين الذى استودعن سَوْدَاءَ قلبه هوى مثل شكِّ الأيزنِيِّ النَّوَاجِمِ^(٣)
 هكذا جاءت الرواية فى هذا البيت .
 الفرعونية الدروع تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :
 بكل فِرْعَوْنِيَّةٍ لَوْنُهَا مثل بصيص البغشة الغادية

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مشددة مثناة - أجمة فى سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلا ، ينسب إليها الأسود ، فيقال : أسد خفية ، وانظر ياقوت .

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون - موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا ، وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت .

(٣) وقع فى الأصول * أين الذى الأزانى النوجم * وهو تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحق ، يريدون بذلك القِدَمَ وجودة الصنعة .

الكنائن الزُّغَرِيَّة : منسوبة إلى زغر^(١) وهو موضع بالشام تعمل فيه كنائن الزغرية
حمر مذهبة .

قال أبو دؤاد يصف فرساً :

ككنانة الزُّغَرِيَّ زَيْبَنَهَا من الذهب الدلاص

السمهرى : الرمح الشديد ، يقال : اسمهر الأمر ، إذا اشتد .

الأتحمية : برود منسوبة إلى أتحم^(٢) باليمن .

القَعَضِيَّة : ضرب من الأسنان ، تنسب إلى قَعَضَب ، رجل قشيري كان يعملها ، وكذلك الشَّرْعَبِيَّة أيضا . قال الأعشى :

وَلَدُنْ مِنْ أَخْطَى فِيهَا أَسْنَةُ ذَخَائِرِ مَاسِنٍ أَبْزَى وَشَرَّعَبٍ^(٣)

والشرعية أيضاً من الثياب الحارية في قول امرئ القيس :

فَلَمَّا دَخَلْنَاهَا أَضْفَنَّا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبٍ^(٤)

قال الأصمعي : اخْتَبَرُوا بِجَاهِلِ سَيُوفِهِمْ

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام .

(٢) وقال المرتضى : « قال شيخنا : والياء في الأتحمى ليست للنسب على الأصح » هـ ١ .

(٣) في الديوان (ص ١٣٨) « فيه أسنة »

(٤) في الديوان (ص ٢٠) « فلما دخلناه » ومعنى « أضفنا » أسندنا .
والمشطاب : المخطط ، على ما فسر أبو عبيدة .

قال أبو عبيدة : ما نسبت إلى الحيرة سيف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر : .

مشدودة برحال الحيرة الجدُد^(١)

العلافية والمهالكى
قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرجال علاف ، وهو زبان بن جرم ؛ فلذلك قيل للرجال « علافية » وأول من عمل الحديد من العرب المهالك ابن مراد بن أسد بن خزيمه ؛ فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكى .

قال أبو عبيدة : أجود السهام التي صنعتها العرب في الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ، وأنشد الأعشى :

* بسهام يثرب أم سهام بلام *^(٢)

السلوقية
الشرقى
سَلُوق : قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدروع .
سيف مَشْرَفى : منسوب إلى مشرف ، وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

السريجية
والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج^(٣) رجل من بني أسد ، قال محمد ابن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكانوا قيونا .

(١) هذا عجز بيت للناطقة الدياني ، صدره * والأدم قد خيست فتلا مراققها * والأدم : البيض من النوق . وخيست : ذلت ، فتلا : بانت عن آبائها مراققها والرجال : جمع رجل ، وهو شبه السرج ، الجدد : جمع جديد .
(٢) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه فى القاموس وشرحه ، « ويلمان موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف البيلمانية الجيدة » اهـ .
(٣) فى الأصول « السريجية . . . سريج » وهو تحريف .

الدروع الحطامية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن الحطمية
لُكَيْز^(١) بن عبد القيس بن أفضى .

وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن مرثد
من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه .

الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرِّمَّاحُ ، قال الأصمعي : ليست تنبت
الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع فقيل للرماح خطية .

والمسك الدَّارِيُّ^٢ : منسوب إلى دارين ، يعني عطاراً بالبحرين ، زعم ذلك
أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة
موضعان بالشام .

عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبتين : فحول إبل النعمان بن المنذر .

عصافير النعمان : أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .
والقسي العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ .

وأنشد لابن شير :

عطف السيّات بواقعٍ في بذلها تُعزَى إذا نُسِبَتْ إلى عصفور
يعني قِسيّ البندق ، دَعَا بها على حَمَام جاره .

ويقال للقسي أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة
هو أول من عملها .

والإبل العسجدية والعبدية والعمانية : إبل ضربت فيها الوحوش .

والإبل الشذقية والجديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما فحلان

مشهوران .

الجرالأخدرية : منسوبة إلى حمار يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان لبعض
الملوك ، أظنه أزدشير بن بابك ، توحش فضرب في عانة^(٢) فنسبت أولاده إليه ، وهو

(١) في الأصول « بكير » تصحيف (٢) العانة : القطيع من الأنثى ، هنا .

أقرّة الحمر ، هكذا تزعم العرب ، والعادة أن يكون ما تنائج منه بغالا . فأما الكدّاد
فخمار معروف من الوحشية نتج . قال الفرزدق :

حمار لهم من بنات الكدّاد يدهمجُ بالوطب والمزود
أول من والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها ؛ فهي تُنسب إليه ، وقيل : بل
أنتج البغال أنتجها قبله أفريدون .

(٨٩) — باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما أذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه ، جرياً
على العادة في التبرك باسمه : فمنها « السكّب » وهو فرسه يوم أحد ، حكاه ابن
قتيبة ، ومنها « المرتجى » وكان له فرس يقال « اللزاز » وفرس يقال له « الضرب »
وفرس يقال له « اللجيف » وفرس يقال له « الورد » وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال
له « سحّة » وكانت بغلته يقال لها « دلدل » وكان حماره يقال له « يعفور »
وكانت ركائبه « القُصوى » و « الجداء » و « العُضباء » .

وهذه خيل العرب : قال ابن قتيبة عن أبي عبيدة : الغراب والوجيه ولاحق
ومذهب ومكتوم كانت كلها لغنى .

وقال أحمد بن سعد السكّاب : كان أعوج أولاً لسكنده ، ثم أخذته سليم ،
ثم صار لبني عامر ، ثم لبني هلال ، قال ابن حبيب : رُكِبَ رطباً فاعوجت قوائمه
وكان من أجود خيل العرب ، وأمه سبل كانت لغنى ، وأم سبل البشامة ، كانت
لجمدة ، ولهم أيضا الفياض .

قال ابن سعد : والوجيه ولاحق لبني سعد ، قيل : وحلاب لبني تغلب ،
والصريح لبني نهشل ، وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، وجلوى لبني ثعلب
ابن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو داحس ، وكان داحس

والغبراء لبني زهير ، وهى خالة داحس ، وأخته من أميه ذى العقال ، [و] قرزل
والخطار والحنفاء لحذيفة بن بدر ، وهى أخت داحس من أبيه وأمه ، [و] قرزل
آخر للطفيل بن مالك ، [و] حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضا لصخر
بن عمرو [بن] الشريد ، [و] الشقراء لزهير بن جذيمة العيسى ، والزعفران لبسطام
ابن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الحمار لمالك بن نويرة ، والشقراء أخرى لأسيد
ابن حنادة السليطي ، والشيطلأثيف بن جبلة الضبي ، والوجيف لعامر بن الطفيل
والسكلب والمزنوق والوردلة أيضا ، والخنثى فرس لعمر بن عمرو بن عدس ، [و] الهداج
فرس الريب بن شريق السعدى ، وجزة فرس يزيد بن سنان المري فارس غطفان ،
والنعامة للحارث بن عباد ، وابن النعامة لعنترة ، والنحام فرس السليك بن السليكة
السعدى ، والمصا فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، والمراوة لعبد القيس بن
أفصى ، واليحموم فرس النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زبد الخليل ، والربد فرس
الحوفزان ، وأبو الزعفران فرس بسطام ، والعرادة^(١) فرس الكَلْحَبَةِ اليربوعي ،
انتهى كلام أحمد بن سعد

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للعرب ، وكذلك البطين والاعاب
والعباءة فرس حرّى بن ضمّرة النهشلي ، والمدعاس فرس النّوَّاس بن عامر
المجاشعي ، وصهباء فرس المر بن تَوَّاب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب بن
ضرار في قوله :

كملت عبادة السراة نمي بها — إلى نسب الخيل الصريح وحافل
والعسجدى لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى ، والضيف
لبني تغلب ، وهراوة الغراب فرس الريّان بن حويص العنبري ، يقال : إنها جاءت
سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على الغراب يتكسبون عليها في السباق
والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلي

(١) في الأصول « والجمالة » وانظر (أنساب الخيل ٤٧) .

والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الحرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخيل أيضا ، قال الشمر دل .

لأفحل ثلاثة سمينا مناها والضيف والحرونا

والعلمان : فرس أوى ملك عبد الله بن الحارث اليربوعي .

ومن أقدم الخيل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد كانوا أصهاره .

وكان إسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها ، وكانت قبل من سائر الوحوش .

(٩٠) — باب من المعاني المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جنى : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فمضروا الأمصار ، وحضروا الحواضر ، وتأفقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب أنواع الشعر ، وأبعدها متعاطى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الإنسان ما رأى يكون لا شك أضوب من صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ، ومن هنا يحكى عن ابن الرومي أن لا تمسأ لأمه فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :

بمن يصح
الاستشهاد
وسره

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلت حمله من عنبر
فقال : زدني ، فأنشده :

كأن آذريونها . والشمس فيه كالليه

مَدَاهِنَ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةً

فصاح : واغوثنا ، يا الله ، لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته ؛ لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أى شئ أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم منى ؟ هل قال أحد قط أملك من قولى فى قوس الغمام :

صفة قوس
قزح لابن
الرومى

وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفًا

على الأرض دُكْنَا وهى خُضِرَتْ على الأرض
يطرُّزُها قوسُ الغمام بأصفر على أحمرٍ فى أخضرٍ وَسَطَ مُبْيَضٍّ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فى غَلَّائِلِ مُصَبَّغَةٍ والبعض أقصرُ من بعض
وقولى فى قصيدة فى صفة الرقاقة :

وصف الرقاقة
وخبازها له

ما أنس لا أنس خَبَازًا مررت به يَدْحُو الرقاقة وَشَكَ المَلَحَ بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفة كُرَّةٍ وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلا بمقدار ما تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فى صفحة الماء يُرْمَى فيه بالحجر

وهذا كلام إن صح عن ابن الرومى فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛ لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده فى ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة للإجادة وعذر — فقد رآه ابن الرومى هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندى تحت هذا ، وفى شعره أيضاً من مליح التشبيه مادونه النهايات التى لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز .

ولم أدلّ بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعانى جملة ، ولا أنها

أفسدتها ، لكن دلت على أنها قليلة في أشعارها ، تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أشعار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للمتأخرين ، وإن قال قائل : ما بالكم معشر المتأخرين كلما تملأ بكم الزمان قلّت في أيديكم المعاني ، وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فما قلّت غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رَمَقُهُ معلقاً بالقدرة ، ما يسكه إلا الذي يسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

تكثر المعاني كلما
تقدم العصر

وإذا تأملت هذا تبين لك مافى أشعار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم مافى أشعار طبقة جرير والفرزدق ولأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة والقلّة المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبداً تتردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يميتته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [مَنْ] لا ينتهي في الشعر ، بل لا يحشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ، ووجه له وجهة حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرّهم لم يتركها عن قُدرة ، ولكن الإنسان مبنى على النقصان .

منزلة ابن
الرومي في
توليد المعاني

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لأعدوها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنني ذممت إلى المحدثين أنفسهم في أما كن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعيت لهم أشعارهم ، ليس هذا جهلاً بالحق ، ولا ميلاً إلى بنيات الطرق ، لكن غصاً من الجاهل المتعاطي ، والمتحامل الجافي ، الذي إذا أعطى حقه تعاطى فوقه ، وادّعى على الناس الحسد ،

وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ؟ وأى علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً ؟ فإذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو مُتَّهم ، أو طوبى بحجة في لحن أو شاذ ، أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب مُصَحَّفة أو نادرة ، قال : هكذا أعرف ، وكأننا أعطى جوامع الكلم ، حاشَ الله ! وأستغفر الله ، بل هو العمى الأكبر ، والموت الأصغر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضلة عنه ، فهو كما قال حمادُ عَجْرَدٍ في يونس بن فروة :

أما ابنُ فروةَ يُونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائم

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم قُتتَ أهلُ عمرك وسبقتَ
أبناءَ عمرك : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنى لم أقبل
كل ما تورده على قريحتي ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكبرى ، ونظرت
إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها
بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبْرَهَا ، وانتقيت حُرَّهَا ، وكشفت عن
حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادى الإعجاب بشيء
مما آتى به .

وكم في بلدنا هذا من الحفّاث قد صاروا ثعابين ، ومن البغاث قد صاروا
شواهين ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعرَفوا بعد اليوم بتخليد
ذكرهم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جُملة من يعد خطله ، ويحصى زلله ؛
لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيحه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدللك
على مرتبته من هذه الصناعة التي ادَّعَوْهَا باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا ، وقد بلغنى
أن بعض مَنْ لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أنى أخذت عنه

بشار يبين
سبب تفوقه

مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها ، والامتحان يقطع الدعوى ، كما قال بعض الشعراء :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحَّ الإمتحانُ ما يدعيه
وكنْتَ غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه أنفاً من
ذكره ، وعزُوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مُساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه
هجزاً وتقصيراً ، كما قال أبو تمام :

ترَكُ اللّثيمَ ولم يُمزّقْ عرضه نقصَ على الرجل الكريم وعارُ
وكما قال أبو الطيب ، وقد استحق المعنى عليه :

إذا أتتِ الإساءة من وضعٍ ولم أَلْمِ المَسِيءَ فمن أُلومُ ؟
ثم أعود إلى التّسطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من جس تشبيه النعامة
للطرماح^(١) ، وصفة الثور الوحشى له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعامة إذا أمرط
للشماخ ، ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لُغَامِ الناقة تحت لحبيها في شعر الحطيئة ؛
وتشبيه الذباب بالأجذم ، ولحي الغراب بالجلَم لعنقرة ، وأشباه هذا مما انفردت به
الأعراب والبادية كعاداتها ، كافترادها بصفات النيران ، والفَلَوَاتِ الموحشة ،
وورود مياها الآجنة ، وتَعَشُّفِ طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً ؛
إذ كان المحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس —
وهو مُقَدِّم في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده
قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزة
وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبهه بشتامة وجه
الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زبيد وغيره لغوور عينيه مما هو أعلم به
من أخذ عليه ، وأكثر ظنى — والله أعلم — أن أبا نواس إنما رَجَعَ بالصفة

(١) انظر التشبيهات العقم التي أوردتها المؤلف في الباب الأربعين (ج ١ ص ٢٩٦ من هذا الكتاب) .

إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب .

وكذلك لما تعاطى الأعرابي أبو نُخَيْلَةَ^(١) ما لا يعرف قال :

* ولم تَذُقْ من البُقُولِ الفُسْتُقَا *

فجعله بقلا^(٢) على ما في نفسه من لعاع البقل .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ، ولكنني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى ها هنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفتقر إلى سماعه من المبتدئين .

ما جاء في
طول الليل

قال النابغة يذكر طول ليله :

كليني لهمَّ يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمقضى وليس الذي يرعى النجوم بأيّ

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب ورُدُّوا رقادي فهو لحظ الحباب

فإن نهاري ليلة مدلهمة على مقلة من قدكم في غياهب

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يتي النابغة عندهم في

غاية الجودة .

(١) في أكثر الأصول « أبو جبلة » وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله :

* جارية لم تأكل المرققا * (٢) ويجعله بعضهم « ولم تذق من النقول » جمع نقل ، بالنون .

(١٦ - العمدة ٢)

ما جاء في
خلق الشعر

وقال يزيد بن الطثيرة حين خلق أخوه ثور جُمته :
فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره
وقال بعض المتأخرين ، وأحسبه الزيادي ، في غلام خلقت وفترته :
خلقوا رأسه ليكسوه قُبْحاً غيره منهم عليه وشُحاً
كان صُبْحاً عليه ليلٌ بهيمٌ فَمَحَوْا ليله وأبقوه صُبْحاً
وقال رؤبة بن العجاج :

أمت شمواني كالصفاة صفصفاً فصار رأسي جنبه إلى القفا
فقال ابن الرومي وأحسن ما شاء :

يجذب من نقرته طرة إلى مدى يقصر عن نيله
فوجه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله

ولو تتبعت هذا لأطلت في غير موضع الإطالة .

فأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذنُ تعشق قبل العين أحياناً
قالوا: بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم :
الأذنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا
وكرره فقال :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي وأمسى به من حبها أثرُ :
أني ولم ترها تهذي؟ فقلت لهم :
إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر
وقوله أيضاً :

وكيف تناسي من كان حديثه بأذني- وإن غيت- قرط معلق
واختراعاته كثيرة ، واشتهاره بذلك يغني عن الإنشاد له .
وكقول أبي نواس ، وقد ذكر البرد أنه لم يسبق إليه ، وهو :

مما انفرد
به بشار

عما انفرد به
أبو ندياس

أيها الرأحانُ ثَالُومُ كُومًا لَا أَذُوقُ الْمَنَامَ إِلَّا شَمِيمًا
نَالِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامُ لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا
فَاصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا
كُبْرُ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ أَنْ أَرَاهَا أَوْ أَنْ أَشْمَ النَّسِيمًا
فَكَأَنِّي وَمَا أَزِينُ مِنْهَا قَعْدِي يُزِينُ التَّحْكِيمًا
كُلُّ عَنْ حِمْلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ بِفَاوَصِي الْمَطِيقِ أَنْ لَا يَقِيمَا

« القمعية » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به ، وتقمع عنه .
وقوله أيضاً :

بَنِينَ عَلَى كَسْرِي سَمَاءَ مَدَامَةً مَكَلَّةَ حَافَاتِهَا بَنَجًا — مِومَ
فَلَوْرُدُّ فِي كَسْرِي بَنِ سَاسَانِ رَوْحُهُ إِذَا لَا صُطْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمِ
وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله .
وكذلك قوله :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَاسِ مُعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفًا :
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نَعْمًا أَوْهَتْ قَوِي شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
فَالَيْكَ مِنِّي الْيَوْمَ تَقْدِيمَةٌ تَلْقَاكَ بِالتَّصْرِيحِ مِنْكَ شُفَا
لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
وقال أيضاً في صفة النساء المحاربات ، ويروى لابن المعتز :

وَتَحْتَ زَنَانِيرٍ شَدَدَنْ عَقُودَهَا زَنَانِيرُ أَعْكَانٍ مَعَاقِدَهَا السَّرَرُ
فهذا تشبيه ما علمت أنه سبق إليه .
وقال أيضاً :

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَلَّى ؟
لَوْ تَفَرَّغْتُ لَأَسْتَطَالَةَ لَيْلِي وَلَوْ رَغِي النُّجُومُ كُنْتُ نَحْلًا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .

وأكثر المولدين معاني وتوليدا - فيما ذكره العلماء - أبو تمام ، غير أن القاسم بن مهرويه^(١) قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلثه : أحدها قوله : ما ائقرد به
أبو تمام

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويته أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

والثاني قوله :

بني مالك، قد نبهت حامل الثرى قبوركم لكم مستشرقات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها عسلا لا يرتقى بالسلام

والثالث قوله :

يأبى على التصريد إلا نائلاً إن لم يكن محضاً قرأحاً يمدق
نزرأ كما استكرهت عار نفحة من فارق المسك التي لم تفتق

وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه . . ولا بد هاهنا من نبذ يسيرة أشغل بها الموضع : منها قوله :

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك منهم حثف مرسل
ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو مني مقتل
وقوله في عتاب :

توددت حتى لم أدع متوددا وأفيت أقلامي عتاباً مردداً
كأنى أستدعى بك ابن حنية إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا
وقوله في أبيات يتغزل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى :

نظرت فأقصدت الفؤاد بلحظها ثم ائنت عنه فظل يهيم
فالموت إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهم - ن أليم

(١) انظر الموازنة للأمدى (ص ١١٤ بتحقيقنا) وفي الأبيات بعض اختلاف

لا يغير المعنى .

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه :

وما يسترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تنبخر
وغير عجيب طيب أنفاس روضة منورة باتت تراح وتمطر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب ، وأنفاس الورى تتغير

(٩١) - باب في أغاليط الشعراء والرواة^(١)

ولابد أن يؤتى على الشاعر المفلق ، والعالم المتقن ؛ لما بنى عليه الإنسان من
النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتأدى
على الباطل كجاجة وأنفة من الخطأ ؛ فإب نماديه زيادة في الخطأ الذى
أنف منه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الأمدى ، عن على
ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاهى مسلم بن الوليد
وأبو نواس ، فقال [مسلم] : ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط ، فقال أبو نواس :
اذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد
أبو نواس :

ذكر الصَّبوحَ بسحرة فارتاحا وأمله ديكُ الصباح صياحا
فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديكُ الصباح ، وهو يبشره بالصبح ،
وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده :

عاصى الشَّبَابَ فراحَ غيرَ مُقَنَّدٍ وأقامَ بينَ عزيمةٍ وتَجَلُّدٍ
فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والرواح لا يكون إلا بالانتقال
من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجعلته منتقلاً مقبلاً في حال ، هذا متناقض .

(١) ألف المرزبانى كتابه « الموشح » فى مأخذ العلماء على الشعراء ، وألف
العسكرى كتاب التصحيف والتحريف ، فيما ورد فى عبارات الرواة ورواياتهم
من التحريف .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجا لم يفته .

قال الأصمعي : وأخطأ زهير في قوله « كأحمر عاد^(١) » ولا أدري لم خطأه **مأخذ الأصمعي**
على زهير ورده
وقد سمع قول الله عز وجل * (وأنه أهلك عاداً الأولى) * فهل قال هذا
إلا وثم عاد أخرى ؟ وهي هلكت بالنمل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد
ابن عباد : **مأخذ الأصمعي**

* سراويل عادى نمتة ثمود *

وكان يقال لثمود « عاد الصغرى » .

وخطأ الشماخ [في قوله] في وصف ناقته :

* رَحَى حَزْزُومَهَا كَرَحَى الطَّحِينِ^(٢) *

مأخذ
على الشماخ

ظنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير .

وأخذ ابن بشر الأمدى على البحترى قوله :

مأخذ الأمدى
على البحترى

(١) هذه قطعة من بيت لزهير يقع في معلقته ، وهو بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم
وعحصل اعتراض الأصمعي أن قوله « كأحمر عاد » فيه نسبة قدار عاقر ناقة ثمود إلى
عاد ، وهو مالا يصادقه عليه العارفون بالأنساب والتاريخ ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض
بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعاتان ، وأنه يقال لثمود « عاد الأخرى »
بدليل الآية ، وأنصار الأصمعي لا يقرون هذا الجواب ويزعمون أن « الأولى »
في قوله تعالى (عادا الأولى) معناه السابقة التي كانت قبل ثمود ، وليس يدل على أن
هناك عادين . وحصل هذا أن الوصف أتى به للايضاح لا للاحتراز .

(٢) صدره * فنعم المرتجى ركدت إليه * والمرتجى : الذي يرجى لنوائب
الدهر . وركدت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كر كرتها ، شبهها
بالرحى في الصلابة ، لافي العظم ؛ لأنه مما يعاب في الإبل ، وسيدكر لك المؤلف ذلك

هَجَرْتَنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبِيهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَشَنَى
قال : هذا غلط^(١) ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقظى كانت
أَوْ وَشَنَى أو ميتة ، والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها^(٢) عليه لا تراه في المنام إلا
مهجوراً ، ولا تراه جملة ، فالمعنى حينئذ صحيح لافساد فيه ، ولا غلط ، ولعل
الرواية « وكادت^(٣) » وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون « فلان
لا يرى لي مناماً صالحاً » وليس بين بيتي البحتري تناسب من جهة المعنى جملة
واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بلى إن في اللفظ
اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله :
مها الوحش إلا أن هاتنا أو انس قَنَا انْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
قال : فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للرماح
« ذوابل » للينها وتثنيها ، فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكل
أوصافها اللين والتثني والانعطاف .

قلت أنا : أما أبو تمام فقوله الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمح ذابل » إذا
كان شديد السكوب صلباً ، وهو الذي تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبلت
شفته » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوها ، فأما كلام المعترض فغير
معروف إلا عند المولدين ؛ فإنهم يقولون « نورة ذابلة » وليسوا بقدوة ؛ على
أن كلامهم راجع إلى ما قلناه ، إنما ذلك لقلة المائة وابتداء اليبس ، وإنما
نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدي^(٤) .

(١) انظر كتاب الموازنة للآمدي (ص ٣١٤ من الطبعة الثانية بتحقيقنا) .

(٢) كذا ، ولعله « ونحوها عليه » (٣) هي كذلك في جميع نسخ ديوانه

(٤) انظر الموازنة ١٣٠ .

قال الأصمعي^(١) : قرأتُ على أبي محرز خلف بن حيان الأحرش شعراً جريراً ،
فلما بلغت إلى قوله :
جرير
ورده

وليل كاهبهم الحبارى محبب إلى هواه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغرير ولم نسكن كن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوماً خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت : هكذا قرأته على
أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح
لألفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقترنك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون
قال : الأجود أن يكون « خير دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة
قديماً تصلح أشعار الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه إلا كذا .

قلت أنا : أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك
أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال ، ثم فارق حبيبته نهراً ، وذلك هو الشر
الذي ذكر ، والرواية جملة لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية
* ويوم كاهبهم الحبارى * فحينئذ .. على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل
معنى قبل ؛ فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الأضداد ،
ولكن في غير هذا الموضع .

مأخذ على بشامة
ابن الغدير
وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته :
وصدّر لها مهيم كالجليف تخال بأن عليه شليلا
لأن من صفة النجائب قلة الوبر .

مأخذ على كعب
ابن زهير
وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته :
* فَعَمَّ مُمَيِّدُهَا ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا *

لأن النجائب دقيقات المذايح .

(١) انظر الوشع للمرزباني ١٢٥ .

ونبه أبو الفضل بن العميد على البحترى في بيت كسره ، وهو قوله :
ولماذا تتبّع النفسُ شيئاً جعل الله الفردوس منه جزاء
قال ننشده :

* جعل الله الخلد منه جزاء *

ليستقيم ، حكى ذلك صاحب بن عباد . . وأنشده أيضاً :
أبا غالب بالجود تذكر واجبي إذا ما غنى الباخلين نسيه
وزعم أنه لحن ، ولست أرى به بأساً ، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه
بناء القافية ، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما
قبلها ، لا سيما وهي طَرَفٌ ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة . . وقال
رؤبة :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقُ *

ولم يقل أَيْدِيَهُنَّ بالضم استثقلاً ، وإيضاً - كما أنه - أعني البحترى - نوى
الوقوف ، ثم جر القافية كما دأبوا في تحريك الساكن أبداً إلى الجر
وأنشد صاحب بن عباد قال : أنشدني علي بن المنجم ، قال : أنشدني أبو
الغوث لأبيه :

وأحقُّ الأيام بالأنس أن يؤثرفيه يوم المهرجان الكبير
وأنا أقول : إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية ، فويل
للآباء من أبناء السوء ، ودع المثل القديم ، ولا أظن البحترى قال إلا :
وأحقُّ الأيام بالأنس أن تؤثرفيه يوم المهرجان الكبير
وأخذ الأحمر على المفضل روايته في قول اسرى القيس :
* نَمَسُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا *

مأخذ على
البحترى

مأخذ على
المفضل في
رواياته

وما هو إلا « نمش » أى : نمشح ، والمشوش المنديل .

وكذلك قول الفضل :

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فناء شجونها^(١) سَجَمُ

وإنما هو « طرقت » بالفاء .

وأخذ عليه الأصمى فى قول أوس :

* تصمت بالماء تَوَلَّبا جَدَعَا *^(٢)

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولأمر ما قال ذو الرمة لموسى بن عمرو : اكتب شعري ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابي ينسى الكلمة قد تعب فى طلبها ليلة ، فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ، ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال :

أبني غُدَّانَه إِنِّي حَرَزْتُكُمْ موهبتكم لِعَطِيَّةَ بن جَعَال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين الأيم أَوْجُهٍ وسبال

كيف يكون وهب له وهو يهجوم هذا الهجاء ؟ فأنبرى له فتى من بنى تميم فقال : وأنت الذى قلت فى سويد بن منجوف^(٣) :

فما جِدَعُ سوء خرق السوس بَطْنَه لما حملته وائلٌ بمطيق
أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقَدَّرُ سويد لا يبلغ ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلى ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت :

وَسَوَدَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّبْرَانِ نَارُ

(١) أحسبه * ... فناء شؤونها ... *

(٢) صدره * ودات هدم عار نواشرها * وقد عاب قوم طى أوس هذا

البيت ؛ لأنه سمي الصبي « تولبا » وإنما هو ولد الحمار .

(٣) انظر الموشح للمرزياني ١٣٣ وما بعدها .

مأخذ على
الفرزدق، وعلى
الأخطل

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته مالا يضر منعه ؛ وأردت أن تمدح سماكا الأسدى ققلت :

نعم المجيرُ سماكٌ من بني أسد بالطف إذ قتلت جيرانها مضرُ
قد كنتُ أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طسير عن أثوابه الشرر^(١)
فانصرف الأخطل خجلا .

قال الحسن لمعلّى بن زيد : رأيت قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مدح من هجى قومه .

معذرة عن
النايفة

وقال من اعتذر للنايفة في قوله :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلدكم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .
وكذلك اعترفوا زهير [في قوله] يصف الضفادع^(٢) :

معذرة عن
زهير

يخرجن من شربات ماؤها طحيلٌ على الجدوع يحفن الغمر والغرقا
فقال : لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :
(وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال : (وبلغت القلوب الحناجر)
والقول فيهما محمول على « كاد » هكذا ذكر الخدائق من المفسرين ، مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من المهلكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، وإنما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للعلاجيم فوقه مجالسُ غرقى لا يُحَلَّ ناهله

(١) في الأصول « فأنبؤه » (٢) انظر الموازنة ص ٣٥ .

مأخذ على
أبي نواس

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله :
رأيتُ كلَّ من كان أحقَّ معتوهاً في ذا الزمان صار المقدم الوجيها
ياربَّ نذلٍ وضيع نوهته تنوحيها هجوته لَكِما أزيدَه تشويها
ولم يقل أبو نواس - فيما علمتُ - إلا « رب وضيع نذل » وهذا أفرط
في التعصب والحمية على أبي نواس وغيره لمن لا يُجْزَى في حَلْبَتهم ولا يُشَقَّ
غبارهم .

(٩٢) — باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنواعها ؛ لأنها سقف
بيوتهم ، وسبب معاشهم وانتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأنجم
العرل والراححة .. وقال امرؤ القيس .

* إذا ما الثَّريَّا في السماء تعرَّضَتْ *^(١)

فأتى بتعرض الجوزاء ، ورأيت كل من عُني بالنجوم من المحدثين واستوفى
جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ،
والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسب
قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه :

قد طالَ حتى خلتهُ من كل ناحِيةٍ وسَطُ
وتكررت فيه المنا زلٌ مِنْهُ لا مِنِّي الغلط

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنواعها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت
في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما
استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

(١) عجزه * تعرض أثناء الوشاح الفصل * وهو بيت من معلقته .

السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً ، زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته ؛ لأنها تستر ثلاثين درجة : خمسة عشر من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي .

وإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة ويغرب رقبه فذلك النوء وإذا اتفق لكل منزلة إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من « ناء ينوء » إذا نهَضَ متثاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغارب ؛ لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى : (ما إنَّ مفاجئهُ لتنوء بالعصبة أولى القوة) أى : تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب ، قال : وبعضهم يجعله للطالع ، وهذا هو مذهب المنجمين ؛ لأن الطالع له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب ، لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ، ويغرب في المغرب ، كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

الربع الأول من السنة ، وابتدأه من سبعة عشر يوماً من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار منه ، ويطلع مع الغداة فرع الدلو الأسفل ، وهو المؤخر ، ويسقط العواء ، وإليها ينسب النوء ، وهي تمد وتنقصر ، وصفتها خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب إلى اليسار ، وبذلك سميت ، وتقول العرب : عويت الشيء ، إذا عطفته ، وقال آخرون : بل هي كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد ، قال ابن دريد : هي دبر الأسد ، والعواء في كلامهم الدبر .

أجزاء السنة وما يتبعها

النوء

الربع الأول من السنة الربيع

العواء

نوء السماك

النوء الثاني : السَّمَاك ، وهما سما كان : أحدهما السماك الأعزل ، نجم وفاد، شبهوه بالأعزل من الرجال ، وهو الذى لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهوه بالرمح ، وهما ساقا الأسد ، وسعى سماكا لعلوه ، ولا يقال لغيره إذا علا سماك ، هكذا قال سيبويه ، ما حكى الزجاجى عن أبى إسحاق الزجاج ، غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سُمى أعزل لأن القمر لا ينزل به .
وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم .

الغفر

النوء الثالث : الغفر ، وهو ثلاثة كواكب غير زُهرٍ ، وبذلك سميت ، من قولك : غَفَرْتُ الشيء ، إذا غَطَّيْتَهُ ، ومنه سميت الغفارة التى تلبس ، وقيل : إنما سُمى غفراً من الغفرة ، وهى الشعر الذى فى طَرْفِ ذَنَبِ الأسد ، وقال أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو فى الریش ، وقال قوم : هو من النكس فى المرض ، يقال : أغفر المريض ، إذا نكس ، كأن النكس غطاء العافية .

الزبانان

النوء الرابع : الزبانان ، كوكبان مفترقان ، وهما قَرْنَا العقرب ، وقيل : يداها ، وسميا زبانين لبعده كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زَبَنْتُ كذا ، إذا دفعته لتبعده عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزَّبَانِيَةِ ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

الإكليل

النوء الخامس : الإكليل ، ثلاثة كواكب على رأس العقرب ، وبذلك سميت إكليلا .

القلب

النوء السادس : القلب ، كوكب أحمر وفاد : جملوه للعقرب قلباً ، على معنى التشبيه .

الشولة

النوء السابع : الشولة ، كوكبان أحدهما أخى من الآخر ، وهما ذَنَبَا العقرب ،

وذنب العقرب شائل أبداً ، فشبه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الربع الثاني : الصيف ، أول أنوائه « النعائم » وهي ثمانية كواكب نيرة : أربعة منها في المجرة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالخشببات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء .

الربع الثاني
من السنة
الصيف

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بجوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين الحاجبين ، إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه : رجل أبْلَدُ ، ويقال : بل شبهت بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والإبهام .

الثالث منه « سعد الذابح » وهما نجمان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح ، والآخر هابط في الجنوب .

سعد الذابح

الرابع منه « سعد بُلْع » وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة ، شبها بضم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، و بُلْع غير مصروف ؛ لأنه معدول من بالع ، مثل زُفَرٍ وَقَمٍ ، وسعدٌ مضاف إليه .

سعد بلع

الخامس منه « سعد السعود » وهما كوكبان : أحدهما أنور من الآخر ، سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات .

سعد السعود

السادس منه « سعد الأخبية » وهما كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الخباء ؛ لأنها على صورة الخباء ، وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان مختبئاً .

سعد الأخبية

السابع : فرع الدلو الأعلى ، وهو المقدم ، وبعضهم يسميه المرقوة العليا تشبيهاً بفرع الدلو الأعلى

بهرقوة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأنى فيه الأمطار العظيمة ، ويقال : بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء .

ربيع السنة الثالث الحريف
الربع الثالث : الحريف ، أول أنوائه « فرع الدلو الأسفل » وصورته كوكبان مضئان بينهما بعد صالح يتتبعان العرقوة العليا .

الحوت ثم الحوت ، وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة .

الشرطان ثم الشرطان ، وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن مقطوعهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

البطين ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طمس خفيا ، وهو بطن الحمل ، إلا أنه قد صغر .

الثريا ثم الثريا ، وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعا ، سميت بهذا لأن مظهرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى ، وهى تصغير ثروتى ، ولم ينطق بها إلا مصغرة .

الدبران ثم الدبران ، كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أى : جاء خلفها ، ويقال له أيضا « الراعى » و « التالى » و « التابع » و « الحادى » على النشيه .

الهقمة ثم الهقمة ، سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنحمر صغار متقاربة كآثار رموس أصابع ثلاث في ترى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام ، وهى رأس الجوزاء .

الرابع: الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنوائه « الهنعة » سميت بذلك الربيع الرابع لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه ، من قولك : الشتاء هنع ، إذا عطف بعضه على بعض ، واقتراهما في الهجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة .

ثم الذراعان ، وهى ذراع الأسد المبسوطة والمقبوضة : كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار .

ثم النثرة ، وهى لطخة لطيفة بين كوكبين ، وهى عندهم ما بين فم الأسد وأنفه ، ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترّة الأنف ، وقيل : إنما سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت .

ثم الطرف ، عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى الطرف) عينا الأسد مرأى العين .

ثم الجبهة ، أربعة كواكب معوجة ، فى الياضى منها بريق ، وهى جبهة الأسد عندهم .

ثم الزبرة ، نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان » الزبرة كأنهما نفذّا إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجى .

ثم الصرفة ، كوكب وقاد عنده كواكب طمس ، سمي بذلك لانصراف الصرفة البرد لسقوطه .

فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ، وحظهما فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الأخذ ، كأن الأرض تأخذ عنها بركات المطر ، وقيل : لأخذ الشمس والقمر ستمتهما فى سيرها .

(٩٣) — باب في معرفة الأماكن والبلدان

حد الحجاز قال أبو عبيدة : الحِجَاز هو ما بين الجُحْفَةِ وجبل طي^١ ، وإنما سمي حجازاً لأنه حَجَزَ ما بين نجد والغور ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : إذا خلفت حِجْراً مُضْعِداً فقد أنجذت ، فلا تزال مُنْجِداً حتى تنحدر من ثنأيا ذات عِرْقٍ ، فإذا فعلت فقد أُنْهَمْتَ إلى البحر ، فإذا عرضت لك الحِرَارُ وأنت مُنْجِد فتلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّبْتَ من ثنأيا العَرَج واستقبلت المَرْنَح والأراك فقد أُنْهَمْتَ ، وسمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن نَحْلَة وظهر جدة ، والحد الثاني مما يلي الشام شَغْبِي^(١) وبدَا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [و] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل .

الجزيرة وأما الجزيرة فإنها ما بين دِجْلَة والفُرَات والموصل ، والسوادان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية.

جزيرة العرب وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حَفِيرِ أَبِي مُوسَى إلى أَقْصَى الْيَمِينِ ، وفي العَرْضِ ما بين يَبْرِينَ إلى السماوة .

وقال الأصمعي : هي ما بين بَجْرَانِ والعُدَيْبِ ، حكاه ابن قتيبة عن الرياشي ،

(١) في الأصول « شعب » بالعين المهملة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا » يقول كثير :

وأنت التي حببت شغبى إلى بدا إلى ، وأوطاني بلاد سواها

قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام .

العراق

وقيل : سمي العراق تشبيهاً بعراق المزادة ، وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عِرْق ؛ لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالفارسية « إيران شهر » أي : أسفل الأرض ، فمررت .

الشام واليمن

وأما الشام واليمن فن اليد اليمنى واليد الشؤمى ، وهى الشمال ؛ لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهى النكتة تكون فى الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك فى الأرض .

قال ذو الرمة :

وإن لم تكونى غيرَ شامٍ بفقرةٍ تجرُّ بها الأذيال صيفية كدرٍ

(٩٤) — باب من الزجر والعيافة

الفرق بين
القال والطيرة

وعنهما يكون القال والطيرة ، وبين الطيرة والقال فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن القال تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ، وإطماع فى النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة ، وتذنى العزيمة ، وفى ذلك ما يعطل الإحالة على المقادير .

الرسول يحب
القال ويكره
الطيرة

وقد تفاءل النبى صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة » ، ولا هامة ، ولا صفرة وقد تقدم ذكرها ، وقيل فى الهامة : إنها هذه المعروفة .

والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذى يرى ما يكره اشتقاق الطيرة

أو يسمع يطير ، كما قال بعضهم :

عَوَى الذئبُ فاستأنستُ للذئبِ إذ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أُطِيرُ

وإما من الطير ، وهو الأصل والمختار من الوجهين ، هكذا ذكر الزجاجي .
وكانت العرب تزجر الطير والوحش ؛ فمن قال بالقول الأول احتج بأن
الوحش يُطَيَّرُ بها ، وزجرت مع الطير ، ومن قال بالقول الثاني قال : إنما كان
الأصل في الطير ، ثم صار في الوحش ، وقد يجوز أن يغلب أحد الشئخين على الآخر
فيذكر دونه ويرادان جميعاً .

الزجر عند
العرب

أنشد الجاحظ :

ما يعيفُ اليومَ في الطير الدوح من غُرَابِ البَيْنِ أوتيسِ بَرَح

قال : فجعل التيس من الطير ؛ إذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في
معنى التطير ، والعرب تتطير بأشياء كثيرة : منها العطاس ^(١) ، وسبب تطيرهم
منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها ، والغراب أعظم ما يتطرون به ، والقول
فيه أكثر من أن يُطلب عليه شاهد ، ويسمونه حاتمًا ؛ لأنه يحتم عندهم
بالفراق ، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك ؛ إذ كان أصح الطير
بصرًا ، ويقال : سمى أعور لقولهم : « عَوَّزْتُ الرجلَ عن حاجته » إذا

(١) وفيه يقول امرؤ القيس :

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد، منبع الجيب ، نعم المطلق

أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لئلا يسمع عطاسا فيتشام به ؛ وكانوا
إذا عطس من يحبونه قالوا له : « عمرا وشبابا » وإذا عطس من يبعضونه قالوا له
« وريا وقحابا » والورى - بفتح فسكون - داء يصيب السكند فيفسدها ؛ وكان
الرجل منهم إذا عطس قال : « كلابي » وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد .

رددته عنها ، وقد اعتذر أبو الشَّيْصِ للغراب وتَطَيَّرَ بالإبل — وإن كان غيره سبقه إلى المعنى — فقال :

الناسُ يَلْحَوْنَ غِرا بَالبينِ لما جهلوا
وما على ظهـر غِرا بَالبينِ تَطَوَّى الرُّحْلُ
ولا إذا صاحَ غِرا بَ في الديار احتملوا
ما فرَّقَ الأحبابَ بعد الله إلا الإبلُ
وما غِرابُ البينِ إلا لَأ ناقةٌ أو جَملُ

هكذا رويته ، وبعضهم يجعل الشعر * ما قرب الأحباب * وبعده * والناس يلحون . . * بواو مكان الهمزة يعطف بها

وقال آخر فليح وظرف :

زعموا بأنَّ مَطِيئَهُمْ عَوْنُ النوى والمؤذناتُ بِفِرْقَةِ الأحباب
لو أنها حَتَفِي لما أبغضتها ولها بهم سَبَبٌ من الأسباب

ويتطهرون بالصَّرد ، ومن أسمائه الأَخِيل ، والأَخْطَب ، ويقال : الأَخِيل بما يتطهرون به الشقراق ، ويقال : بل طائر يشبهه ، والولق أيضاً الصرد ، قال ^(١) زبَّان بن منظور الفزَّارِي في حديث له كان مع نابغة بني ذبيان — وقد تطهر من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضى زبَّان فظفر وغم :

(١) روى المؤلف هذه القصة معكوسة ، ولم يصب في ضبط أعلامها . والصواب فيها أن النابغة الديباني كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الغزو ، فرأى زياد جرادة ، فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رجع ، ومضى النابغة في سبيله ، فلما رجع غامقاً قال : يلاحظ طيرة أبدا زياد لتخبره ، وما فيها خبير أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكته مشير وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رواهما المؤلف (وانظر ديوان النابغة ص ٦٥).

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ ، وَهِيَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ لَا يُوَافِقُ بَعْضُ شَيْءٍ أَحَابِينَا ، وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ
يَقُولُهَا فِي آيَاتٍ لَا أَقِفُ عَلَى ^(١) جَمَلَتِهَا .
وَقَالَ شَاعِرٌ قَدِيمٌ لَزَبَانَ أَيْضًا :

لَا يَمْنَعُنكَ مِنْ بَغَا ۖ الْخَيْرُ تَعَقُّادُ التَّمَأُّمِ
لَا ، وَالتَّشَاؤُمُ بِالْعُطَا ۖ سَ وَلَا التِّيَامُنُ بِالْمُقَاسِمِ
وَلَقَدْ عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ
وَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا ۖ مِنْ ، وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُورِ ۖ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ
وَيَتَشَاءُمُونَ بِالثُّبُورِ الْأَعْضَبِ ، وَهُوَ الْمَكْسُورُ الْقَرْنِ .

وَقَالَ الْكَمِيتُ يَنْفَى الطَّيْرَ وَيُدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ :

وَلَا أَنَا يَمْنَنُ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ ۖ أَصَاحَ غَرَابٌ أَمْ تَعَرَّضُ ثُعْلَبُ
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً ۖ أَمْرٌ صَحِيحُ الْقَرْنِ أَمْ مَرٌّ أَعْضَبُ
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ يَشْبَهُ بَيْتَ الْأَعَشَى الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِلُ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «فَلَانُ كِبَارِحُ الْأَرُوى» وَفِيهِ قَوْلَانُ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَرُوى
يُتَشَاءَمُ بِهَا ، فَإِذَا كَانَتْ بَارِحًا فَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي قُرُونِ
الْجِبَالِ ، وَلَا تَكَادُ تَكُونُ سَانِحَةً وَلَا بَارِحَةً .

وَفِي السَّانِحِ وَالْبَارِحِ اخْتِلَافٌ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ : سَأَلَ يُونُسُ رُبُوبَةً عَنْ
السَّانِحِ وَالْبَارِحِ ، فَقَالَ : السَّانِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامِنُهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامِرُهُ ،

السَّانِحُ
وَالْبَارِحُ

(١) انظر الهامشة التي قدمناها في الصفحة السابقة .

قال ابن دريد : السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهل العالية فيتشاءمون بالسانح و يتيمنون بالبارح .

قال الشاعر الهذلي يذكر امرأته :

زَجَرْتُ لها طير السنيح فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنبها

قال : والسانح : الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك وشمائله عن شمائلك ، والجابه والناطح : اللذان يستقبلانك ، والقعيد : الذي يأتيك من ورائك .

قال صاحب الكتاب : السكارس الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاه الثعالبي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيح عند أهل الحجاز : ما أتى عن اليمين إلى اليسار ، والبارح عندهم : ما أتى من اليسار إلى اليمين ، وهم يتشاءمون بالسانح ، و يتيمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانح : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح : ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يتطيرون من البازي والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ، و يتيمن بها آخرون .

ومن مליح ما رأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزير وختموه بقار ، وتقدموا إلى رسولهم أن يرمى بالكتاب من وراء الباب ، فرمى به ، فلما رآه استعلم خبرهم فلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم :

زجرت كتابكم لما أتاني كزجر سوانح الطير الجوارى

من مليح
الزجر

نظرت إليه مخزوماً بزير على ظهر ، ومختوماً بقار
 ققلت : الزير مُلْهِية ومُلْهِ وقلت : القار من دن العقار
 وقلت : الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق العذار
 فجئت إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت داركم بدارى
 فكيف تروننى وترون زجري ألسنت من الفلاسفة الكبار؟!

(٩٥) — باب ذكر المعاظلة والتثبيج

المعظال في التوافي : التضمين ، حكاة الخليل بن أحمد ، وزعم قدامة أن للمعاظلة
 حقيقة المعاظلة واشتقاقها
 سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ، ومنه « تعاضلت
 الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حَجَر:
 وذات هذم عارٍ نواشِرُها تُصْمِتُ بالماء تَوَلَّبا جدعا^(١)
 لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجعله الطفل تولبا ، وهو ولد الحمار .

التثبيج
 وأما التثبيج فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال « كلام مشبج » حتى
 يكون هكذا ، ويقال : رجل مشبج الخلق ، إذا كان طويلاً في اضطراب ،
 والتثبيج عند الصولى في الخط ألا يكون بَيِّنًا ، وكذلك هو الكلام .
 وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن
 زهير قوله :
 رأى آخر في المعاظلة

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كأنه مُنْهَلٌ بالراح مَمْلُوءُ
 وعاب ابن العميد حبيباً لقوله :
 كريم متى أمدحه أمدحه والورى متى مالمته لمته وحدى
 بالتكرير في « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ، وهما معاً
 من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفاذ ،
 حكى ذلك عنه صاحب بن عباد .

(١) انظر ص ٢٥٠ السابقة .

وزعم آخرون أنها تركيب الشيء فى غير موضعه ، كقول الكميت رأى ثالث فى
ابن زيد :
المعاظلة

وقد رأينا بها حوراً مُنْعَمَةً بيضاً تكمل فيها الدلّ والشنبُ
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب .

ومثله عندى قول أبى الطيب :

يحمل المسك عن غداثرها الريح وَيَفْتَرُّ عن شنيب^(١) برود

(٩٦) — باب الوحشى المتكلف ، والركيك المستضعف

الوحشى من الكلام : ما نفر عنه السمع ، والمتكلف : ما بعد عن الطبع ،
الركيك : ما ضعفت بنيته ، وقَلَّتْ فائدته ، واشتقاقه من الرِّكَّة ، وهى المطر
الضعيف ، وقيل : من الرك ، وهو الماء القليل على وجه الأرض .
والركيك

وأشد النحاس

تهادى كموم الرك يقطعه الحيا بأبطح سهل حين تمشى تأوداً
و«فلان ركيك» أى : ضعيف العقل ، ويقال للوحشى أيضاً : حُوشِيٌّ ، كأنه
منسوب إلى الحوش ، وهى بقايا إبل وبَارٍ بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها
ونفت عنها الإنس ، لا يطؤها إنسى إلا خَبَلُوه .

قال رؤبة :

* جَرَّتْ رجالاً من بلادِ الحوش *

وإذا كانت اللفظة خَشَنَةً مستغربة : لا يعلمها [إلا] العالم المبرز ، والأعرابى القحْ؛

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشنيب : الثغر الذى فيه
الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والعذوبة . والبرود - بفتح الباء -
البارد

فتلك وَخْشِيَّةٌ ، وكذلك إن وقعت غير موقعها ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها .

أبو تمام وولعه
بالوخشي
والمتني

وكان أبو تمام يأتي بالوَخْشِي الحشن كثيراً ويتكلف .

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :

* كل آخائِهِ كرام بنى الدنيا وَلِـكِنَّهُ كَرِيمٌ كرام *

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلا بغاضة .

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شبابة :

أمثلة من
التكلف

هَبْنِي ظَلَمْتُ وَمَا ظَلَمْتُ بَلَى ظَلَمْتُ أَقْرَبَ كِي يَزِدَادَ طَوَّلُكَ طَوَّلاً
إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِحَرَمِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا
فَتَبَارَكَ اللَّهُ كَأَنَّهُمَا لَمْ يَخْرُجَا مِنْ يَنْبُوعٍ وَاحِدٍ .

قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : إِيَّاكَ وَتَتَّبِعَ الْوَخْشِي مِنْ
الْكَلَامِ طَمَعًا فِي نَيْلِ الْبَلَاغَةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعِيُّ الْأَكْبَرُ ، عَلَيْكَ بِمَا سَهْلٌ مَعَ
تَجَنُّبِكَ أَلْفَاظِ السُّفْلِ .

من كلام
أبي تمام في
البلاغة

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :

لَمْ يَتَّبِعْ شَنْعَ اللُّغَاتِ ، وَلَا مَشْيَ رَسْفِ الْقَيْدِ فِي طَرِيقِ الْمَنْطِقِ
يَنْشَقُّ فِي ظُلَمِ الْمَعَانِي إِنْ دَجَّتْ مِنْهُ تَبَاشِيرُ الْكَلَامِ الْمَفْلُوقِ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بِسَامٍ :

وَلَا خَيْرَ فِي اللَّفْظِ الْكَرِيهِ اسْتِمَاعُهُ وَلَا فِي قَبِيحِ اللَّحْنِ وَالْقَصْدُ أَزِينُ

قال علي بن عيسى الرمائي : أسباب الإشكال ثلاثة : التغيير عن الأغلب
كالتقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

أسباب إشكال
الكلام

ذلك اجتمع في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه
فالتغير عن الأغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حي
يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه » يريد بالملك هشام بن عبد الملك ، والممدوح هو
إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله
« أبو أمه أبوه » وكان يُجزئه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حي
يقاربه » لأنها لفظة « حي » تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان [المتصف] بالحياة،
قال : وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيته لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة .

وحكى الصولي قال : أنشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول
للبحري في وصف البلاغة
البحري للحسن بن وهب :

وإذا دَجَّتْ أَقلامه ثم انتحت
فاللفظ يقرب فهمه من بعده
حكم سحائبها خلال بنانه
كالروض مؤتلفاً بحمرة نوره
وكانها والسمع معقود بها
وجه الحبيب بدا لعين محبه
واستعادها أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر لما
فضّلوا عليه شعراً .

(٩٧) - باب الإحالة والتغير

وهذه ملح أتيت بها - اتدل من عرفها على ردايتها ، وتدعو إلى كراهتها
واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلة من المتقدمين ، والتمس لهم فيها العذر
لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضري منهم في شيء

أمثلة من
الإحالة

فمن الإحالة قولُ ابن مقبل :

أما الأداةُ فقينا ضمْرُ صَنَعَ جودٌ حواجز بالألْبَادِ واللجمِ
ونسج داود من بيضٍ مُصَاعَفٍ من عهد عادٍ ، و بعدُ الحىُّ من إرم
فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضمْرُ صنع
من عهد عاد ؛ فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أن الإحالة لم تفارقه ، وكَم بين
قيس عيلان وبين عاد ، فضــــــــــــلا عن بنى العجلان ؟ !

وقال عبد الرحمن بن حسان :

وإن مالَ الضجيعِ بِهَا فَدَعْصُ من السكُتْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَهِيلٌ
قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندي
فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتبادة صلابة ملمس العجيزة ، وأنها غير مُسترخية
وجعله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم ، كما قال ابن مقبل :
يمشِين هَيْلَ النَّقَاسَاتِ جَوَانِبُهُ يَهَالُ طَوْرًا ، وينهاهُ الثرى حيناً
فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الثرى والثنى الذى فيه . .

وقال جميل فى التغير :

أمثلة من التغير

لاحسناها حُسْنٌ ، ولا كدلالها دَلٌّ ، ولا كوقارها توقيرُ
فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسننا حسناً^(١) ، وقد يغيرون
اللفظ كما قال النابغة :

وَنَسَجَ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٢)

وهذا أسهل من قول الآخر :

(١) هذا فى قولها « لا حسننا حسن » لأنه يريد لا مثل حسننا حسن ، أو نحوه .
(٢) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمز ،
وصدر هذا قوله * وكل صموت ثلة تبعية * والصموت : الدرع الثقيلة التى =

مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ.

وهذا كثير يخرج منه في هذا الموضع ما ذكرت .

(٩٨) باب الرخص في الشعر

وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطرَّ إليه ، على أنه لا خير في
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل
به ؛ لأنهم أتوا به على جِبَلَّتْهُمْ ، والمولد الحدث قد عرف أنه عيب ، ودخوله
في العيب يلزمه إياه .

فمن ذلك قصر الممدود على مذهب أهل البصرة والكوفة جميعا ، وله -
على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ، وهو قبيح . . قال حاتم طي :
أبوه أبي ، والأمهاتُ أمَّهَاتُنَا فأنعمُ فذاك اليومَ أهلى ومعشرى
قال بعضهم : إنما الرواية « والأم من أمهاتها »

وله تخفيف المشدد في القافية ، وأما في حشو البيت فمكروه جداً ، وحذف
التنوين لالتقاء الساكنين ، وربما حذفوا النون الساكنة . . كما قال :

فلست بآتيه . ولا أستطيعه . وَلَاكِ اسْقِيْني إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ^(١)

وأن يحذف للألف واللام أو الإضافة ما يحذف للتنوين مثل قول

خُفَّاف :

== إذا صبت لم يسمع لها صوت . والثلة - ومثلها الثرة - الواسعة من الدروع ،
والقضاء : الدرع للمسحورة الحشنة المس من جدتها لم تنسحق بعد ، والدائل :
الطويلة الذيل ، ويقال : درع ذائل ودائلة .

(١) البيت للنجاشي (انظر كتاب سيديويه ج ١ ص ٩) . وأصل الكلام :

« ولكن اسقى » لكنه لما اضطر حذف نون « لكن » تشبيها لها بالتنوين

كَنَوَاحٍ رِيشَ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَمَسِيحَتِ بِاللَّثَنَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمَدِ^(١)

وأن يحذف حرفاً من الكلمة كقول العجاج :

* قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحُمَى *^(٢)

وحرفين كقول علقمة بن عبدة :

* مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَانِ مَلْثُومٌ *^(٣)

يريد بسبائب الكتان ، وأن يحذف من المكنى في الوصل ما يحذف منه في الوقف . . كقول الشاعر :

* سَأَجْعَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا *^(٤)

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المنفصل كقول الآخر :

فَبَيْنَاهُ بِشْرِي رَخْلَهُ قَالَ قَائِلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث . . أنشد قطرب :

أما تقولُ به شاةٌ فَيَا كَلَهَا أَوْ [أَنْ] تَبِيعَةً فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ

أراد « تبيعها » فحذف الألف ، قال : ولا يجوز استعمال هذا للمحدث

(١) أراد « كنواحي ريش - إلخ » فحذف الياء مع الإضافة ضرورة تشبيها بحال الأفراد والتنوين وحال الوقف ، يصف شفق امرأة فشبهها بنواحي ريش الحمامة في رقتها ولطافتها وحوتها ، وأراد أن لثانها تضرب إلى السمرة فكأنها مسحت بالإثمد .

(٢) أراد « الحمام » فغيرها إلى ماترى ، وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون قد حذف اليم الثانية للضرورة ثم قلب الألف ياء بعد كسر اليم الأولى .

(٣) صدره * كَانَ إِبْرِيْقَهُمْ ظِي عَلَى شَرَفِ *

(٤) هذا عجز بيت لمالك بن خريم الهمداني ، وصدره * فَإِنْ يَكْ غُثَا أَوْ

سَمِينَا فَإِنِّي * أراد « لنفسه » فحذف الياء ضرورة . وصف ضيفاً فهو يقول : سأقدم إليه ما عندي غثا كان أو سمينا ، وأحكمه فيه ليختار أفضل ما ترى عيناه فيقنع بذلك .

لشدوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الياء والواو من المضمر المذكر لكثيرته واطراده ،
وللشاعر أن يحذف اسم « ليت » إذا كان مضمرأ . . أنشد المفضل لعدى
ابن زيد :

فليتَ دَفَعْتَ الهمَّ عَنِّي سَاعَةً فَبِتْنَا عَلَى مَا خِيلْتَ نَاعِمِي بِال
يريد « ليتك » وله حذف الفاء من « افعلته » من التقوى وماتصرف منها ،
أنشد المفضل لخداش بن زهير :

تَقَوُّهُ أَيُّهَا الْفَتَيَانُ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا
وأنشد أبو زيد الأنصاري :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ بِالْفَتَيَانِ ذَاهِبَةٌ وَإِنْ تَقَوُّهَا بِأَرْمَاحٍ وَأُدْرَاحٍ
وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال :

يَا أَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ^(١)
قال سيبويه : تقديره^(١) إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ فَتُصْرَعُ .
ومثله أيضاً :

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يُشْكِرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ
يريد « فالله يشكرها » وهذا أبين من الأول ، وحذف النون من تثنية
« الذي » وجمعه

(١) في الأصول * إِنَّكَ إِنْ تُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ * وهو غير رواية سيبويه
وغيره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيبويه خطأ
غير وجه الكلام وجعل المعنى فاسداً ، وعبارة سيبويه (ج ١ ص ٢٣٦) هكذا
« أراد إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجملة
« تُصْرَعُ » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن .

قال الأخطل :

أَبْنَى كَذَلَيْبٍ إِنَّ عَمَى الْأَذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ
وَأَنشَد سيبويه :

وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِقَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
أراد « الذين » وعلى هذا قال أبو الطيب :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ ، وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ
ويموز أن يكون جعل « الذي » للجماعة والواحد كما جعل « مَنْ » وقد
حكى ذلك الزجاجي .

قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل : (كَتَلَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ
مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) : إن « الذي » ههنا
بمعنى الذين ، والله أعلم .

وحذف الياء من « الذي » ففهم من يسكن الذال بعد الحذف ، ومنهم
من يدعها مكسورة على لفظها ، أنشد البصريون والكوفيون جميعاً :

فَظَلَّتْ فِي شَرٍّ مِنَ اللَّذِّ كَيْدًا كَمَنْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

ويروى * كاللَّذِ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا * فجمع بين اللفتين^(١) . ونظير هذا

حذف الياء من « التي » وإسكان التاء ، وأنشدوا :

فَقُلْ لِلَّتِ تَلُوْمُكَ : إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّذُ بِالتَّيْمِ

وحذف الياء والتاء من « اللواتي » ، أنشد الزجاجي :

(١) كلا ، بل هالعة واحدة ؛ فإن ذال الكلمتين في الشطر الأول والثاني على

الرواية الثانية — وهي المشهورة للمروفة في أكثر كتب النحو والأدب —
ساكنة ، يعلم ذلك من له أدنى مسكة بعلم .

جَمَعْتَهَا مِنْ أَيْنُقِي غِيَارٍ مِنْ اللّوَا شَرَفْنَ بِالصَّرَارِ
وحذف الموصول وترك الصلة . كما قال يزيد بن مفرغ ؛
عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجَوْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
أراد « وهذا الذي تحملين » فحذف^(١) .

وحذف اسم « إن » و « لكن » . كما قال :
وَلَكِنْ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوِبُهُ بَعْدَتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهَوَّ أُغْزَلَ
فحذف الهاء من « لسنه » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »
لم يجز أن^(٢) يجازى بها .
ومثله قول الآخر^(٣) :

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءَ
أراد « إنه » . ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين ، وأنشدوا :

(١) في كلام المؤلف خطأ ، وبيان الموضوع أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز
مجيء أسماء الإشارة أسماء موصولة مع اتصال حرف التنبيه بها ، واستشهدوا على ذلك
بهذا البيت فقالوا : إن « هذا » اسم موصول بمعنى الذي ؛ فليس هو من حذف
الموصول وإبقاء صلته عندهم ، والبصريون يمنعون مجيء « هذا » وغيره من أسماء
الإشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » اسم إشارة مبتدأ ،
وخبره « طليق » في آخر البيت ، وجملة « تحملين » في محل نصب على الحال ، أي
وهذا طليق حال كونه محمولا عليك ؛ فتخريجهم للبيت لا يوافق أحد المذهبين .

(٢) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ،
ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : (أيا ما تدعوا فله
الأسماء الحسنى) وهنا لا يمكن ذلك ؛ لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخرا
فلذلك تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، وجملة الشرط والجواب في محل
رفع خبر « لكن » فافهم ذلك .

(٣) ينسب للأخطل .

لها أشار ير من لحم تُثَمَره من الثعالى ووخر من أرائنها
أراد « من الثعالب » « ومن أرائنها » ويلينون الهمزة ، وذلك كثير
جدا جائز فى المنثور والقصيح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال الأخطل :
كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامُ مِنَ الرَّبِّ بَابَ خَيَالٍ
وهذا ردىء فى المنثور جدا .

ونقصان الجموع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة :

* حتى إذا بَلَّتْ حَلَاقِيمُ الْخَلْقِ *

يريد « الخلق » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يحذف منه التنوين وهو
يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء فى الشعر . قال
عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي تَجْمَعِ
وعلى هذا المذهب قال أبو نواس :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَا وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ
ويروى * إذا حضر الوغا * والقراء يرى ترك الصرف لعلة واحدة ، وهى
التعريف ، والبصريون يخالفونه فى ذلك ويأبونه .

ومن أقبح الحذف حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأنشدوا لامرئ القيس :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحْتَبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
ومثله للفرزدق :

رُحْتُ فِي رَجُلَيْكَ مَا فِيهِمَا وَقَدْ بَدَأَ هَنْكَ مِنْ الْمِثْرِ
وزعم قوم أن الرواية الصحيحة فى قول امرئ القيس * اليوم أُسْقَى *
وبذلك كان المبرد يقول ، وقال الآخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب^(١) غيره ،

(١) يريد أن قوله « اشرب » فعل أمر مبنى على السكون ، وليس فعلا مضارعا
فورد على هذا أن الهمزة فى « اشرب » همزة قطع ، ونحن نعلم أن همزة أمر الثلاثي
همزة وصل ، فقليل : إن الرواية « فالיום فاشرب » وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب .

فقال : فالיום فأشرب ، وفي بيت الفرزدق * وقد بدا ذاك من المنز * كناية عن الهن ، وهذا مما يسمع ويحكي ، ولا يقاس عليه البتة .

هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .

ضرورات
الريادة

والذي يجوز له من الزيادات أنا ذا كرمته أيضاً ما وسعته قدرتي ، إن شاء الله تعالى :
فمن ذلك صرف مالا ينصرف ، وإجراء المعتل مجرى الصحيح ؛
فيعرب في حال الرفع والخفض ، تقول : هذا القاضي ، ومررت بالقاضي ، وزيد
يَقْضِي وَيَغْزُو ، ولا يجوز في المنثور من الكلام ، وعلى هذا قول قيس
ابن زهير :

ألم يأتِكَ والأنباء تنمى بما لاقت لبونُ بني زياد
كأنه يقول في الرفع يأتِكَ بضم الياء ، فلما جزمها أسكنها .

ومنهم من يبدل من الياء همزة ، وهو القليل ، فيقول : القاضي ، والغازی ،
وأنشد :

يا دارَ سلمى بدكاديك البرقُ سقياً وإن هيبت شوق المُشَدِّقُ
همز الياء ، وليس أصلها المهمزة .
وله إظهار التضعيف كقوله :

يشكو الوجى من أظللٍ وأظلل

ولما هو « الأظلل » وهو باطن خف البعير .

وتثقل الخفف في وصل الكلام على نية من يقف على التثقل ، وأنشدوا :

يَبْكَرِلِ وجناء أو عَيْهَلٌ كَانَ مَهْوَاهَا عَلَى الكُكَلِ
موقع كَفَى راهبٍ يُصَلَّى

فثقل « العيهل » وهي السريعة ، و « الككَل » في صلة الشعر ، وهما مخففتان

وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس
بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستفهام . قال القطامي :

وهم الرجال ، وكل ذلك منهم يحزن في رَحْبٍ وفي مُتَضَيِّقٍ
وأشدوا لآخر ، وهو جذيمة الأبرش :

رُبَّمَا أُوفِيَتْ فِي عَالَمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » .
قال طرفة :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ النَّهْلُ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيُصَمِّمًا
فنصب بالفاء على الجواب .

وقال آخر :

سَأَتْرُكُ مَنَزْلِي لِبْنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحِجَازِ فَأُسْتَرِيحَا
وقطع ألف الوصل لأنه زيادة حركة ، والجزم بحرف وحرفين ، وأكثر من
ذلك ، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر :

تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ تَنَفَّى الدَّرَاهِمُ تَنَقَّادُ الصَّيَارِفِ
فزاد ياء في « الدراهم » وياء في « الصيارف » ، إن لم تكن الرواية تختلف ،
على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة الياء ؛ إذ كان الوزن يقوم دونها ،
وإن قيل في بعض اللغات « دِرْهَام » .

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور ، وقد ألزم ابن ولاد
البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة

ويجوز له التقديم والتأخير ، كما قال العجيز السلولي :

وما ذاك إن كان ابن عمي ولا أخي ولكن متى ما أملك الضر أنفع

بالرفع ، أراد وليكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين * إن يُضَرَّعَ أخوك تصرع* حيث فرقوا بينهما^(١) غير أنا نسلم لهم كما سلم من هو أثقب منا حسا وأذكى خاطرا

وقال عمرو بن قبيصة :

لما رأت سائيداً ما استعبرتُ لله درُّ اليومَ مَنْ لَمَمَهَا

وهذه أشباه من القرآن وقعت فيه بلاغة وإحكاماً لا تصرفا وضرورة ، وإذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده :

من ذلك أن يذكر شئئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا ، كما قال الإخبار عن واحد من اثنين ..
الله عز وجل : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) . أو يجعل الفعل لأحدهما ويشرك الآخر معه ، أو يذكر شيئاً فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره ، كقوله تعالى في أول سورة الرحمن : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد ذكر الإنسان قبل هذه الآية دون الجان ، وذكر الجان بعدها .

وقال الملقب العبدى :

فما أدري إذا يممتُ أرضاً أريد الخيرَ أيُّهما يلينى

الخيرُ الذى أما أبتغيه أم الشرُّ الذى هو يبتغينى

فقال « أيهما » قبل أن يذكر الشر ؛ لأن كلامه يقتضى ذلك .

وأن يحذف جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : (ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم مندرجاً منهم) وقوله : (والنازعات غرافا) إلى قوله : (يوم ترجف الراجمة) فلم يأت بجواب ؛ لدلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل :

حذف
جواب القسم
وعيره

(١) قد عرفت بما علمناه لك عن سبويه أن مخرجهما في العربية واحد ، ولا

محل لما قال .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوفٌ رحيم) أراد « لمذبكم » أو نحوه
ومن هذا قول امرئ القيس :
ولو أنها نفسٌ تموت جميعاً ولكنها نفسٌ نساقطُ أنفساً
وقد تقدم ذكره .

ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : (حتى توارت بالحجاب)
يعنى الشمس ، وقوله : (فأتزن به نقعاً) ولم يجر للوادي ذكر
وقال حاتم طي :
أماوى ، ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشر جت يوماً وضاق بها الصدر ؟
يعنى النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن الفراء :
إذا نهى السفه جري إليه وخالف ، والسفيه إلى خلاف
يعنى « جرى إلى السفه »

إضمار
ما لم يجر
له ذكر .

وحذف « لا » من الكلام وأنت تريدها ، كقوله تعالى (كجهر بعضكم
لبعض أن تحبط أعمالكم) وزيادة « لا » في الكلام كقوله سبحانه (وما يشعرم
أنها إذا جاءت لا يؤمنون) فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ،
وقال جل اسمه : (ما منعك أن لا تسجد) أى : ما منعك أن تسجد ، قال :
وإنما تزداد « لا » في الكلام لإباء أو جحد ، وقال : (لئلا يعلم أهل الكتاب
أن لا يقدرن على شيء من فضل الله) أى : ليعلم .
وقال أبو النجم :

حذف « لا »
وزيادتها

* فما ألوم النجم أن لا تسهرا *

يريد « أن تسهرا » .

وحذف المنادى كقوله تعالى : (ألا يا اسجدوا لله) كأنه قال « ألا يا هؤلاء
اسجدوا لله » وقال ذو الرمة في مثل ذلك :

حذف
المنادى

الا يا سلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطَرِ

وأن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى : خطاب الواحد
 (إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله (أَلْتُمَا ^{كلاثنين}
 في جهنم) وإنما يخاطب مالكا خازن النار ، وقيل : بل أراد أَلْتُمَا أَلْتُمَا ^{والجماعة} فَنُتِي ^(١)
 الفعل ، وقوله : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فخطب الاثنين بخطاب
 الواحد ، وقوله : (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) وقوله : (وَأَلْتُمَا الْأَلْوَاحَ) وهما لوحان
 فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ؛ وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله :
 (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل ، كقوله تعالى : ^{مجيء المفعول}
 (لَا بِعَاصِمٍ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : (مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) ^{بلفظ الفاعل}
 أى : مذفوق ، وقوله : (فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) أى : مَرْضِيٍّ بِهَا ، وقوله : (وَجَعَلْنَا ^{وعكسه}
 آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى : مُبْصِرٌ فِيهَا ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله
 تعالى : (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) أى آتِيًّا .

وقد جاء الخصوص في معنى العموم في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ)
 وجاء العموم بمعنى الخصوص في قوله : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)
 ومن الحمل على المعنى قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ زَيْنَ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^{الحمل}
 فَتَلَّ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ) كأنه قيل : مَنْ زَيْنُهُ ؟ فقيل : شُرَكَاءُهُمْ . ^{على المعنى}

والحمل على المعنى في الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز
 أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولا أن تذك مؤنثاً .

(١) وويل : الألف هي نون التوكيد الخفيفة ، عاملها في الوصل معاملتها في
 الوقف ، وإنما في هذا الموضوع بحث طويل ووجوه كثيرة من الاستدلال في شرحنا
 على المعلقات .

قال ابن أبي ربيعة الخزومي :

فكان مجننى دون من كنت أتقى ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبانٍ ومُعَصِرُ
فأنث الشخوص على المعنى . وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان
واحدةً مذكراً حقيقياً .

ومما أنث من المذكر حملاً على اللفظ قول الشاعر ، أنشدته الكسائي :

أبوك خليفة وَلَدَتْهُ أُخْرَى وأنت خليفة، ذاك الكمال

ومثل هذا في الشعر كثير موجود .

٩٩ — باب السرقات ، وماشا كلها

وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،
وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الخاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على
الجاهل المغفل ، وقد أتى الخاتمي في «حلية المحاضرة» بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها
محصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ،
والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل
بعضها في مكان بعض ، غير أني إذا كررها على ما خيلت فيما بعد .

لا يدعى
السلامة منه
أحد

وقال الجرجاني — وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظروا في
هذا الشأن — : ولست تعد من جهابذة الكلام ، ولا من نُقَادِ الشعر ، حتى تميز
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علما برتبة ومنازله ، فتفصل بين السَّرَقِ والغصب
وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك
الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر ،
وبين المختص الذي حازه المبتدئ فلكه واجتباها السابق فاقتطعه .

رأى
الجرجاني

قال عبد الكريم : قالوا : السَّرَقُ في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد

السرقة عند
عبد الكريم

في أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة^(١) حين لم يختلفا إلا في القافية ؛ فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتجلد » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

والسرق أيضاً إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لافي المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يُورده أن يقال إنه أخذه من غيره .

قال : واتكال الشاعر على السرقة بلاذة وعجز ، وتركة كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات .

وقال بعض الحذاق من المتأخرين : مَنْ أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ، فإن غيّر بعض اللفظ كان سائلاً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .

وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم ، وسماه « كتاب المنصف » مثل ماسمي اللديغ سليماً ، وما أبعد الإنصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن الاصطراف

(١) هما بيتان متشابهان وقعا في معلقى امرئ القيس وطرفة بن العبد : أما بيت امرئ القيس فقوله :

وقوفا بها صبحي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتحمل

وأما بيت طرفة فقوله :

وقوفا بها صبحي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسي وتجلد

فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا في القافية كما حكى المؤلف .

بقية أنواع
السرقه

صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال «ممتحل» إلا لمن ادّعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مُدّج غير منتحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والنصب ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ، ويقال : الاسترفاد ، فإن كانت السرقه فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ، ويسمى أيضاً النسخ ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ، ويسمى أيضاً نقل المعنى ، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فتلك الموارد ، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركمب ، ومن هذا الباب كشف المعنى والمحدود من الشعر ، وسوء المتابع ، ونقصير الأخذ عن المأخوذ منه ، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لسكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم ، ويقتدى به المتعلم ، إن شاء الله تعالى .

الاصطراف
على ضربين
أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين : أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت ، والآخر : الانتحال ؛ فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لا تُخفي القذى وَهوَ دُونَهَا تصفقُ في راووقها حين تقطبُ
تمزرتها والديكُ يدعو صباحَه إذا ما بنو نعشٍ دَنَوْا فتصوَّبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانة رَميًا السرور كأنها — إذا غمست فيها الزجاجة كوكب
تمزنتها والديك يدعو صباحه — إذا ما بنو نعش دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ؛ فلا يكون في ذلك
بأس ، كما قال عمرو ذو^(١) الطوق :

صددت الكأس عنا أم عمرو — وكان الكأس مجراه اليمين
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو — بصاحبك الذي لا تصبحينا
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم ؛ فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره
لا يرون ذلك عيباً ، وقد يصنع المحدثون مثل هذا .

قال زياد الأعجم :

أشمت إذا ما جئت للعُرف طالبا — حباك بما تحوى عليه أناسله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه — لجاد بها فليتنق الله سائله
ويروى هذا لأخت يزيد بن الطُّثْرِيَّة ، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو

في شعره .

وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :
ستعلم من يكون أبوه قيناً — ومن كانت قصائده اجتلاباً
فإنما وضع الاجتلاب موضع السَّرَقِ والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر
العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجمحي فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل
للمثل ليس اجتلاباً ، مثل قول أبي الصَّلْتِ بن أبي ربيعة الثقفي :

تلك المكارم لا قعبان من لبن — شيباً بماء فعاداً بعد أنوالاً .

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة
مجمعون أنه لأبي الصَّلْتِ ؛ فقد ذهب الجمحي في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ،
ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول .

والانتحال عندهم قول جرير :

الانتحال

(١) هو عمرو بن عدى ، ابن رقاش أخت جذيمة الأبرش .

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِبَلْبِكَ غَادَرُوا وَشَلَا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا
عَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَا لِي : ماذا لقيتَ من الهوى واقيناً ؟
فإن الرواة مجمعون على أن البيتين المَعْلُوط السعدي استحلهما جرير ، وانتحل
أيضاً قول طفيل الغنوي :

ولما التقي الخيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَى وماتَ الهوى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
ولذلك قال الفرزدق :

إِن تَذْكُرُوا كَرَمِي بَلْؤُمِ أَبْيَكُمُ وَأَوَابِدِي تَتَنَحَّلُوا الْأَشْعَارَا
وكانا يتقارضان الهجاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ، وليس
ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع :

تمت ربيع أن يحییء صغارها بخير ، وقد أَعْيَا ربيعاً كبارها
أَحْذَهُ الْبُعِیْثُ بِعَيْنِهِ فِي بِي كَلِيبِ رَهْطِ جَرِيرٍ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :
إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُوداً تَتَنَحَّلَهَا ابْنُ حَجْرَاءِ الْمِجَانِ
يعني البعيث ؛ وكان ابن سُرَيْيَّةَ .
وأما قول البحتري :

رَمَتْني غَوَاةُ الشَّعْرِ مِنْ بَيْنِ مُفْجَحِهِمْ وَمُنْتَحِلِ مَالِمْ يَقْسِلُهُ وَمُدْعَى
فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفجحهم قد عجز عن
الكلام وصلا عن التحلي بالشعر غير أنه يدبغ الشعراء ؛ والآخر منتحل لأجود من
شعره ، والثالث مدع جملة لا يحسن شيئاً .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويختزع معنى مليحاً فينأوله مَنْ هو أعظم
منه ذكراً وأبعد صوناً ، فيروى له دون فائله ، كما فعل الفرزدق بنحيل وقد
سمعه يمشد .

الإغارة

تَرَى النَّاسَ مَا سَرُّنَا بِسَيْرُونِ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمُنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

فقال : متى كان المثلث في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره .

وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تجاف لي عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره ، والسرقة أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصراً أو قديماً .

وأما الغصب فمثل صنيعه بالسرقة اليربوعي ، وقد أنشد في محفل :

فما بين من لم يعط مئماً وطاعةً وبين تميم غنير حَزَّ الحلاقم

فقال الفرزدق : والله لتدع عنه أولئدة عن عرضك ، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . وقال ذو الرمة بحضرته : لقد قلت أبياناً ، إن لها لعروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أحينَ أعادتُ بي تميمُ نساءها وَجُرِّدَتْ تُجريدَ اليماني من النعمدِ
وَمَدَّتْ بَضْبَعِي الرَّبَابُ وَمَالِكُ وعمرُ ووسالتُ^(١) من ورأى بنو سعدِ
ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والرعد

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك ، قال : والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراف في شعر الأموات كالإغارة على شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الأبيات الثلاثة التي رواها المؤلف قوله :

تمنى ابن راعي الإبل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على العبد

معاقل لو أن النميري رامها رأى نفسه فيها أذل من الفرد

للمرافدة

وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يههها له ، كما قال جرير لذي الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي^(١) ، فأنشده قصيدته :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى تَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ الْقَطَارَا
فَقَالَ : أَلَا أَعَيْنَكَ ؟ قَالَ : بَلَى بِأَبَى وَأُمَى ، قَالَ : قُلْ لَهُ :

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ بُيُوتَ الْمَجْدِ أَرْبَعَةً كِبَارًا
يَعْدُونَ الرَّبَّابَ وَآلَ سَعْدٍ وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا الْمُرْتِيُّ لَغَوَا كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدِّيَةِ الْخَوَارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال : كلا والله ، لقد علمكهن من هو أشد الحيتين منك ، هذا شعر ابن المراغة . واسترفد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة فقال في أبيات :

يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمَهَا مَا تَجَنَّه مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعْنُ بِسَائِهَا عَلَى فَقْدِ أَعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
أَذَا الرَّمِّ ، قَدْ قُلِدْتُ قَوْمَكَ رَمَةً بَطِيئًا بِأَيْدِي الْعَاقِدِينَ انْحِلَالُهَا

ويروى * بأيدي المطلقين * فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتنا ، هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعملياً عليه . وقد استرفد نابغة بنى ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده .

والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت

(٢) في الأصول « المرى » وهو خطأ ، وصوابه « المرئي » كما أثبتناه ، وهشام أحد بني امرئ القيس بن سعد مناة ، هذا ، ورواية الديوان (ص ٣٣) في البيت الثاني * يعدون الرباب لهم وعمرا * وسعدا ثم . . . ورواية البيت الثالث في غير هذا الكتاب * ويسقط منها المرئي . . . *

شبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيبا ؛ لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز .

الاهتمام

والاهتمام نحو قول النجاشي :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رَمَتْ فيها يَدُ الحدّثان
فأخذ كثير القسم الأول واهتدم باقى البيت فجاء بالمعنى فى غير اللفظ ، فقال :
* ورجل رَمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتْ *
والنظر والملاحظة فمثل قول مهمل :

النظر
وللملاحظة

أنبضوا معجس القسى وأبرقنا كما توعّد الفحولُ الفحولاً
نظر إليه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعموا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقاً
وأبو ذؤيب بقوله :

صَرُوبٌ لَهَامَاتِ الرجالِ سيفه إذا حَنَّ نَبِيْعٌ بينهم وشريحُ
والإلمام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبى الشيص :

الإلمام

* أجِدُ الملامةَ فى هوائِكَ لذيذة *
وقول أبى الطيب :

* أحبه وأحبُّ فيه ملامة *

البيت ، وقد تقدم ^(١) ذكرهما فى التباير .

الاختلاس

وأما الاختلاس فهو قول أبى نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فى القلوبِ مِثْلَهُ فكأنّه لم يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ
اختلسه من قول كثير :

(١) انظر (ص ١٠٣) من هذا الجزء ، وفيها تمام بيتى أبى الشيص والتنبى .

أريدُ لأنسى ذِكْرَها فكأَنَّمَا تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بَكلِّ سَبِيلِ
وقولُ عبدِ الله بنِ مصعبٍ :

كَأَنَّكَ كُنْتَ مُحْتَكَمَا عَلَيْهِمُ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ
ويروى * كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكَمَا عَلَيْهِمُ * اختلسه من قول أبي نواس :
خُلِّيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقَى مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَاكْدَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ
أردت البيت الأول .

ومن هذا النوع قولُ امرئ القيس :
إِذَا مَا رَكَبْنَا قَالَ وَلَدَانُ حَيِّنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطُبُ^(١)
نقله ابن مقبل إلى القدح فقال :
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعْدٍ عَصَابَةٌ عِدَارِيَّةٌ^(٢) قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ
نقله ابن المعتز إلى البازي فقال :

قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَهُوَ إِذَا عَرَى لَصِيدًا وَاضْطَرَبَ
* عَرَوْا سَكَا كَيْنِهِمْ مِنْ الْقُرْبِ *^(٣)
نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت :

طَيْرُ أَبَابِيلُ جَاءَ تَنَا فَمَا بَرَحَتْ إِلَّا وَأَقْوَانَا الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ
تَرْمِيهِمْ بِحَصَى طَيْرٍ مُسَوِّمَةٍ كَأَنَّ مَعْدِنَهَا لِلرَّمَى سَجَّيْلُ
تَعْدُو عَلَى ثِقَةٍ مِنْهَا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنَجِيرُ مَغْسُولُ
والموازنة مثل قول كثير :

الموازنة

تَقُولُ مَرِيضُنَا فَمَا عُدَّتْنَا وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا
وازن في القسم الآخر قول نابغة بنى تغلب :

(١) في الديوان « ولدان أهلكنا » . (٢) في نسخة « غذاراية » .

(٣) في ديوان ابن المعتز (٤ / ٧) « فهو إذا جلى » وفي نسخة منه « فهو إذا حلى » وفي نسخة في ثالث هذه الأبيات « سلوا سكا كينهم » .

بَحْلُنَا لُبْخَلِكِ قَدْ تَعْلَمِينَ وَكَيْفَ يَعِيبُ بَحْلِيلُ بِحْيَلًا؟

العكس

والعكس قول ابن أبي قيس ، ويروى لأبي حنص البصرى :
ذهب الزمان برهط حسان الأولى كانت مناقبهم حديث الغابر
وبقيت في خلف يحل ضيؤهم منهم بمنزلة اللثيم الفادر
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة .

وأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس^(١) وطرفة ، ولا أظن
هذا مما يصح ؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان
امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس ؛
فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت ، حتى
استحلف أنه لم يسمعه قط لخلف ، وإذا صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا
في عصر ، وسئل أبو عمرو بن العلاء : رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان
في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت
على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع
الحافر على موضع الحافر .

الالتقاط

والتلفيق

وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية :
إذا مارآني مُقْبِلًا غَضَّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله
فأوله من قول جميل :

إذا ما رأوني طالعا من ثنية يقولون: من هذا؟ وقد عرفت فوري

(١) ذكرناها أول الباب فانظر (ص ٢٨١) من هذا الجزء .

ووسطه من قول جرير :

فَغَضَّ الطرفَ إنك من نَمِيرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلاباً
وعجزه من قول عنتره الطائي^(١) :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تَدُورُ

فأما كَشَفُ المعنى فنحو قول امرئ القيس :

نَمَشُ بأعراف الجياد أ كَفْنَا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال عبدة بن الطيب بعده :

نَمَّةً قمنا إلى جُرْدٍ مُسَوِّمةٍ أعرافهن لأيدينا مناديلُ

فكشَفَ المعنى وأبرزه .

وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنتره العبسي :

* وكما عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَسَكَّرُمِي *^(٢)

رزق جدا واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشمائي ما قد علمت ، وما نَبَحَتْ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

ومنه أخذ عنتره ، والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ،
غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده - بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو
يبسطه إن كان كزاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن
كان سفسافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً - فهو أولى به من مبتدعه ،
وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع

كشَفَ
المعنى

الشعر المجدود

مق يكون
الآخذ أولى
بالمعنى ؟

(١) هو عنتره بن عكبرة الطائي ، وهي أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الأمدى في المؤلف والمختلف .

(٢) صدره * وإذا صحت ثما أقهر عن ندى *

فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ،
وسقوط همته ، وضعف قدرته .

فما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَفِي بِدَمِ الْوَتِينِ
فقال أبو نواس :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذَا بَلَغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنِّي بِالْمِينِ
فلم أجعلك للغربان نحلا ولا قلتُ «أشرفي بدم الوتين»
وكرره فقال :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَى بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّةً بَدْنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْخُصْيَ فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ
ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس * فلو أنها
نفس^(١) * البيت ، وقول عبدة بن الطيب * فما كان قيس^(٢) * البيت .

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتي من
بعده فيتبعه فيه على رداءته ، نحو قول أبي تمام :

بَاشَرْتُ أَسْبَابَ الْغِنَى بِمَدَائِحِ ضَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ طُوبُولًا
فقال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ فِي النَّاسِ بُوقَاتُ لَهَا وَطُوبُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بتمامه :

فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وسبق ذكره مرارا أيضا .

فسرق هذه اللفظة لثلاث تفوته .

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهل الجمحي في معنى بيت الشماخ:

يَانَاقُ سِيرِي وَأَشْرَقِي بِدَمٍ إِذَا جُثَّتِ الْمُغِيرَةُ
سَيُثْبِتُنِي أُخْرَى سِوَاكِ ، وَتَلَكَ لِي مِنْهُ يَسِيرُهُ
فَأَنْتَ تَرَى أَيْنَ بَلَغَتْ هِمَّتُهُ ؟؟

ومما يعد سرقاً وليس بسرقة اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنتره :

وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ عَلَيْهَا الْأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارًا
وَقَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدَى كَرَبَ :

وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيْعٌ
وَقَوْلُ الْخَنَسَاءِ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا
ومثله :

وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسْوَدِ
وأمثال هذا كثير .

أولى الشعراء أن كانوا يقضون في السرقات أن الشعراء إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما
بالمعنى موتا ، وأعلامهما سنا ، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان ،

وإن كانا في مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي
حازه قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا^(١)
مُورِثَةٌ مَجْدًا ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نَسَائِكَا^(٢)

(١) روى أبو عبيدة * . . . حاشم رحلة *

(٢) في الديوان (ص ١٢) * مورثة مالا وفي المجد . . . * وروى أبو

عبيدة * . . . وفي الذكر رفعة * ولو ضاع . . .

فأخذه النابغة فقال :

شُعْبُ الْمَلَأَقِيَّاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْمُخَصَّنَاتِ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ^(١)
و بيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر
الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذه الناس من بعده ، فلم يقلبه
على معناه [أحد] ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً
عليه في حياته ، وسابقاً له بماته .

وقال أوس بن حجر :

كَانَ هَرَا جَنْبِيًّا عِنْدَ غَرْضَتِهَا وَالتَفَ دِيكَ رَجْلَيْهَا وَخَنْزِيرُ
فلم يقربه أحد ، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري
هذا المجرى .

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه ملحمة منه . قال نادب
الإسكندر « حر كنا الملك بسكونه » فتناوله أبو العتاهية فقال :

قَدْ أَعْمَرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ تِ وَحَرَّ كُتْنِي لَهَا وَسَكَنَتَا
وقال أرساطاطا ليس يندبه « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ
بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » وقال أبو العتاهية في ذلك :
وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تُجَازَوْا عليها مثل
ما يُجَازَى به أهلُ الحسنات ، أجل لَا يُجَنَّبِي الشوكُ مِنَ الْعَنْبِ .

(١) شعب : جمع شعبة ، وهي مرج بين أعواد الرحل ، ومن السرج ما بين
قربوسه ومؤخرته . والعلاقيات : رحال منسوبة إلى حي من اليمن اسمه علاف
(وانظر ص ٢٣٢ السابقة) . والمخصنات : يعنى نساءهم . عوازب : بهيدات . الأطهار :
جمع طهر . يريد أنهم دائماً على صفوات الخيل فوق السروج أو فوق رحال الإبل ؛
فلا يشتغلون عن العزو بنسائهم .

فقال ابن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاخْذَرْ عَدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا
وأخذ الكتاب قولهم « قدمت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،
ويروى لحاتم :

إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا يَمُوتُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ
وقولهم « وأتم نعمته عليك » من قول عدى بن الرقاع العاملي :
صَلَّى الْإِلَآهَ عَلَى اسْرِيءِ وَدَعَّيْتُهُ وَأَتَيْتُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الخذاق ، وفي أقل
ما جئت به منه كفاية .

(١٠٠) — باب الوصف

أكثر الشعر يرجع إلى الوصف وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه ، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل .

أحسن الوصف وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جؤذراً :

فَبَاتَ يَذْصِكِيهِ بَغِيرٍ حَدِيدَةٍ أَخُو قَنْصٍ يَمْسِي وَيَصْبَحُ مَفْطَرَا
إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كَرَاها تَحَرَّكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَفَرَا
فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ، ومثل الموصوف في قلب سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ،

ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه ، وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته .

وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا . وأصل الوصف الكشف والإظهار ، يقال : قد وصف الثوب الجسم ، إذا تم عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي :

إِذَا وَصَفْتُ مَا فَوْقَ بَحْرِي وَشَاحِيهَا غَلَاثِلَهَا رَدَّتْ شَهَادَتَهَا الْأُزْرُ
إلا أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء : إن مدحا فمدحا ، وإن ذما فذما .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم تفاضل الناس من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها في الوصف وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كأمريء القيس قديما ، وأبي نؤاس في عصره ، والبحترى وابن الرومي في وقتها ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف ، وليس بالحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها ، والقفار ومياهاها ، وحر الوحش ، والبقر ، والظلمان^(١) ، والوعول ؛ ما بالأعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما ، وقد صنع ابن المعتز وأبو نؤاس قبله ومن شا كلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم : كرائية الحسن في الخصيب ، وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شا كلهما ، وما كان مناسبا لهما كالسكّوس والقناني والأباريق ، وتفاح التحيات ، وباقات الزهر

(١) الظلمان : جمع ظليم ، وفي الأصول «الظلمات» وأعتقد أنه تحريف ما أثبت

إلى ما لا بد منه من صفات الحدود ، والتدود ، والنهود ، والوجوه ، والشعور ،
والريق ، والثغور ، والأرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،
وما شا كل المولدين ؛ فإن ارتفعت البضاعة فصفات الجيوش وما يتصل بها من
ذكر الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقسي ، والنبل ، إلى نحو ذلك
من ذكر الطبول ، والبنود ، والمنحرفات ، والمنجنيقات ، وليس يتسع بنا هذا
الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف ؛ فحينئذ أدل على مظانها دلالة
مجملة ، وأذكر بما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها المتعلم كيف العمل
فيها ومن حيث المسلك إليها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر شعراء
اشتهروا في
وصف أشياء
أما نعات الخيل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد ، وطفيّل الغنوي ، والناطقة
الجدى ، وأما نعات الإبل فطرّفة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حجر ،
وكعب بن زهير ، والشمّاح ، وأكثر القدماء يحمّد وصفها ؛ لأنها مراكبهم ،
ألا ترى رؤبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال : أدّني من ذنب البعير ،
وكان عبيد بن حصّين الراعي النميري أوصف الناس للإبل ، ولذلك سمى راعيا ،
وأما الحر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشمّاح ، شهد له بذلك الحطيئة
والفرزدق ، وهذان يحمّدان صفات الخيل والقسي أيضاً والنبل ، وأما الخمر فمن
أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نؤاس وابن المعتز ، ولأبي نؤاس أيضاً وابن المعتز
الصيد والطرد ، فما شئت من هذه الأوصاف فالتمسها حيث ذكرت ، ومن
الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف الفيل :

أجرّد الخصر طويل النّابيّن مشرب اللحي صغير الفقمين^(١)

وصف
فيل

(١) لا يتفق هذا ووزن الرجز ، وقد وقع في نسخة :

أبيض كالخصن طويل النابيين مشرف اللحي صغير العينين
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه .

* عليه أذنانِ كفضلِ الثوبين *

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيلُ إن الذي يحمـله محمولُ
على تهاويلَ لها تهاويلُ كالطود إلا أنه يـجول

* وأذنِ كأنها منديلُ *

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها

غلام نعلب عنه عن ابن الأعرابي .

في وصف الفيل
أيضا

وقال عبد الكريم فجمع ما فرقه وزاد عليهما :

وأضخمَ هندیّ النجارُ تُعدّه ملوك بني ساسان إن رابها أمرُ
من الورق لامن ضربه الورق ترتعي أضاح ولا من ضربه الخمس والعشر
يجي كطود جائل فوق أربع مضبرة لمت كما لمت الصخر
له فخذان كالكتيبين لبدا وصدرٌ كأوفى من الهضبة الصدرُ
ووجهٌ به أنف كراووق خرة ينالُ به ما تدرك الأمل العشر
وأذنٌ كنصف البرد يسمعه النداء خفيا وطرف ينقص الغيب مزورُ
ونابان شقاً لا يريك سواهما قناتين سمرأوين طعنهما نثرُ
له لونٌ ما بين الصباح وليله إذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من في وصف زرافة

قصيدة طويـله :

وأنتك من كسب الملوك زرافة شتى الصفات لكونها أثناء
جمعت محاسن ما حكمت فتناسبت في خلقها وتنافت الأعضاء
تحشها بين الخوافق مشية بادٍ عليها الكبير والخيلاء

وتمدَّ جِيداً في الهواء يزيناها فكأنه تحت اللواء لواء
حُطَّتْ مآخِرها وأُشْرِفَ صدرها حتى كأن وقوفها إقعام
وكانَ فِهرَ الطيب مارجت به وجه الثرى لو لمت الأجزاء
وتخيرتْ دون الملابس حُلَّةً عَيَّتْ لصنعةٍ مثلها صنعا
لونا كلون الزبل إلا أنه جَلَى وجزعَ بعضه الجلاء
أو كالسحاب المسكفرة خيطة فيه البروق ، وميضها إيماء
أو مثل ما صدئت صفائح جوشن وجرى على حافاتهن جلاء
نعم التجافيف التي ادرعت به من جلدها لو كان فيه وقاء
وصنعت أنا أيضاً :

ومجنونة أبدأ لم تكن مُذَلَّةَ الظهر للراكب
قد اتصل الجيد من ظهرها بمثل السنام بلا غارب
مُلَمَّعةً مثل ما لَمَعَتْ بِمِجَنَاءٍ وَشِي يد السكائب
كأنَّ الجوارى كَنَفَها خالِجٌ من كل جانبٍ [؟] (١)

في وصف
اسطرلاب

وقال كشاجم يصف اسطرلاباً :
ومستدير كجرم البدر مسطوح
صُلْبٌ يُدَارُ على قطب يُلَيِّنُهُ
مثل البنان وقد أوفت صفائحهُ
كأنما السَّبْعَةُ الأفلak مُحْدِقَةٌ
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته
وإن مَضَتْ ساعة أو بعضُ ثانية
وإن تَعَرَّضَ في وقت يقدرهُ
(١) كذا ، وليس عندنا بمستقيم.

عن كل رابعة الأشكال مصفوح
تمثال طرفٍ بشك الحذق مشبوح
على الأقاليم في أقطارها الفيح
بالماء والنار والأرضين والريح
بالشمس . طوراً وطوراً بالمصاييح
عرَفَتْ ذاك بعلم منه مشروح
لك التشكك جلاء بتصحيح

مميزٌ في قِيَّاسَاتِ النجوم لنا بين المَشَائِمِ منها والمناجيح
له على الظهر عَيْنَا حِكْمَةٍ بهما يحوى الضياء ويخفيه من اللوح
وفي الدوائر من أشكاله حكمٌ تَلَقَّحُ الفهم منا أى تلقيح
لا يستقلُّ لنا فيها بمعرفة إلا الحصيف اللطيف الحِسُّ والروح
حتى تَرَى الغَيْبَ عنه وهو منخلق الأبواب عن سواه جدُّ مفتوح
نتيجة الدهر والتفكير صَوَّرَهُ ذُو العقول الصحيحات المراجيح

وقال أيضا يصف تحت حساب الهندسة :

وقلمٍ — دَادَهُ تُرَابُ في صحفٍ سَطُورُهَا حساب
يكثر فيه الهو والإضراب من غير أن يُسَوِّدَ الكتاب
حتى يبين الحق والصواب وليس إعْجَامٌ ولا إعراب
فيه ولا شَكٌّ ولا ارتياب

وقال يستهدى بركارا :

جُدُلِي بِرَكَارِكَ الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنَةٍ أَعَاجِيَا
مُلَامُ الشَّقَرَتَيْنِ مُعْتَدِلُ مَاثِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا
شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرَكْبَا فِي الْعُقُولِ تَرْكِيَا
أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِبَاهِهِمَا بِصَاحِبٍ لَا يَمَلُّ مَصْحُوبَا
أَوْثَقَ مَسَامَرِهِ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَغْيِيْبَا
فَعَيْنِ مِنْ يَجْتَلِيهِ تَحْسِبُهُ فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَصْبُوبَا
وَضَمَّ شَطْرِيهِ مُحْكَمَ لَهَا ضَمَّ مُحِبِّ إِلَيْهِ مُحْبُوبَا
يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مَبْطُورُهُ مَا زَادَهُ بِالْبِنَانِ تَقْلِيْبَا
فَقَوْلُهُ كَلَّمَ تَأَمَّلُهُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ ذَالَهُ طُوبَى

في وصف
بركار

ذو مُقَلَّةٍ بصرته مذهبة لم تأله زينة وتذهيباً
 ينظر منه إلى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوباً
 لولاه ماصحَّ شكلُ دائرة ولا وجدنا الحساب محسوباً
 الحق فيه. فإن عدلت إلى سواء كان الحساب تقريباً
 لو عَيْنُ إقليدس به بَصُرَتْ خر له بالسجود مكبوباً
 فابعثه واجتنبه لى بمسطرة تلقى الهوى بالثناء مجنوباً
 لازلت تجدى وتجدى حكماً مستوهباً للصديق موهوباً

وقال في صفة البنكام :

في وصف
البنكام

روح من الماء في جسم من الشَّمْرِ مؤتلف بلطيف الحس والنظر
 مستعبر لم يَغِبْ عن إلهه سَكَنُ ولم يبت قَطُّ من طعن على حذر
 له على الظاهر أجفان مُحَجَّرَةٌ ومقلة دمعها يجرى على قَدَرٍ
 تنشأ له حركات في أسافله كأنها حركات الماء في الشجر
 وفي أعاليه حساب يُفَصِّلُهُ للناظرين بلا ذهن ولا فكر
 إذا بكى دار في أحشائه فَلَكَ خافى المسير وإن لم يبك لم يَدْرِ
 مترجم عن مواقيت تخبرنا عنها فيوجد فيها صادق الخبر
 تقضى به الخمس في وقت الوجوب ، وإن

غَطَّى على الشمس سِتْرَ الغيم والمطر
 وإن سَهَرَتْ لأسبابٍ تُورِقُنِي عَرَفْتُ مقدار ما ألقى من السهر
 مُحَوَّرٌ كل ميقاتٍ تخيره ذوو التخيير للأسفار والحصر
 ومخرج لك بالإجراء أطفها من النهار وقوس الليل والسحر
 نتيجة العلم والأفكار صَوَّرَهُ يا حبذا بدعُ الأفكار في الصور
 وقال يصف زرمانج آبنوس :

في وصف
زرمانيج

نعم المعين على الآداب والحكم
لا تستمد مداداً غير صبغتها
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها
وأمكن المحو فيها الكف فانتسعت
حليتها بلجين وانهضت لها
قالكم يعبق منها حين تودعه
لو كنّ ألواح موسى حين يغضبه
هاريون لم يلقها خوفاً من الندم

وله من قصيدة ذكر فيها طاووساً مات له :

في وصف
طاووس

رُزِقَتْهُ رَوْضَةً يَرُوقُ ، ولم
جَمَلِ الذَّنَابِي كَانَ سَفْدَةً
مُتَوَجِّجاً خَلْقَةَ حَبَاءَ بِهَا
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ دُ مُنْتَصِباً
يُطْبِقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ
أَدَلِّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَذَالَ لَهُ
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ الْعُرُوسِ ؛ فَمَنْ
فَهَذَا طَرَفٌ مِمَّا شَرَطْتَهُ كَافٍ ، يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ، إن شاء

الله تعالى .

(١٠١) باب الشطور ، وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشطر نصف البيت ، جـد الشطور
وإما أن يراد به القصد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فربما أنشدوا أبياتاً
كاملة ، وليست أقسمة ؛ فيكون هذا من قوله تعالى : (فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ

المسجد الحرام) وكذلك القسيم أيضاً : يجوز أن يكون نصف البيت ، ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسيم وقسم .

قال جرير :

أَتَارِكَةٌ أَكَلَ الْخَزِيرَ مُجَاشِعٌ وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمُهَا

يريد حظها . وقالت ابنة^(١) المنذر بن ماء السماء :

بَعَيْنِ أَبَاغَ قَاتَمْنَا الْمَنَايَا فَسَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه .

الطويل : مثنى قديم ، سدس محدث ، أجزاءه « فعولن مفاعيلن » ثمانى مرات^(٢) وزحافه : القَبْضُ ، الثَّمْ ، الثَّرَم ، السَّكْف ، الحَذَف . ومسدسه أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم .

الطويل

المديد : مثنى محدث ، سدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن فاعلن » ثمانى مرات^(٢) وعلى ذلك أنى محدثه ، وبيت مر بعه السالم :

المديد

بُوئْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي غَادَرَتْ قَوَّيْ سُدَى

قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن الخليل لم يذكره . زحافه : الخَبْن ، الكَف ، الشَّكْل ، القَصْر ، الحَذَف ، الصَلَم .

البسيط : مثنى قديم ، سدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعلن فاعلن » ثمانى مرات^(٢) ومسدسه « مستفعلن فاعلن مستفعلن » مكررة ، قال :

البسيط

(١) الذى فى ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود ترى أباه ، وكان

قد قتل بعين أباه - بضم الهمزة ، وفى آخره غين معجمة - وبعد هذا البيت :

وقالوا سيدا منكم قتلنا كذلك الرمح يكلف بالكريم

(٢) صوابه « أربع مرات » .

وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد نقص منه « فاعلن » الأولى والثالثة وبيته المربع المحدث :

دَارُ غَفَاها الْقِسْدَمُ بَيْنَ الْبَلَى وَالْعَدَمِ

زحافه : الخلبن ، الطيُّ ، الخبل ، القطع ، الإذالة ، التخليع . ومعنى التخليع : قطع « مستفعلن » في العروض والضرب جميعاً .

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » ست مرات ، ولم يحىء عن العرب في مسدسه بيت صحيح . زحافه : العصب ، القطف ، النقص ، العقل ، العضب ، القضم ، العقص ، الجهم .

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « متفاعلن » ست مرات ، زحافه : الإضممار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الخرم ، الترفيل ، الإذالة .
الهزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعيلن » أربع مرات ، بيته المسدس المحدث :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأُظْعَانُ إِذْ بَانُوا وَإِذْ صَاحَتْ بِشَطِّ التَّيْنِ غِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف .

الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مُثْنَى ، كله قديم ، موحد محدث ، أجزاءه « مستفعلن » ست مرات ، زحافه : الخلبن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الفرق ، الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوند المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعلن — بتقدبم النون — فيكون وزنه مفعولات .

قال : وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ، ولم يحىء ضربه إلا مَطْوِيًّا ، وفي صدر بربعه ، قال : وهو الذي يسميه الخليل المقتضب ، وفي ضرب مثناه ومثلثه إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف .

- الرمل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ، زحافة : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباغ .
- الخفيف : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » مكرر ، ومربعه « فاعلاتن مستفعلن » قال : وقد ركب منه مربع آخر ، وهو الذى يسميه الخليل مجتثا ، وقد نقص منه « فاعلاتن » الأولى والرابعة . زحافه : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القطع ، التشعيث ، الإسباغ ، الطى .
- المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعلاتن فاعلاتن » مكرر ، ولم يجيء عن العرب فيه بيت صحيح . زحافه : القبض ، الكف ، الحذف ، الشتر ، الخين .
- المتقارب : مثنى قديم ، مسدس مربع محدث ، أجزاءه « فعولن » ثمانى مرات . زحافه : القبض ، التلم ، الثرم ، القصر ، الحذف ، البتر ، وبيت مربعه المحدث :
- وَقَفْنَا هُنَيْهَ بِأَطْلَالٍ مَيَّةَ
- المتدارك : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فاعلاتن » ثمانى مرات ، وبيته السالم من مثنىه :
- لَمْ يَدْعَ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرَ فَضْلَ عِلْمِهِ سِوَى أَخْذِهِ بِالْأَنْزِ
- وشعر عمرو الجنى نخبون . زحافه : الخين ، القطع ، الإذالة ، الترفيل . . وهذا شرح الألقاب عن أبى زهرة النحوى وغيره . كل ما حذف ثانيه الساكن فهو نخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف ، وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو نخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان

فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ، ولم يعتد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول ، وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مُضْمَر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وَتَدٍ فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهو مُسَبَّغ ، وإن كان ذلك في وتد فهو مُذَوِّل ؛ فإن زيد على الوند حرفان فهو مُرْفَل ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أَحَدٌ ، فإن حذف وتد مفروق فهو أَضَلَم ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت فحذف أول الوند فهو مخروم ، وإن كان ذلك في « فعولن » فهو أَتْلَم ، فإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أَثْرَم ، وإن كان الخرم في « مفاعلتن » فهو أعصب ، وإن كان مع ذلك عصب فهو أَقْصَم ، وإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أعفص ، وإن كان فيه مع الخرم عَقْل فهو أَجْمٌ ، وإذا خرمت « مفاعيلن » فهو آخرم ، وإذا كَفَفْتَهُ مع ذلك فهو أَخْرَب ، وإذا خرمته وقبضته فهو أَشْتَر ، وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو تَجَزُّو ، وما يذهب منه شطره فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو مَنُهْوَك ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سَلَم ، وما سلم من الخرم فهو موفور ، وما استوفى دائرته فهو تام ، وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الأجزاء نقص فهو وَافٍ ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح ، وإن خالف الحشو فهو معتل ، ومخالفة الحشو: أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو ، أو يمتنع من النقص

الذى يدخل الحشو ، والمعتدل على أربعة أوجه : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتماد . وقد شرحتها فيما تقدم .

(١٠٢) — باب بيوتات الشعر والمُعْرِقِينَ فِيهِ

بيت أبي سلمى
منها في الجاهلية بيتُ أبي سُلمى : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خُؤولة في الشعر : خاله بِشَامَةُ بنُ ^(١) العذير ، وكان كَعْبٌ وَبُجَيْرُ ابْنَا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

بيت حسان بن ثابت
ومن المخضرمين حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حزام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبدالرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر ، ذكر ذلك المبرد

بيت النعمان بن بشير
وبعد هذين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته حميدة ، ومن بنى بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد ابن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رَوَاحَةَ شاعرة ، وخاله عبد الله بن رَوَاحَةَ أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم .

بيت نهشل بن حري
ومن المعرقين في الشعر — عن عبد الكريم — نَهْشَل بن حَرَّى بن ضمرة نهشل بن حري بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بنى تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعلاً .

وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصَّلتِ ، وهو القائل :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه رَبَّ صَدٍّ — واهل وقيان
وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

بيت جرير
ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده انْطَلَفَى شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء . . قال أبو زياد الكلابي :

(١) في الأصول «أسامة بن العذير» وهو تصحيف من وجهين ، وصوابه ما أثبتنا

رأيت باليمامة نوحا وبلالا ابْنَيْ جرير وهما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم ،
وأشعر من باليمامة يومئذ حَجْنَاء بن نوح بن جرير ، وكان عقيل بن بلال شاعراً ،
وعمارة ابنه شاعراً ، أدرك الطائي حبيباً ولقيه المبرد .

ابن رؤبة
بن العجاج

ومن المعرقين عُمَيْة بن رؤبة بن العجاج .

بيت
أبي حفصة

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعراً ، وجنادة بيته شعراء
يضربون بالسنتهم أنوفهم ، حكاه الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعراً
يهاجي اللَّعِينَ المنقرى ، وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالاً ونساء .

بيت
أبي عينة

و[بيت] أبي عينة بيت شعر : منهم مجد وبنوه أبو عينة وعبد الله وداود
وعباد بن داود لقبه الخرق لقوله :

أما الخرقُ أعراضَ اللثام كما كان المرقُ أعراضَ اللثام أبي

بيت
الرقاشيين

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناء الفضل والعباس ،
وأكثرهم شعراء .

بيت
اللاحقين

وبيت اللاحقين : كان حَمْدَان شاعراً ، وابنه ، وأبوه أبان شاعراً ، وجده
عبد الحميد شاعراً ، ولاحق أبو عبد الحميد شاعر ، وإليه نُسِبُوا ، وهو مولى الرقاشيين ،
وأكثر أهل هذا البيت شعراء .

بيت
أمية الكاتب

وبيت أمية الكاتب ذكرهم دَعْبِل ، وهم أمية وإخوته : علي ، ومحمد ،
والعباس وسعيد ، ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه علي وعبد الله ،
وابن عمهم محمد بن علي بن أبي أمية .

بيت رزين

وبيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، وابنه أبو الشَّيْصِ شاعر ،
واسمه محمد ، ومنهم علي شاعر ، وابناء دَعْبِل وعلي شاعران .

بيت حميد

وبيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعراً ، وبنوه أهرم وأبو عبد الله
وأبو نصر وأبو نَهْشَل شعراء ، ذكرهم دَعْبِل

الفرق بين
المعرق ودي
البيت

والفرق بين المعرق وبين ذي البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون معرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلى هذا فسر قول أبي الطيب :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ
قالوا : إنما أراد أنه معرق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات :

ما كان يندرنا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل خيفة
إلا مقامُ خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة

يعني الواصل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصدق وحسن في معناه ، ونقص المتنبي بواحد بعد سرقة .

وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينهما .

من الشعراء
الإخوة

ومن الإخوة ومن لم يعرق : لييد وأخوه لأمه أربد ، والشماع وأخواه جزء ويزيد - وهو مزرد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفضالة وحيان : ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشال ، وأم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين آفا شعر ؛ وقيس ابن عمرو النجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحر وأخواه سنان وسيار ، وغيلان ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحر قاس ، شعراء خمستهم ، ومسلم ابن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع السلمي وأخوه أحمد .

الثنيان
من الشعراء

وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثنيان » حكاه عبد الكريم عن غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب .

(١٠٣) - باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كُتِبَ « بسم الله الرحمن الرحيم » الاختلاف في جواز كتابتها أمام الشعر ؛ فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازوه النخعي ، وكذا يروى عن ابن عباس ، قال : أُكْتُبَ « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغي أن يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنه يجيء بعده « قال فلان » وما أشبه ذلك . . قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دُوِّنَ ، فأما قصيدة رفعها الشاعر إلى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها ، لكن بعدها ، وإذا كان الأمر هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن العذر حينئذ ساقط .

(١٠٤) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما ياء الوصل وواوه تسقط واو الوصل وياؤه ، مثل واو « يغزو » للواحد ، و (يغزوا) للجماعة إذا كانت القافية على الزاى ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط . . قال الراجز :

* كَرِيمَةٌ قَدَرُهُمْ إِذَا قَدَرَ *

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد سأله عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للعرب لا للمولدين ؛ لأنها علامة جمع وإضمار ؛ لحذفها يلتبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيبويه والبصريين ، ومثل وار « يغزو » ويا « يقضى » للغائب « وتقضى »

للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب . وكذلك ياء نَم القاضي والغازي ۞ إذا كانا معرفين بالألف واللام ، وهذا هو الوجه ، فإن كتب بإثبات الواو والياء فعلى باب المساحة ، والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في الغرض ، وكذلك ياء الضمير نحو ۞ غلامى ۞ إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مساحة ففي الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم في اللفظ . ۞ أنشدنى أبو عبد الله للأعشى :

ومن شأني كسيفٍ وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » فحذف الياء ، فأما ما يكون منوناً نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يغز » فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المساحة ؛ لأنهما سقطا بالتنوين والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بغير ياء ، وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط إذا كانت وصلًا للقافية .

وإن كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتباً جميعاً بالألف لتستوى القوافي ، وتشبه صورتها في الخط .

(١٠٥) — باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [كان] على حرفين قلت هذه قصيدة بائية وحائية ، وكذلك أخواتهما ، وإن شئت جعلت الهمزة واواً فقلت : ياوية ، وكان أبو جعفر الرقاشي ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا يبوى ، ويتوى ، وكذلك أخواتهما ، إلا «ا» و «لا» فإنه يقول : موى ، ولوى على فعلى ، وتقول على هذا القول : قصيدة مووية ولووية ، قال ثعلب : ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومعينة

كيف تنسب
إلى ما كان
على حرفين

وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول « مؤومة » فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وَوَيْتُ وَاوًا حسنة ، وبعضهم يجعل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أويت وَاوًا حسنة ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤواة وسوواة ، وقال بعضهم في « ما » و « لا » من بين أخواتهما : مويت ماء حسنة ، ولويت لاء حسنة ، بالمد ، لمكان الفتحة من ما ولا .

(١٠٦) — باب الإنشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا الترنم ومدّ الصوت في الغناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والترنم ؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنشور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون ومالا ينون : إذا وصل الإنشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنَدِ

منونا إلى آخر القصيدة ، لا يبالى بما فيه ألف ولا م ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماض ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم .

ومنهم من يجرى القوافي مجراها ولولم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب ألفا على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

لا يبعد الله جيرانا لنا ظعنوا لم أدر بعد غداة البين ما صنع

الوقف
على لغة
قيس وأسد

يريد « ما صنعوا » . وكذلك ينشدون :
 قفاضتُ دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محمل
 فإذا وصلوا جعلوه كالسكلام وتركوا المدة لعلهم أنها في أصل البناء .
 قال سيبويه : سمعناهم ينشدون :

* أَقْلَى اللَّوْمِ عَاذِلَ وَالْعِتَابِ *

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالسكلام المنشور .
 ومن العرب مَنْ في لغته أن يقف على إشباع الحركة : فتجر الضمة واواً ،
 والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء
 ولا ترنم .

الوقف
بإشباع الحركة

ومنهم من في لغته أن لا يعوض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً
 من غير اعتقاد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بإزاء إطلاقه ، فهو
 غير جائز ؛ لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان
 التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاقها وتقييدها .

ويحكى عن روبة أنه أشد قصيدته القافية المقيدة منونة ، فرد ذلك الزجاجي
 وأنكره ، وذكر أنه وهم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من يزيد بعد
 كل قافية « إن » الخفيفة المكسورة إعلماً بانقضاء البيت ، فينشد :

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخُتْرِقِ إِنَّ مُشْتَبِهَ الْأَعْلَامِ لِمَاعُ الْخَلْقِ إِنَّ
 * يَكْلُ وَفْدُ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ انْخَرَقَ إِنَّ *

وإذا كان ما قبل حرف الروى ساكناً — وكانت لغة مُنْشِدِهِ الوقوفَ على
 بنقل الحركة المضموم والمكسور — بنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سنبس قول
 ذى الرمة :

الوقف

* وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطَرُ *

— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى هذا قال الآخر :

* أنا ابن ماوية إذ جد النفر *

أراد « النفر » بالخليل .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَرْتَنِي حِجْلًا عَلَى سَاقِهَا فَهَشْ الْفَوَادِ لِدَاكَ الْحِجْلُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَخْفِ مِنْ صَاحِبِي : أَلَا بَأْبَى أَصْلُ تِلْكَ الرَّجُلِ

وقال : نَقَلَ لِاضْطِرَارِ الْقَافِيَةِ .

ومما يدخل في شفاعة هذا الباب : الغناء ، والحداء ، والتغبير ، قال الشاعر :

تَغْنٍ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنْ الْغَنَاءُ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارُ

ويقولون : فلان يتغنى بفلان أو بفلانة ، إذا صنع فيه شعراً .

قال ذو الرمة :

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْفَرَّ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِزٍ

وكذلك يقولون : حدّا به ، إذا عمل فيه شعراً .

قال المرار الأسدي :

وَلَوْ أَنِّي حَدَوْتُ بِهِ أَرْفَأْتِ نِعَامَتَهُ وَأُبَصِّرَ مَا يَقُولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج .

أنواع
غناء العرب

فأما النصب فغناء الركبان والفتيان ، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وهو

الذي يقال له المرأى ، وهو الغناء الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب

ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من

أصل الطويل في العروض .

وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع ، الكثير النغمات والنبرات ، وهو

على ست طرائق : الثقيل الأول ، وخفيفه ، والثقيل الثاني ، وخفيفه ،
والرمل ، وخفيفه .

وأما المهرج فالحفيف الذي يرقص عليه ، ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ،
ويستخف الحليم ، قال إسحاق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ،
وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء
المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطناير والمعازف
والمزامير .

فرق ما بين
العرب والعجم
قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم
تمشط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على
غير موزون .

أول من
حدا
ويقال : إن أول من أخذ في ترجيعه الحدا مضر بن نزار ؛ فإنه سقط عن
جمل فأنكسرت يده فحمله وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله
جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجدت في السير ، فجعلت العرب مثلاً لقوله
هايدا هايدا يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه .

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان في إبله أيام
الربيع ، فأمر غلاماً له ببعض أمر ، فاستبطأه ، فضر به بالعصا ، فجعل ينشد في
الإبل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحدا من
ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير
ابن بكار في حديث يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار
سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً قال إليهم : إن أباكم مضر خرج إلى بعض
رعاته فوجدوها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا

الغلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فعطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لا نتفقت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .

وأما التعبير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقراءة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحاق الزجاجي قال : سألني بعض الرؤساء : لم سمي التعبير تعبيراً ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر - أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة - وقال غيره : إنما قيل له تعبير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعرض الجوابان على أحمد ابن يحيى ، فاستجاد جوابي .

يقال للعراسل في الغناء : المثالي ، حكاه غلام ثعلب

١٠٧ - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيمه : أجزني - أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهتي وأجوز عنك - فكثرت حتى جعلت الجائزة عطية .

قال الراجز :

يا قيم الماء فذتكَ نفسى أحسن جَوَازى وأقلَّ حَبْسى

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف بن قيس في جيشه غازياً إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة السكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجزوهم ، فأجزوا ؛ فهو أول من سن الجوائز .

أول من
سن الجوائز

قال الشاعر :

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هَلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ عَمَّى وَخَالِي
هُمْ سَنُوا الْجَوَائِزَ فِي مَعَدَّةٍ فَصَارَتْ سُنَّةَ أُخْرَى لِلْيَالِي

والبدرة : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه
سمى القمر ليلة أربع عشرة ﴿ نَدْرًا ﴾ لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لمبادرته
الشمس ، وقيل : بل البُدرة جلدة السَّخْلَة إذا فُطِمت والجذع من المعز يملأ مالا ،
فسمى المال ﴿ بُدْرَةً ﴾ باسم الوعاء مجازا .

البدرة

والصَّلَّةُ ﴿ مَا أَخَذَهُ الرَّجُلُ مِنَ السُّلْطَانِ أَوَّلَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى
قِيلَ لَهُبَةُ الْمَلِكِ ﴾ صِلَةٌ .

الصَّلَّةُ

وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب
لما جاء موضعها :

إِن الَّذِي صَاغَتْ يَدِي وَفِي وَجَرَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلَمِي
مِمَّا عَنَيْتَ لِسَبِّكَ خَالِصَهُ وَاخْتَرْتَهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلَمِ
لَمْ أَهْدِهِ إِلَّا لَتَكْسُوَةٍ ذِكْرًا تُجَدِّدُهُ عَلَى الْقَدَمِ
لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ لَكِنَّهُنَّ مَصَائِدُ الْكَرَمِ
فَأَقْبَلْ هَدِيَّةً مَنْ أَشَدَّتْ بِهِ وَتَسَخَّتْ عَنْهُ آيَةُ الْعَدَمِ
لَا تَحْسِبِ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنِ تَأْتِي بِمِثْلِكَ فَائِقَ الْهَمَمِ

الحمد لله الذي بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدّرايات ، وسلم
تسلماً كثيراً .

وبعد ، فقد نبجز كتاب « العمدة » ، في محاسن الشعر وآدابه » لأبي على
الحسن بن رشيق الأزديّ : المولود في سنة ٣٩٠ من الهجرة (١٠٠٠ م)
المتوفى في ذي القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة (١٠٦٤ م) بعد أن صَقَلَه
التحقيق ، وجَلَّاهُ حُسْنُ الوَضْعِ ، وزانه رَوْنَقُ الطَّبْعِ ، وبعد أن قضيتُ
نصف حَوَلٍ في المراجعة ومغاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر
في الإشراف على طبعه ، لا يحملني على تجشُّم هذه الأهوال إلا الرغبة
الصادقة في خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة
الرِّوَاء .

وإني أنفِرع إلى الله تعالى أن يثيبني على هذا بمقدار إخلاصى فيه لوجهه ؛
فهو حسبي ونعم الوكيل .

عَلَى الدِّينِ عَمَلِيَّ

فهرس الجزء الثأنى، من كتاب

« العمدة ، فى محاسن الشعر وتقده »

لأبى على الحسن بن رشيق ، القيروانى ، الأزدي

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٧	أشعر بيت قالته العرب	٣	باب التصدير
—	من أمثلة المقابلة أيضاً	—	حد التصدير ، وفائده
—	من جيد المقابلة	—	أقسام التصدير
—	من خفى المقابلة	—	الفرق بين التصدير والترديد
١٨	من جيد المقابلة فى المنشور	—	أمثلة للتصدير
—	مما عيب من المقابلة	٤	من التصدير نوع يسمى « المضادة »
١٩	منها نوع يختص باسم « الموازنة »	—	باب المطابقة
٢٠	من أملح الموازنة وتعديل الأقسام	٥	حد المطابقة ، والاختلاف فيه
—	باب التقسيم	٧	رد الحدود المختلفة بعضها إلى بعض
٢٠	حد التقسيم	—	أمثلة من المطابقة
٢١	من جيد التقسيم	٩	مما يظن أنه من المطابقة ، وليس منه
٢١	من جيد التقسيم فى المنشور	١١	من أمثلة المطابقة أيضاً
٢٢	عود إلى جيد التقسيم فى الشعر	—	من شعر أبى الحسن فى الطباق
—	أصح تقسيم	١٢	أمثلة مما يغلط فيه الناس من هذا الباب
٢٥	جمع الأوصاف (التعقيب)	—	باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة
—	من أنواع التقسيم التقطيع	١٢	أسباب اختلاط أحد النوعين بالآخر
٢٦	الترصيع	١٤	مما ظاهره التجنيس وباطنه طباق
—	باب التسهيم	—	باب للمقابلة
٣١	الاختلاف فى تسميته ، وأنواعه	١٥	حد المقابلة
٣٤	من جيد التسهيم	—	أكثر ما تجيء فيه المقابلة الأضداد
—	مأخذ التسهيم والتوشيع	١٦	نوع خاص من المقابلة يسمى « مقابلة
—	باب التفسير	—	الاستحقاق »
٣٥	حد التفسير	—	من أمثلة المقابلة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٥	من جيد التفسير	٦٠	من الإيغال نوع يسمى «الاستظهار»
باب الاستطراد		—	اشتقاق الإيغال
٣٩	حد الاستطراد	باب الغلو	
—	أوضح الاستطراد ، وأول من قاله	٦٠	أسماءه ، وميزته
٤١	من الاستطراد نوع يسمى «الإدماج»	٦١	أصح الكلام
باب التفرع		—	تعريف الغلو لقدامة
٤٢	حد التفرع ، ومنزلته من الاستطراد	—	اختلاف الناس في الإفراط
—	أمثلة من التفرع	—	قول الحاتمي في الغلو
باب الالتفات		٦٢	من أبيات الغلو
٤٥	حد الالتفات ، والاختلاف في تسميته	٦٣	من علو المتن
—	أمثلة منه	٦٤	أحسن الإغراق
٤٦	قد يجيء الالتفات في آخر البيت	٦٥	اشتقاق الغلو
باب الاستثناء		—	الإغراق
٤٨	تسميته ، وحده	باب التشكك	
—	أمثلة من ملبح هذا النوع	٦٦	فائدة التشكك
باب التتميم		—	أمثلة منه
٥٠	حد التتميم	٦٨	أول من نطق بهذا المعنى
٥١	من أمثلة التتميم في القرآن الكريم	باب الحشو وفضول الكلام	
—	من أمثلة التتميم في الشعر	٦٩	أسماءه ، وحده
باب المبالغة		—	أمثلة من الحشو
٥٣	آراء الناس في المبالغة	٧١	الكلمات التي يكثر الحشوها
٥٥	من المبالغة نوع يسمى «التقصي» وحده	٧٢	من الحشو نوع يسمى «التفصيل»
—	ترادف الصفات	باب الاستدعاء	
—	الغلو	٧٣	حد الاستدعاء
باب الإيغال		—	أمثلة الاستدعاء
٥٧	حد الإيغال	باب التكرار	
—	صفة أشعر الناس	٧٣	متى يحسن التكرار ؟ ومتى يقبح ؟
—	أول من ابتكر هذا النوع	٧٤	أمثلة من التكرار
٥٨	أمثلة من الإيغال	٧٧	من تكرير المعنى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	باب من التكرار		١٠٠ أمثلة من التباير
٧٨	مما ابن المعتز « المذهب الكلامي »		باب في التصرف وتقد الشعر
٧٩	أمثلة منه	١٠٤	مق يحوز الشاعر قصب السبق ؟
—	نوع آخر هو أولى بهذه التسمية ، وأمثلة له	١٠٤	موازنة بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
	باب نفي الشيء بإيجابه	—	موازنة بين جرير والهرزدق
٨٠	هو من المبالغة ، ولا يختص بها	١٠٥	ليحي المنجم في نقد الشعر
—	أمثلة له	—	من عنده علم الشعر
٨٢	الغيب من هذا النوع		باب في أشعار الكتاب
—	باب الاطراد	١٠٦	من شعر إبراهيم بن العباس الصولي
٨٢	حده ، ومنزلته	١٠٧	من شعر محمد بن عبد الملك الزيات
—	أمثلة له	١٠٨	من شعر الحسن بن وهب
	باب التضمن والإجازة	١٠٩	من شعر سعيد بن حميد
٨٤	يختلط على كثير من الشعراء	—	ملا يلزم الكاتب
—	حد التضمن	١١٠	من شعر أبي الحسن
—	أمثلة من جيد التضمن		باب في أغراض الشعر وصنوفه
٨٩	حد الإجازة ، وأنواعها	١١٣	لأبي العباس الناشيء في صناعة الشعر
—	أمثلة منها	١١٤	وصية أبي تمام للبحري
٩٠	اشتقاق الإجازة	١١٥	لناشء أيضا في صناعة الشعر
٩١	منها نوع يسمى « التمليط »		باب النسيب
٩٢	اشتقاق التمليط	١١٦	حق النسيب
	باب الاتساع	١١٧	الفرق بين الغزل والنسيب
٩٣	حد الاتساع ، وسببه	—	من مختار نسيب المتقدمين
—	أمثلة له	١١٨	مما يختار من نسيب المحدثين
	باب الاشتراك	١١٩	لمسلم بن الوليد
٩٦	أنواع الاشتراك ، أمثلة له	—	للبحري ، لأبي تمام
٩٨	الاشتراك في المعاني ، وأنواعه	—	للمعتبي
—	أمثلة له	١٢٠	لأبي نواس
	باب التباير	—	أعزل بيت ، واختلاف العلماء في اختياره
١٠٠	حد التباير ، وسببه	١٢١	لأبي نواس أيضا
		—	الأسماء التي يعزل الشعراء فيها

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٣	من عيوب هذا الباب	١٤٣	يقال في الافتخار
١٢٥	طرده الحبال ، ومن ركبته من الشعراء	١٤٤	أفخر بيت ، واختلاف العلماء في اختياره
١٢٦	من الأمانى غير المقبولة	١٤٥	ما أنكره قدامة في المديح
١٢٧	اشتقاق التشبيب	—	مما أنكره الجرجاني (صاحب الواسطة)
باب في المديح		١٤٦	من المختار في الفخر
١٢٨	سبيل الشاعر في المدح	—	من شعر أبي الحسن في الفخر
١٢٩	كيف يمدح الشاعر الملوك والسوقة ؟	—	مما عابه الأصمعي
١٣٣	أبو العتاهية وعمر بن العلاء	باب الرثاء	
١٣٤	ما يمدح به الكاتب والوزير	١٤٧	الفرق بين الرثاء والمدح
١٣٥	ما يمدح به القائد	—	سبيل الرثاء
١٣٥	ما يمدح به القاضي ، وصاحب المظالم	١٤٨	المختار من جيد الرثاء
١٣٦	سلمان بن عبد الملك يعجبه جماله	—	لابن أبي حفصة
—	مما يعاب على أبي تمام	—	لأبي تمام
—	ما يقدم في المدح قول كعب بن زهير	١٤٩	لديك الجن (عبد السلام بن رغبان)
—	في رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٥٠	يكون الرثاء مجعلا كالمدح
—	ما يناسب ذلك	—	أرثي بيت
١٣٧	من شعر الخطيئة في المدح	—	من عادة القدماء في شعر الرثاء
١٣٨	من شعر الشماخ	١٥١	مذهب المحدثين في الرثاء
—	أفضل ما يمدح به الملوك	—	ليس من عادة الشعراء تقديم نسيب قبل الرثاء
—	الشعراء يباب المعتصم	١٥٢	ما عيب في الرثاء شعر للكميت
١٣٩	أمدح بيت ، واختلاف العلماء في اختياره	١٥٣	على شدة الجزع بيني الرثاء
١٤٠	من أجود ما يختار للمحدثين في المديح	١٥٤	أشد الرثاء صعوبة
١٤٣	ما عيب في المديح شعر للكميت في مدح النبي	١٥٥	الجمع بين التهنية والتعزية
		١٥٦	مما رثي به للنساء

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٥٨	باب الاقتضاء والاستنجاز	١٧٠	باب الهجاء
—	ما يستوجبه الاقتضاء	—	خير الهجاء
—	أحسن المختار من الشعر في الاقتضاء	—	الهجاء المقذع
—	قول أمية بن الصلت لعبد الله بن جدعان	—	عقوبة الهجاء في الإسلام
١٥٩	قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان	١٧١	أبلغ الهجاء
—	للمؤلف	١٧٢	مذاهب الشعراء في الهجاء
—	باب العتاب	١٧٣	لريعة الرقي في الهجاء
١٦٠	عقبى العتاب	—	للطرماح
—	للعتاب طرائق	—	لجرير في بني التيم
—	أحسن الناس طريقا في العتاب	١٧٤	لأبي هفان في التمسك
—	البحترى	—	أجود الهجاء
١٦١	للبحترى أيضا في العتاب	١٧٤	لأبي الحسن في الهجاء
١٦٢	لمؤلف الكتاب في العتاب	١٧٥	أهمل بيت
—	لأبي تمام في العتاب	باب الاعتذار	
١٦٣	لأبي تمام في العتاب أيضا	١٧٦	لمحمد بن طلي الأصبهاني في الاعتذار
١٦٤	لابن الرومي يعاتب إسماعيل بن بلبل	—	لإبراهيم بن المهدي
—	للمتقي يعاتب سيف الدولة	—	لأبي علي البصير
١٦٥	عتاب الأكفاء ودوى المودات	—	للمؤلف
١٦٦	للصولي يعاتب ابن الزيات	١٧٧	اعتذارات النابغة الذبياني
—	لأبي الحسن	١٧٨	لسلم الحاسر يعتذر إلى المهدي
—	لسعيد بن حميد يعاتب صديقا له	١٧٩	لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر
١٦٧	لبشار بن برد	—	للمتنبي
—	باب الوعيد والإنذار	—	لعلي بن جبلة
١٦٧	لابن مقبل	—	لأبي الهول الجيري
١٦٨	لجرير	١٨٠	اشتقاق الاعتذار
—	لابن الرومي	باب سيورة الشعر والحظوة في المدح	
١٦٩	للمؤلف ، في الوعيد	١٨١	لأبي نواس في الجاهلية ، وفي الإسلام
		—	بين حسين بن الضعك والخليع وأبي نواس

الموضوع	ص	الموضوع	ص
الأحلاف	١٩٤	١٨٢ قبائل لم يحك هجاؤهم إلا قليلا	
الأرقام	—	— قبائل شقيت كثيرا بالهجاء	
البراجم	١٩٥	١٨٣ الذين حظوا بالمديح	
التعليقات	—	١٨٤ مفاخر تميم	
الرباب	—	١٨٥ الأوابد من الشعر	
الاجارب	—	— المجدودون في التكسب بالشعر	
الحرام	—	باب ما أشكل من اللدح والهجاء	
الضباب	—	١٨٦ لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم	
الأكابر	١٩٦	— مما أنشده العلماء	
بنو أم البنين	—	— لسليمان بن قنة	
الكلمة	١٩٧	١٨٧ كعم الكلب	
الحمس	—	— تجنب الجيوش	
العنايس	—	١٨٨ ابنة الجبل	
الأعياص	—	— الثنيان	
أم القبائل	—	١٨٩ ذو فجرات	
الجرات	—	— بيضة البلاد	
١٩٨ بنوطية		باب في أصول النسب	
الموالي	—	١٩٠ أصول الأنساب	
باب ذكر الوقائع والأيام		١٩١ أصل تسمية الطبقات	
١٩٩ مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم		١٩٢ مفاخر القبائل	
٢٠٠ يوم إراب		— فرسان العرب	
٢٠١ يوم نغف فشاوة		— بيوتات العرب	
— يوم نجران		باب مما يتعلق بالأنساب	
— يوم الصمد		١٩٣ قریش البطاح	
— يوم طخفة		١٩٤ قریش الظواهر	
٢٠٢ يوم المروت		— ألقاب لبعض القبائل	
— يوم مليحة		— الأحابيش	
— يوم اللوى		— المظبيون	
— يوم الصليفاء (الصلماء)			

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢١٤ يوم البشر		٢٠٢ يوم الهبءاء	
— يوم الرغام		٢٠٣ يوم عراض	
٢١٥ يوم المراميت		— يوم الفروق	
— يوم الوقظ		٢٠٣ يوم شعب جبلة	
— يوم جزع طلال		٢٠٤ يوم أقرن	
— يوم أوارء (الأول)		٢٠٥ يوم زبالء	
٢١٦ يوم أوارء (الآخر)		— يوم حدود	
— يوم زرود الأول		— يوم الكلاب الأول	
— يوم زرود الآخر		٢٠٦ يوم الشعبة (الكلاب الثانى)	
٢١٧ يوم تثليث		— يوم حر الدواب	
٢١٧ يوم ذى علق		— يوم ذى بفض	
— يوم العذيب		٢٠٧ يوم عاقل	
— يوم الصفقة		— يوم عنبان	
٢١٨ يوم الفجار الأول		— يوم قلمى	
— يوم الفجار الثانى		— يوم بزاة	
٢١٩ يوم الفجار الثالث		٢٠٨ يوم إضم	
— يوم الجفار		— يوم نفا الحسن	
— يوم الصريف		— يوم أعار	
٢٢٠ مفاخر بنى شيطان		٢٠٩ يوم رحران الأول	
— وفود ربيعة عند النعمان بن المنذر		— يوم رحران الثانى	
٢٢١ مفاخرة بين عامرى وشيطانى عند معاوية		— يوم ضربة	
٢٢٢ حديث ذى الجدين		٢١٠ يوم الصرائم	
باب فى معرفة ملوك العرب		٢١١ يوم القبط	
٢٢٥ ملوك اليمن		— يوم ذى نجب	
٢٢٨ ملوك الشام		٢١٢ يوم خزازى	
٢٢٩ ملوك الحيرة		— يوم ملزق	
باب من الدسبة		٢١٣ يوم الوندء	
٢٣٠ الإبل الأرحبية		— يوم فف الرمح	
		٢١٤ يوم ذى بهدى	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٣٨	تكثر المعاني كلما تقدم العصر	٢٣٠	أسد خفية
—	منزلة ابن الرومي في توليد المعاني	—	الرماح البرزية
٢٣٩	بشار بن برد يبين سبب تفوقه	—	الدروع الفرعونية
٢٤٠	معان سبق إليها المتقدمون ولا تطلب من المحدثين	٢٣١	الكنائن الزغرية
٢٤١	ما جاء في طول الليل	—	الرمح السمهرى
٢٤٢	ما جاء في خلق الشعر	—	البرود الأنجمية
—	مما انفرد به بشار بن برد	—	الأسنة القعصية
٢٤٣	مما انفرد به أبو نواس	—	الثياب الحارية
٢٤٤	مما انفرد به أبو تمام	٢٣٢	الرحال العلافية
—	أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي	—	الكلاب والدروع السلوقية
٢٤٥	بين مسلم بن الوليد وأبي نواس	—	السيوف السريجية
٢٤٦	مأخذ للاصمعي على زهير ، ورده ..	٢٣٣	الدروع الخطمية
—	مأخذ له على الشماخ	—	الرماح الخطمية
—	مأخذ للآمدى على البحتري	—	المسك الدارى
٢٤٧	من المأخوذ على أبي تمام	—	خول إبل النعمان
٢٤٨	مأخذ على جرير ، ورده	—	القسي العصفورية
—	مأخذ على بشامة بن الغدير	—	القسي الماسخية
—	مأخذ على كعب بن زهير	—	خيار الإبل
٢٤٩	مأخذ على البحتري	٢٣٣	الحمر الأخدرية
—	مأخذ على الفضل في رواياته	٢٣٤	أول من أنتاج البغال
٢٥٠	مأخذ على الفرزدق وعلى الأخطل	باب العناق من الخيل ومذكوراتها	
٢٥١	معذرة عن النابغة الذبياني	٢٣٤	مراكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
—	معذرة عن زهير بن أبي سلمى	—	خيل غنى ، أعوج
٢٥٢	مأخذ على أبي نواس	—	عدة من خول الخيل
باب ذكر منازل القمر		باب من المعاني المحدثه	
٢٥٢	السبب الذى دعا المؤلف لذكر هذا الباب	٢٣٦	من الذى يصح الاستشهاد بشعره ؟
٢٥٣	أجزاء السنة وما يتبعها	ويبان السر فى ذلك	
		٢٣٧	صفة قوس قزح ، لابن الرومى
		—	وصف الرقاقة وخبازها ، له

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٣	النوء	٢٥٧	الصرقة
—	الربع الأول من السنة الربيع	باب في معرفة الأماكن والبلدان	
—	العواء	٢٥٨	حد الحجاز
٢٥٤	نوء السماء	—	الجزيرة
—	الغفر	—	جزيرة العرب
—	الزبانان	٢٥٩	العراق
—	الإكليل	—	الشام واليمن
—	القلب	باب من الزجر والعيافة	
—	الشولة	٢٥٩	الفرق بين القال والطيرة
٢٥٥	الربع الثاني من السنة الصيف	—	كان الرسول صلى الله عليه وسلم
—	البلدة	يحب القال ويكره الطيرة	
—	سعد الداج	—	اشتقاق الطيرة
—	سعد بلع	٢٦٠	الزجر عند العرب
—	سعد السعود	٢٦١	ما يتطيرون به
—	سعد الأخبية	٢٦٢	الساح والبارح ، واختلاف العرب
—	فرع الدلو الأعلى	في التيمن والتطير بكل منهما	
٢٥٦	الربع الثالث من السنة الحريف	٢٦٣	من ملبح الزجر
—	الحوت	باب ذكر المعاظلة والتثبيح	
—	الشرطان	٢٦٤	حقيقة المعاظلة ، واشتقاقها
—	البطين	—	التثبيح
—	الثريا	—	رأى آخر في المعاظلة
—	الدبران	٢٦٥	رأى ثالث في المعاظلة
—	الهقعة	باب الوحش المتكلف والريك المستضعف	
٢٥٧	الربع الرابع من السنة الشتاء	٢٦٥	بيان الوحش من الكلام ، والتكلف
—	القدراعان	والريك	
—	النثرة	—	اشتقاق الريك
—	الطرف (عينا الأسد)	٢٦٦	ولع أبي تمام والنتي بالوحش
—	الجبهة	—	أمثلة من التكلف
—	الزبرة	—	من كلام أبي تمام في البلاغة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٨١	أسباب إشكال الكلام	٢٨١	أشكال السرقة
٢٦٧	للبحترى في وصف بلاغة الحسن	—	الاصطراف
ابن وهب		٢٨٢	سرد بقية أنواع السرقة
باب الإحالة والتعبير		—	الاصطراف على ضربين
٢٦٧	وقعت في شعر الجلة من المتقدمين	٢٨٣	الاتحال
٢٦٨	أمثلة من الإحالة	٢٨٤	الإغارة
—	أمثلة من التعبير	٢٨٥	العصب
باب الرخص في الشعر		٢٨٦	الرافدة
٢٦٩	هل يجوز للدولدار تكاب الضرورات؟	٢٨٧	الاهتمام
—	سرد أنواع من الضرورات ، وذكر	—	النظر والملاحظة
مثال لكل نوع منها		—	الإلمام
٢٧٥	أنواع لضرورات الزيادة ، ومثال	—	الاختلاس
لكل نوع		٢٨٨	للموازنة
٢٧٧	مما جاء في القرآن على خلاف	٢٨٩	العكس
الظاهر ، وهو من البلاغة والإحكام		—	الموارد
لا من الضرورة		—	الالتقاط والتلفيق
—	الإخبار عن واحد من اثنين	٢٩٠	كشف المعنى
—	حذف جواب القسم وغيره	—	الشعر المجذود
٢٧٨	إضمار ما لم يجر له ذكر	—	مق يكون الآخذ أولى بالمعنى؟
—	حذف « لا » وزيادتها	٢٩١	سوء الاتباع
—	حذف المنادى	٢٩٢	مما يعد سرقا وليس بسر
٢٧٩	خطاب الواحد كالثنين والجماعة	—	أولى الشاعرين بالمعنى
—	مجيء المفعول بلفظ الفاعل ، وعكسه	٢٩٣	نظم النثر ، وحل الشعر
—	الحمل على المعنى	باب الوصف	
باب السرقات ، وما شاكلها		٢٩٤	أكثر الشعر يرجع إلى الوصف
٢٨٠	لا يدعى السلامة منه أحد	—	أحسن الوصف
—	رأى القاضي الجرجاني	٢٩٥	تفاضل الناس في الوصف
—	السرقة عند عبد الكريم	٢٩٦	ذكر شعراء اشتهر كل منهم في
٢٨١	فيم تكون السرقة ؟	وصف شيء	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٣٠٨ الثنيان من الشعراء		٢٩٦ وصف قيل	
باب جواز كتب البسملة قبل الشعر		٢٩٧ في وصف قيل أيضا	
٣٠٩ اختلاف الأئمة ، وتحديد موضع الاختلاف		— في وصف زرافة	
باب احكام القوافي في الخط		٢٩٨ في وصف إسطرلاب	
٣٠٩ ياء الوصل وواوه ، والياء والواو الأصليتان		٢٩٩ في وصف بركار	
باب النسبة إلى الروي		٣٠٠ في وصف البنكام	
٣١٠ كيف تنسب إلى ما كان على حرفين؟		٣٠١ في وصف زرمانج	
باب الإشاد وما ناسبه		— في وصف طاووس	
٣١١ الوقف بالترنم		باب الشطور وبقية الزحاف	
— الوقف على لغة قيس وأسد		٣٠١ حد الشطور	
٣١٢ الوقف بإشباع الحركة		٣٠٢ الطويل ، المديد ، البسيط	
— الوقف بنقل الحركة		٣٠٣ الوافر ، السكامل ، الممزج ، الرجز	
٣١٣ أنواع غناء العرب		٣٠٤ الرمل ، الخفيف ، المضارع ، المتقارب	
٣١٤ فرق ما بين العرب والعجم في الغناء		المتدارك	
— أول من حدا ، وسبب ذلك		باب بيوتات الشعر والمعرفين فيه	
٣١٥ التعبير		٣٠٦ بيت أبي سلمى المزني	
باب الجوائز والصلات		— بيت حسان بن ثابت ، بيت النعمان	
٣١٥ اشتقاق الجائزة وأصلها		بن بشير ، بيت نهشل بن حري ، بيت	
— أول من سن الجوائز		جرير بن عطية بن الخطمي	
٣١٦ البدرة ، وأصلها ، الصلة		٣٠٧ عقبة بن ربيعة بن العجاج	
— من شعر المؤلف الذي صنعه لأبي الحسن		بيت أبي حفصة ، بيت أبي عيينة	
		بيت الرقاشيين ، بيت اللاحقين	
		بيت أمية الكاتب ، بيت رزين	
		— بيت حميد	
		٣٠٨ الفرق بين المعرق وذى البيت	
		— من الشعراء الإخوة الذين لم يعرقوا	

تمت - بحمد الله تعالى واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الثاني من كتاب « العمدة » في صناعة الشعر ونقده « لابن رشيق القيرواني ، مفصلة غاية التفصيل . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام للتقين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين